



مجلة
الجامعة الإسلامية
بالمدينة المنورة

العدد الثاني - السنة العاشرة رمضان ١٣٩٧ هـ - أغسطس سبتمبر ١٩٧٧ م

الجامعة الإسلامية

مجلة تصدر أربع مرات في السنة
من الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

لجنة التحرير:

محمد المجذوب

عبد القادر شيبه الحمد

محمد شريف

حمود فايد

المراسلات المتعلقة بالبحرير ترسل الى
الجامعة الإسلامية - المدينة المنورة
العلاقات العامة

ISLAMIC UNIVERSITY MADINA

PUBLIC - RELATIONS

كلمة صاحب السمو الملكي الأمير فهد بن عبدالعزيز

على العهد ونائب رئيس مجلس الوزراء والرئيس الأعلى للجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة في الحفل السنوي لخرابجي الجامعة لعام ١٤١٧/٩٦ مساء يوم السبت ١٦/٧/١٤١٧ هـ بمقر الجامعة

أيها الأخوة . . .

أحمد الله - تبارك وتعالى - وأصلى وأسلم على نبيه محمد ، خاتم أنبيائه ورسوله ، وخيرته من خلقه هادى البشرية الى خير البشرية ، وزائدها على طريق سعادتها في دنياها وأخرها ، وعلى آله وصحبه .

وبعد :

يسرني أن أحضر هذا الحفل السنوي للجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، مهبط الوحي الالهي ، الذي عم نوره أرجاء الدنيا ، وعاصمة الاسلام الأولى التي أعطت المثل الأعلى للحياة الكريمة والحضارة الرشيدة . . هذا الحفل الذي تقيمه الجامعة ، بمناسبة تخرج فوج من أفواجها المتتالية ، الذين يتزودون منها بخير زاد من العلوم والمعارف الاسلامية ، ليعودوا منها الى بلادهم في شتى أنحاء العالم مجاهدين في سبيل نصرة دينهم واعلاء كلمة ربهم ، مساعدين أقوامهم وبلادهم على التقدم والازدهار .

وان المملكة - وعلى رأسها جلالة الملك خالد بن عبد العزيز حفظه الله من منطلق مسؤوليتها الكبرى عن نشر دعوة الاسلام دعوة الحق والخير والسلام ، في مشارق الأرض ومغاربها ، والعمل بكل امكانياتها على ما فيه خير المسلمين وعزتهم واستعادة مكانتهم في قيادة ركب الحياة على طريق الخير والهدى - لتولى هذه الجامعة التي انشئت من أجل الاسهام في تحقيق هذه الغايات السامية كل عنايتها

ورعايتها ، حتى تؤدي رسالتها ، وتحقق أهدافها بعون الله تبارك وتعالى واني لأرجو أن يكون لخريجي الجامعة الدور الكبير والأثر المرجو في الدعوة الى الله وفي تغيير الحياة الى الصورة المثلى والمستقبل الأفضل .

وعلى الشباب المسلم المثقف في كل مكان أن يواجه بإيمانه وعلمه وعمله الجاد المخالص تحديات العصر ، لتعود سفينة الحياة بقيادته الواعية الرشيدة الى طريقها المستقيم الطريق الذي هدى الله عز وجل اليه عباده ورتب على سلوكهم اياه سعادتهم ورضاءهم في الدنيا وفوزهم ونعيمهم في الآخرة .

وعلى الجامعات أن تبذل كل جهودها في اعداد هذا الشباب تعليما وتثقيفا وتربية يتحمل مسؤولياته في غده ، على بصيرة بدينه ، ومتطلبات عصره ، وأهداف حياته .

أسأل الله عز وجل أن يوفقنا ويعيننا جميعا على ما فيه خير ديننا ودياننا -
انه سميع مجيب . . .



دریبات فی
القرآن وعلومہ



حول عجز القرآن الكريم في القرن الثالث الهجري

لفضيلة الدكتور صادق إبراهيم خطاب • أستاذة البلاغة والنقد بكلية الشريعة

القرآن الكريم منذ أن نزل على النبي الأمين محمد بن عبد الله صلوات الله وسلامه عليه كان وما يزال الحجة الكبرى والمعجزة العظمى التي وقف العرب أمامها مبهورين لا يملكون جوابا وما عساهم يفعلون ، لم يكن أمامهم إلا أن يرجعوا إلى أنفسهم لعلهم يجدون مخرجا ولكن الحجة أعيتهم ووقفت ألسنتهم واحتبست أصواتهم وهم يستمعون إلى النبي صلى الله عليه وسلم يبلغ الناس قوله تعالى : (وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين . . فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين) (١)

وقوله تعالى : (أم يقولون افتراه قل فأتوا بعشر سور مثله مقتريات وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين) (٢)
وقوله تعالى : (قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا) (٣)

ما هذا إلا سحر مفترى ما سمعنا بهذا في آياتنا الأولين ويقولون ان هي إلا اساطير الأولين اكتبها فهي تملى عليه بكرة وأصيلا ومع هذا أخذوا يتحاشون سماع القرآن الكريم خوفا من ان

ولكنهم عجزوا أن يأتوا بمثله أو بأقصر سورة وهم أصحاب لسن وفصاحة وبيان وإقناع مع حرصهم البالغ على تكذيب الرسول فيما يدعيه أنه مرسل به من ربه وبدأوا يتخبطون فقالوا :

٢ - سورة الاسراء ٨٨

٢ - سورة هود ١٣

١ - سورة البقرة ٢٣ ، ٢٤

يؤثر في نفوسهم ويهديهم برغم أنوفهم
ولنستمع إلى الوليد بن المغيرة أحد
خصوم الدعوة الألداء بعد أن استمع
إلى بعض آي الذكر الحكيم قال : « والله
لقد سمعت من محمد كلاما ما هو
من كلام الإنس ولا من كلام الجن
وان له لحلاوة وإن عليه لطلاوة وإن
أعلاه لمثمر وإن أسفله لمغدق » .

كان هذا موقف العرب عند بدء
الدعوة ولكن بعد أن اتسعت الفتوح
وانتشر الاسلام واختلط العرب بغيرهم
من أهل البلاد التي فتحوها شغل الناس
بالقرآن الكريم يتدارسونه ويوضحون
معانيه ويبحثون عن ألفاظه وتراكيبه
وما فيه من علوم وفنون فأضحت
آياته ميدانا لدراسات مختلفة خاصة
البلاغية منها يحاولون بذلك بيان الوجه
الذي من أجله عجز الناس عن محاكاته
أو الإتيان بأقصر سورة منه وكان
لانقسام المسلمين إلى فرق وطوائف
أثر بالغ في هذه الدراسات التي تدور
حول القرآن وما فيه من معان وأغراض
وأسرار وأقدم ما ظهر من الكتب في
هذا الشأن هو كتاب « مجاز القرآن »
لأبي عبيدة معمر بن المثنى المتوفي
٢٠٨ هـ .

وزير الرشيد ثم الأمين استقدمه من
البصرة فلما بلغ مجلسه ببغداد وكان به
ابراهيم بن اسماعيل الكاتب سأله
الكاتب عن معنى قوله تعالى (طلعتها
كأنه رعوس الشياطين) وإنما يقع
الوعد والوعيد بما عرف مثله وهذا لم
يعرف فقال له أبو عبيدة :

إنما كلم الله تعالى العرب على قدر
كلامهم . أما سمعت قول امرئ
القيس :

أيقنتني والمشرقي مضاجعي

ومسنونة زرق كأنياب أغوال

وهم لم يروا الغول قط ولكنهم لما كان
أمر الغول يهولهم ويفزعهم أوعداوبه
فاستحسن الحاضرون هذا الجواب .

ومنذ ذلك الحين عزم أبو عبيدة على
أن يخرج كتابا يبين فيه ما يشبهه على
الناس - فلما رجع إلى البصرة أخذ
في تأليف كتابه هذا (مجاز القرآن)
وهو لا يريد بكلمة (مجاز) ما يقابل
الحقيقة كما هو اصطلاح المتأخرين وإنما
يريد الدلالة الدقيقة لصيغ التعبير القرآنية
المختلفة وقد ظهر مراده هذا في السطور
الأولى من الكتاب .

جاء في فاتحته : قال الله جل ثناؤه
(إن علينا جمعه وقرآنه) مجازه تأليف
بعضه إلى بعض ثم قال سبحانه (فإذا

ويقول أبو عبيدة عن سبب تأليفه
هذا الكتاب : إن الفضل بن الربيع

قرأناه فاتبع قرآنه) مجازه فإذا ألفنا
منه شيئاً فضممناه إليك فخذ به واعمل
به وضمه إليك - وهكذا يمضى في
كتابه مسترشداً باستعمالات العرب
وما أثر عنهم في أشعارهم وأساليبهم -
وأدّاه هذا الاختيار إلى أن يتحدث
عما في الآيات من تشبيه وكناية وتقديم
وتأخير وحذف وإضمار وتوسّع في
تصور الخصائص التعبيرية كالدلالة
بلفظ الخصوص على العموم ولفظ
العموم على معنى الخصوص ومخاطبة
الواحد مخاطبة الجميع ، ومخاطبة الجميع
مخاطبة الواحد . كما تنبه في ثنايا ذلك
إلى الصورة العامة للالتفات وان كان
لم يسمه باسمه يقول : ومن مجاز
ما جاءت مخاطبته مخاطبة الشاهد ثم
تركت وحولت مخاطبته إلى الغائب
قال تعالى : (حتى إذا كنتم في الفلك
وجرين بهم) أى بكم .

والذى يقرأ كتاب أبي عبيدة يلاحظ
أنه اختار الآيات التي تصور طرقاً
مختلفة في الصياغة والدلالة متمثلاً بما
يشبهها من أشعار العرب وأساليبهم
وشارحاً لما تتضمنه من لفظ غريب
أو معنى بعيد وما كان أبداً يعنى بكلمة
(مجاز) المعنى الذى أراده البلاغيون
يقول شيخ الاسلام ابن تيمية (١) :

(أول من عرف أنه تكلم بلفظ المجاز
أبو عبيدة معمر ابن المثنى في كتابه
واكن لم يعن بالمجاز ما هو قسيم الحقيقة
ولنما عتّى بمجاز الآية ما يعبر به
عن الآية) .

وفي النصف الأول من القرن الثاني
الهجرى ظهر أبو عثمان عمرو بن
بحر المعروف بالجاحظ المتوفى ٢٥٥ هـ
فألف كتاباً كثيرة نقف عند اثنين
منها هما (البيان والتبيين) و (الحيوان)
وقد تحدث في كتابه الأول عن الفصاحة
والبلاغة عند العرب وعند غيرهم وأكثر
من الحديث عن جزالة الألفاظ وفخامتها
ورقتها وعودتها ونشر ذلك في كل
جوانب كتابه كما عرض لتلاقي الكلمة
مع الكلمة ملاحظاً أن من الألفاظ
ما يتنافر بعضه من بعض وأوجب أن
تكون الكلمات كأفراد الأسرة الواحدة
التي تقوم بينها واشجة الرحم ، وعلى
الجملة فقد ألمّ الجاحظ في كتابه هذا
بالصور البيانية المختلفة وبكثير من
فنون البديع غير أنه لم يسق ذلك في
تعريفات وتحديدات فقد كان مشغولاً
بسوق النموذج البلاغية من غير أن يعنى
بتوضيح دلالة المثال على القاعدة التي
يقررها .

وكتب الجاحظ وإن لم تكن في موضوعنا الذي نعالجه نصا إلا أن بالمسلم حاجة إلى فرائدها ليستطيع تمييز الكلام الجيد من غيره - وكما نعلم فإنه لا يقف على وجوه إعجاز القرآن إلا من عرف معرفة بينة وجوه البلاغة العربية وتكونت له فيها ملكة يقيس بها الجودة والرداءة في الكلام بحيث يميز بين نمط شاعر وشاعر ونمط كاتب وكاتب وبحيث يعرف مراتب الكلام من الفصاحة .

ولا شك أن الجاحظ فيما كتب كان خيرا بالأساليب الفصيحة يميزها ويذكر خصائصها ويكشف عن سبب حسنها أو رداءتها فهو صيرفي بارع في هذا الشأن وسنورد طرفا مما أتى به من تأويل بعض الآيات لتبين مذهبه في بيان ما أشكل فهمه على الناس .

وكانت عنايته في كتاب الحيوان منصبة على أنواع الحيوانات وطبائعها وخصائصها وما جاء في القرآن الكريم عنها وما ذكره العرب في ذلك وإن كان قد عرض لكثير من النصوص الأدبية وبين المراد منها وسبب حسنها أو قبحها .

يقول في تأويل آية (١)

حدثني أبو الجهم قال : سألت أبو عمرو المكفوف عن قوله تعالى (حتى إذا أتوا على وادي النمل قالت نملة يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون فتبسم ضاحكا من قولها) فقلت : إن تديرا يعجب منه نبي من الأنبياء ثم يعظم خطره حتى يضحكه لعجب - قال : فقال ليس التأويل ما ذهبت إليه فإنه قد يضحك النبي عليه السلام من الأنبياء من كلام الصبي ومن نادرة غريبة وكل شيء يظهر من غير معدنه كالتأويل تسمع من المجنون فهو يضحك - فتبسم سليمان عندي على أنه استظرف ذلك المقدار من النملة فهذا هو التأويل .

ويقول (٢) في تأويل قوله تعالى (إنها تخرج من أصل الجحيم طلعها كأنه رعوس الشياطين) وليس أن الناس رأوا شيطانا قط على صورة - ولكن لما كان الله تعالى قد جعل في طباع جميع الأمم استقباح جميع صور الشياطين واستمساجه وكرهته وأجرى على السنة جميعهم ضرب المثل في ذلك رجوع بالإيحاش والتنفير وبالآخافه والتفريع لما قد جعله الله في طباع الأولين والآخرين وعند جميع الأمم على خلاف طبائع جميع الأمم .

ويقول (١) في تأويل قول الله عز وجل
(ان الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما)
وقوله عز اسمه (أكلون لاسحت)
إنه قد يقال لهم ذلك وان شربوا بتلك
الأموال الأنبيذة ولبسوا الحلل وركبوا
الدواب ولم ينفقوا منها درهما واحدا
في سبيل الأكل وقد قال الله عز وجل :
(إنما يأكلون في بطونهم نارا) .

وقال الشاعر في أخذ السنين من أجزاء
الخمير :

أكل الدهر ما تجسم منها
وتبقي مُصاصها المكنونا
وقال الشاعر :

مرت بنا تختال في أربع
يأكل منها بعضها بعضا

ثم يعاق على هذه النصوص بقوله :
إذا قالوا أكل الأسد وإنما يذهبون
إلى الأكل المعروف وإذا قالوا أكله
الأسود وإنما يعنون النهش واللدغ
والعض فقط .

ويقول في باب آخر في مجاز الذوق
وهو قول الرجل إذا بالغ في عقوبة
عبده : ذق وكيف ذقته ؟ وكيف
وجدت طعمه ؟

وقال عز وجل (ذق إنك أنت
العزیز الكريم)

ويحتم كلامه بقوله (٢) : وللعرب
إقدام على الكلام ثقة بفهم أصحابهم
عنهم وهذه فضيلة أخرى وكما جوزوا
بقولهم أكل وإنما عض وأكل وإنما
أفنى وأكل وإنما أحاله . وأكل وإنما
أبطل عينه جوزوا أيضا أن يقولوا :
ذقت ما ليس بطعم ثم قالوا طعمت
لغير الطعام وقال العرجي :

وإن شئت حرمت النساء سواكم
وإن شئت لم أطمع نقاخا ولا بردا

وقال الله تعالى : (إن الله مبتليكم
بنهر فمن شرب منه فليس مني ومن
لم يطعمه فإنه مني) يريد لم يذق طعمه

وعلى هذا النهج وضح الجاحظ كثيرا
من المعاني التي ربما أشكل فهمها على
غير الواقفين على اسرار العربية وبيّن
المراد منها مستشهدا باستعمالات العرب
إذ أن القرآن الكريم نزل بلغتهم فهو
يسوق اللفظ ويبين المراد منه في القرآن
ويستدل على أن العرب يستعملونه هذا
الاستعمال وإن جاء ذكر المجاز في
كلامه فيعني به ما عناه أبو عبيدة
وما يقصد منه في اللغة - ولا يستطيع
منصف أن ينسب للجاحظ أو يأخذ
من كلامه أنه قصد من المجاز ما ذهب
إليه المتأخرون من أنه قسيم الحقيقة .

ولذلك نرى أن الدكتور شوقي ضيف
(١) قد جابه التوفيق حين قال : إن
استعماله (يعنى الجاحظ) لكلمتى
الحقيقة والمجاز في كتاب الحيوان يدخل
في استعمال البلاغيين المتأخرين .

وقد أداه هذا الفهم الخاطئ لكلام
الجاحظ إلى أن يحكم على ابن تيمية
بالخطأ إذ يقول (٢) : إن ابن تيمية
أخطأه التوفيق حين زعم أن تقسيم
اللفظ إلى حقيقة ومجاز تقسيم حادث
بعد القرون الثلاثة الأولى للهجرة -
والنصوص التي سقناها من كلام
الجاحظ فيما سبق شاهدة على صدق
ما نقول .

وننتقل الآن إلى كتاب آخر ظهر في
منتصف القرن الثالث الهجرى هو

كتاب تأويل مشكل القرآن لأبي محمد
عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينورى
المتوفى سنة ٢٧٦ هـ وهو عالم سنى محافظ
يكره الاعتزال والمعتزلة .

وكان غرضه من تصنيف كتاب
(تأويل مشكل القرآن) الرد على
الملاحدة الذين يطعنون على القرآن
الكريم ويقولون : ان به تناقضا وفسادا
في النظم واضطرابا في الاعراب .
ولنما أداهم إلى هذا جهلهم بأساليب

العربية وقصورهم عن إدراك أسرارها
وفهم مراميها ومن ثم جاء هذا الكتاب
لإظهار الحق وإبطال ما يدعون .

وقد عرض ابن قتيبة لبعض آيات
الذكر الحكيم وبين المراد منها مستشهدا
على ما يراه بنصوص من الشعر العربي
ليقيم الدليل على ما يقول ويسقط دعوى
الطاعنين وسفه المكابرين . وكان متأثرا
بأبي عبيدة في كتابه (مجاز القرآن)
يصنع مثل صنيعه وينسج على منواله
فيرض من صور الآيات المشكلة ويبين
المعنى المراد منها على غرار ما صنع
أبو عبيدة وكأنما يتحدث بلسانه
ومضمون آرائه حين يصور مباحث
مصنفة وجهل الملاحدة بمعرفة أسرار
العربية فيقول :

(وللعرب المجازات في الكلام
ومعناها طرق القول وماأخذه فبيها
الاستعارة والتمثيل والقلب والتقديم
والتأخير والحذف والتكرار والاختفاء
والإظهار والتعريض والافصاح والكناية
والإيضاح ومخاطبة الواحد مخاطبة
الجميع ، والجميع خطاب الواحد ،
والواحد والجميع خطاب الاثنين ، والقصد
بلفظ الخصوص معنى العموم ولفظ
العموم معنى الخصوص الى آخر ما ذكره) .

ولفظ المجاز عند ابن قتيبة لا يزال
يستخدم بالمعنى العام كما هو عند أبي
عبيدة ولم يذهب الى المعنى الاصطلاحي
عند المتأخرين ولم يشر إليه في كلامه .

نراه يعرض لصور قرآنية مما يدخل
عند المتأخرين في المجاز المرسل والاستعارة
ويتحدث عن المقلوب وهو ان يوصف
الشيء بضد صفته كتسميتهم اللديغ
سليما والفلاة مفازة كما يتكلم عن
التقديم والتأخير في الآية الكريمة فضحكت
فبشرناها باسحق (أى بشرناها فضحكت
كما تحدث عن الحذف والاختصار
والتعريض والكناية ومخالفة ظاهر اللفظ
معناه وعن الاستفهام يأتي للتقرير
أو التعجب أو التوبيخ وعن الأمر
يكون للتهديد أو التأديب أو الإباحة
ومنه عام يراد به خاص وجمع يراد
به واحد وواحد يراد به جمع ، وقد
يعود الضمير على صنفين وهو لأحدهما
أو على واحد من اثنين وهو لهما جميعا .
وهو يفيض في ذكر صور كثيرة من
أى الذكر الحكيم عارضا لمعناها شارحا
للمراد منها موضحا ما فيها من بيان
على الحد المعروف عند العرب الذين
نزل القرآن بلغتهم .

والواقع أن ابن قتيبة كان متأثرا كل
التأثر بأبي عبيدة معمر بن المثنى حتى

لنستطيع أن نقول : إنه لم يزد عليه
شيئا ذا بال إلا ما عرف من دقة التوبيخ
وإلا ما توسع فيه عند الحديث عن بعض
الكنيات .

وابن قتيبة يسوى بين اللفظ والمعنى
في البلاغة ويجعل المزية لهما جميعا
وكأنه بذلك يرد على الجاحظ مذهبه
في تقديم اللفظ على المعنى وجعل المزية
له حيث يقول : (المعاني مطروحة في
الطريق يعرفها العربي والعجمي)
ولكن ابن قتيبة يجعل المعنى شريكا
للفظ في الحسن ويقسم الكلام على هذا
الأساس إلى ما حسن لفظه ومعناه
وما حسن لفظه دون معناه وما حسن
معناه دون لفظه وما ساء وقبح في
لفظه ومعناه جميعا وإن كان لم يقف
عند القسم الأخير لأنه لا يدخل فعلا
في الكلام البليغ .

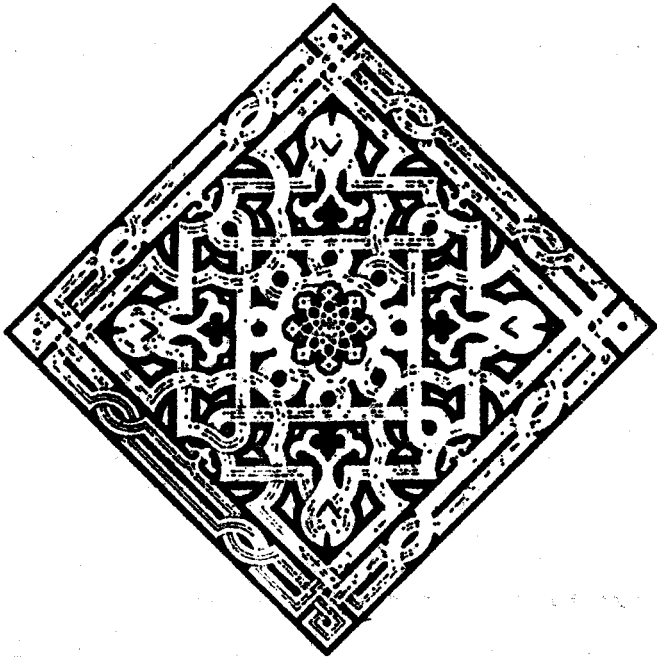
ومن هنا نتبين مذهب ابن قتيبة في
الحكم على الكلام وسبب الحسن فيه
وأنه لكي يكون الكلام بليغا لا بد أن
يجمع فيه حسن اللفظ وحسن المعنى جميعا .

ولا يبقى معنا بعد ذلك لتوفي البحث
في علماء القرن الثالث الهجري سوى
ملاحظات عابرة نثرها الإمام اللغوي
النحوي (المبرد) المتوفي سنة ٢٨٥ هـ
في كتابه الكامل .

وقد عرض في كتابه هذا نماذج شعرية ونثرية كثيرة متبعا لها بالشرح اللغوي ومشيرا أحيانا إلى ما فيها من التفات أو إطناب أو تقديم أو تأخير وحيانا يذكر كلمة المجاز ولكن بالمعنى اللغوي . ولعل أعظم ما خلفه للبلاغيين للسير على هديه هو ما وضعه لهم بشأن الكلام وتنوعه : ذلك أن الفيلسوف الكندي قال له يوما : إني أجد في كلام العرب حشوا : يقولون : عبد الله قائم ، وإن عبد الله قائم ، وإن عبد الله لقائم والمعنى واحد . فأجابه

المبرد قائلا : بل المعاني مختلفة فعبد الله قائم : إخبار عن قيامه ، وإن عبد الله قائم جواب عن سؤال سائل . وإن عبد الله لقائم جواب عن إنكار منكر . وقد كانت هذه الإجابة سببا في بحث البلاغيين لباب من أبواب علم المعاني سموه (أضرب الخبر) وسموا الضرب الأول ابتدائيا والثاني طلبيا والثالث إنكاريا .

هذا ما يسره الله مع ضيق الوقت وقلة المراجع ونعتذر للقارئ الكريم وللبحث بقية ان شاء الله تعالى وبالله التوفيق . .



ومفهومه للإعجاز القرآني

القاضي عياض

لفضيلة الدكتور
أحمد جمال الحمري
كلية الدعوة وأصول الدين

هو عياض بن موسى بن عياض بن عمرو . . أبو الفضل اليحصبي السبتيّ الغرناطيّ الأندلسي (١) ، القاضي الإمام العلامة .

ولد بمدينة سبّنة في شهر شعبان سنة ست وتسعين وأربعمائة (٤٩٦هـ) لذا فهو أندلسي الأصل . قال ابنه محمد : « كان أجدادنا في القديم بالأندلس ثم انتقلوا الى مدينة فاس ، وكان لهم استقرار بالقيروان ، لا أدري قبل حلولهم بالأندلس أو بعد ذلك ، وانتقل عمرو بن عياض إلى سبّنة بعد سكنى فاس . »

ففي قرطبة : أخذ عن القاضي أبي عبد الله محمد بن علي بن حمدين . كما أخذ عن أبي الحسين بن سراج ، وأبي محمد بن عناب وغيرهم ، وأجاز له أبو علي الغساني .

وفي المشرق : أخذ عن القاضي أبي علي حسين بن محمد الصدفي ، وأخذ أيضا عن أبي عبد الله المازني ، وأجاز له الشيخ أبو بكر الطرطوشي . وذكر ولده محمد مجموعة أخرى من الشيوخ منهم : أحمد بن بقي ،

رحلاته العلمية : في سبيل العلم . . رحل عياض إلى الأندلس سنة تسع وخمسائه ٥٠٩ هـ (طالبا للعلم ، فأخذ بقرطبة عن مجموعة غير قليلة من العلماء . وأجاز له بعضهم ، ثم انتقل إلى المشرق ، فأخذ عن مجموعة أخرى من العلماء ، فهو بذلك جمع إلى جانب علم المغاربة علوم المشاركة ، حيث نهل من المنبع والمصب معا .

أساتذته : تذكر المصادر القديمة عشرات الشيوخ والأساتذة الذين تلمذ لهم الرجل .

١ - اليحصبي : بفتح الياء وسكون الحاء وضم الصاد وفتحها وكسرها - نسبة الى يحيى بن مالك ، قبيلة من حمير .
والسبتي : نسبة الى مدينة سبّنة ، والغرناطي نسبة الى غرناطة المدينة الاندلسية المشهورة .

وأحمد بن محمد بن محمد بن مكحول ،
وأبو الطاهر أحمد بن محمد السلفي ،
والحسن بن محمد بن سكره . . وغيرهم
وقال صاحب الصلة بالشكوائية -
بعد أن ذكر بعض شيوخه - : وقد
اجتمع له من الشيوخ بين مَنْ سمع
منه ، وبين من أجاز له مائة شيخ .

وكانت الحصيلة العلمية التي استقاها
من هؤلاء العلماء كبيرة جداً ، يقولون :
إنه صار إمام وقته في الحديث وعلومه ،
والتفسير وعلومه . . كما صار من أهل
التفنن في العلم ، واليقظة والفهم ،
حتى انه بعد عودته من رحلاته العلمية ،
أجلسه أهل سبة للمناظرة في المدونة ،
وهو ابن ثلاثين سنة أو يتيف عنها .
ثم أجلس للشورى ، ثم ولى قضاء
بلده مدة طويلة ، حمدت سيرته فيها ،
ثم نقل إلى قضاء غرناطة في سنة إحدى
وثلاثين وخمسمائة (٥٣١ هـ) .

ولقد أشارت المصادر القديمة بمكانته
العلمية ، فقالت ، إنه كان « فقيهاً
أصولياً ، عالماً بالنحو واللغة وكلام
العرب وأيامهم ، وأنسابهم بصيراً
بالأحكام ، عاقداً للشروط ، بصيراً
حافظاً للمذهب مالك . . رياناً في علم
الأدب ، خطيباً بليغاً .

كما تحدثت عن كريم أخلاقه ،

فقالت إنه كان صبوراً حليماً ، جميل
العشرة ، جواداً سمحاً ، كثير الصدقة
دؤوباً على العمل ، صلباً في الحق .

ونظراً لمكانته الدينية والعلمية - قربته
الموحدون ، حكام المغرب في عصره ،
حيث رحل إلى أميرهم بمدينة سلا ،
فأجزل له العطاء ، وأوجب بره ، .

وظل عياض في رحابهم ، إلى أن
اضطربت أمور الموحدنين عام ثلاثة
وأربعين وخمسمائة (٥٤٣ هـ) حيث
رحل إلى مراکش مشرداً ، بعيداً عن
وطنه ، فكانت بها وفاته في شهر
جمادى الثانية . . وقيل في شهر
رمضان سنة أربع وأربعين وخمسمائة
(٥٤٤ هـ) ودفن في باب إيلان . .
رحمه الله .

مصنفاته :

صنف القاضي عياض مجموعة ضخمة
من المصنفات أهمها :

- ١ - الإعلام بحدود قواعد الاسلام .
- ٢ - الإلماع في ضبط الرواية وتقييد
السمع .
- ٣ - ترتيب المدارك وتقريب المسالك ،
لمعرفة مذهب مالك .
- ٤ - الشفا بتعريف حقوق المصطفى .
- ٥ - مشارق الأنوار في تفسير غريب
حديث الموطأ والبخارى ومسلم .

٦ - المعلم في شرح صحيح مسلم .

وللأسف الشديد ضاع معظم مؤلفاته التي تقدر بعشرين مؤلفاً ، ولم يبق منها إلا التزر اليسير ، وأهم الكتب التي أفلتت من يد الزمن « كتاب الشفا » الذي يبرز عقلية الرجل ، ومنهجه في الفهم ، وطريقته في التأليف ، ومن هذا الكتاب نستطيع أن نعرف مفهوم الرجل للإعجاز القرآني .

لم يخصص القاضي عياض للإعجاز القرآني كتاباً مستقلاً ، ولكنه تناول هذا الموضوع بين ثنايا كتابه « الشفا بتعريف حقوق المصطفى (١) » - صلى الله عليه وسلم ، وأثناء حديثه عن معجزات الرسول . فقد خصص فصلاً صغيراً جعل عنوانه « فصل في إعجاز القرآن » ذكر فيه أوجه الإعجاز القرآني كما رآها هو .

فهو يرى أن الإعجاز القرآني ينحصر في أربعة أوجه :

أولها : حُسْنُ تَأْلِيْفِهِ ، والثَّامِ كَلِمَةٍ وَفَصَاحَتُهُ ، وَوَجْهُ إِيجَازِهِ وَبَلَاجَتِهِ الْخَارِقَةِ عَادَةَ الْعَرَبِ .

وثانيها : صُورَةُ نَظْمِهِ الْعَجِيبِ ، وَالْأَسْلُوبِ الْغَرِيبِ ، الْمَخَالِفِ لِأَسَالِيبِ كَلَامِ الْعَرَبِ ، وَمَنَاهِجِ نَظْمِهَا وَنَثْرِهَا الَّذِي جَاءَ عَلَيْهِ ، وَوَقَّعَتْ مَقَاطِعَ آيِهِ ، وَانْتَهَتْ فَوَاصِلُ كَلِمَاتِهِ إِلَيْهِ ، وَلَمْ يُوْجَدْ قَبْلَهُ وَلَا بَعْدَهُ نَظِيرٌ لَهُ .

وثالثها : مَا انطوى عليه من الإخبار بالمعيات ، وما لم يكن ولم يقع ، فوجد كما ورد على الوجه الذي أخبر والوجه الرابع : ما أنبأ به من أخبار القرون السالفة ، والأمم البائدة ، والشرائع الدائرة مما كان لا يعلم منه القصة الواحدة إلا الفذ من أخبار أهل الكتاب الذي قطع عمره في تعلم ذلك .

ويعلل القاضي عياض للأسباب التي جعلت من « حُسْنِ تَأْلِيْفِ الْقُرْآنِ » « لِثَمَامِ كَلِمَةٍ وَجَهًا مِنْ أَوْجِهِ الْإِعْجَازِ الَّتِي تَمِيزُ بِهَا فَيَقُولُ :

« وَذَلِكَ أَنَّهُمْ (أَى الْعَرَبِ) كَانُوا أَرْبَابَ هَذَا الشَّانِ وَفِرْسَانَ الْكَلَامِ ، فَقَدْ خُصَّوْا مِنَ الْبَلَاجَةِ وَالْحِكْمِ بِمَا لَمْ يُخَصَّ بِهِ غَيْرُهُمْ مِنَ الْأُمَّمِ ، وَأَوْتُوا مِنْ ذَرَابَةِ اللِّسَانِ (١) مَا لَمْ يُؤْتِ لِإِنْسَانٍ ،

١ - طبع هذا الكتاب في دار الفكر ببيروت والتصحيحات . انظر ص ٢٥٨ من الجزء الاول

١ - ذرابة اللسان : بحدقه

وَمِنْ فَصْلِ الْخَطَابِ مَا يُقَيِّدُ الْأَنْبَابَ
 وَجَعَلَ اللَّهُ لَهُمْ ذَلِكَ طَبْعاً وَخَلَقَهُ ، وَفِيهِمْ
 غَرِيزَةٌ وَقُوَّةٌ ، يَأْتُونَ مِنْهُ عَلَى الْبَدِيهَةِ
 بِالْعَجَبِ ، وَيُدُّونَ بِهِ إِلَى كُلِّ
 سَبَبٍ ، فَيَخْطُبُونَ بَدِيهاً فِي الْمَقَامَاتِ
 وَشَدِيدِ الْخَطْبِ ، وَيَرْتَجِزُونَ بِهِ
 بَيْنَ الطَّعْنِ وَالضَّرْبِ ، وَيَمْدَحُونَ
 وَيَقْدَحُونَ ، وَيَتَوَسَّلُونَ وَيَتَوَصَّلُونَ
 وَيَرْفَعُونَ وَيَضَعُونَ ، فَيَأْتُونَ مِنْ
 ذَلِكَ بِالسَّحْرِ الْحَلَالِ ، وَيُطَوِّقُونَ
 مِنْ أَوْصَافِهِمْ أَجْمَلَ مِنْ سُمُطِ اللَّالِ
 فَيَسْخَدَعُونَ الْأَبَابَ ، وَيُدَلِّدُونَ
 الصَّعَابَ ، وَيُدْهِبُونَ الْإِحْنَ (٢) ،
 وَيُهَيِّجُونَ الدَّمَّ ، وَيُجَرِّدُونَ الْجَبَانَ
 وَيَبْسُطُونَ يَدَ الْجَعْدِ (٣) الْبَنَانِ ،
 وَيُصَيِّرُونَ النَّاقِصَ كَامِلاً ، وَيَتَرَكُونَ
 النَّبِيهَ خَامِلاً ، مِنْهُمْ الْبَدَوِيُّ ذُو اللَّفْظِ
 الْجَزَلِ ، وَالْقَوْلِ الْفَصْلِ ، وَالْكَلَامِ
 الْفَخْمِ ، وَالطَّبِيعِ الْجَوْهَرِيِّ ، وَالْمَنْزَعِ
 الْقَوِيِّ ، وَمِنْهُمْ الْخَصْرِيُّ ذُو الْبَلَاغَةِ
 الْبَارِعَةِ ، وَالْأَلْفَاظِ النَّاصِعَةِ ، وَالْكَلِمَاتِ
 الْجَامِعَةِ ، وَالطَّبَعِ السَّهْلِ ، وَالتَّصَرُّفِ

فِي الْقَوْلِ الْقَلِيلِ الْكُلْفَةِ ، الْكَثِيرِ
 الرَّوْنَقِ ، الرَّقِيقِ الْحَاشِيَةِ « . . .

« وَلَهُمْ فِي الْبَلَاغَةِ الْحِجَّةُ الْبَالِغَةُ ،
 وَالْقُوَّةُ الدَّامِغَةُ ، وَالْقَدَحُ الْفَالِجُ (٤) ،
 وَالْمُهَيْجُ النَّاهِجُ (٥) لَا يَشْكُونَ أَنْ
 الْكَلَامَ طَوَّعَ مُرَادِهِمْ ، وَالْبَلَاغَةَ
 مِلْكَ قِيَادِهِمْ ، قَدَّ حَوَّأُوا فَنُونَهَا
 وَاسْتَنْبَطُوا عَيْونَهَا ، وَدَخَلُوا مِنْ
 كُلِّ بَابٍ مِنْ أَبْوَابِهَا ، وَعَدَّوْا صَرَخاً
 لُبُوغِ أَسْبَابِهَا ، فَقَالُوا فِي الْخَطِيرِ
 وَالْمُهَيِّنِ ، وَتَفَتَّنُوا فِي الْغَثِّ وَالسَّمِينِ
 وَتَقَاوَلُوا فِي الْقُلِّ وَالْكَثْرِ ، وَتَسَاجَلُوا
 فِي النِّظْمِ وَالنَّثْرِ . . . »

« فَمَا رَاعَهُمْ إِلَّا رَسُولَ كَرِيمٍ ،
 بِكِتَابٍ عَزِيزٍ ، لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ
 بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ ، تَنْزِيلٌ
 مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ . . . أَحْكَمَتْ آيَاتُهُ ،
 وَفَصَّلَتْ كَلِمَاتُهُ ، وَبَهَّرَتْ بَلَاغَتُهُ
 الْعُقُولَ ، وَظَهَّرَتْ فَصَاحَتَهُ عَلَى كُلِّ
 مَقُولٍ ، وَتَظَاوَرَ لِإِيحَاذِهِ وَإِعْجَازِهِ ،
 وَتَظَاهَرَتْ حَقِيقَتُهُ وَمَجَازُهُ ، وَتَبَارَتْ
 فِي الْحُسْنِ مَطَالِعُهُ وَمَقَاطِعُهُ ،

٢ - الإحن : جمع أحنه وهي الحقد

٣ - الجعد : المكريم من الرجال ، أما إذا قيل جعد اليبدين ، أو جعد الانامل فهو البخيل ،
 وربما لم ينكروا معه اليبد .

٥ - المهيج الناهج : الطريق السالك .

٤ - القدح الفالج : السهم الفائز .

وَحَوَتْ كُلَّ الْبَيَّانِ جَوَامِعُهُ وَبَدَائِعُهُ
 واعتدلَ مع إيجازه حُسْنُ نَظْمِهِ ،
 وانطبقَ على كثرةِ فوائده مختارُ لفظه ،
 وهم (أى العرب) أفصح ما كانوا
 في هذا الباب مجالاً ، وأشهرُ في
 الخطابة رجالاً ، وأكثرُ في السَّجْعِ
 والشَّعْرِ سجالاً ، وأوسعَ في الغريب
 واللُّغَةِ مقالاً ، بلغتهم التي بها
 يتجاوزُونَ ، ومنازعهم التي عنها
 يتناضلُونَ ، صارخاً بهمٍ في كُلِّ
 حينٍ ، ومقرَّعاً لهم بضعاً وعشرين
 عاما على رؤوس الملاء أجمعين .

« وإن كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى
 عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ ،
 وادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ
 إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ، فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا ،
 وَلَنْ تَفْعَلُوا ، فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي
 وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ
 لِلْكَافِرِينَ (١)

« قُلْ لَئِنْ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ
 عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ ،
 لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ ، وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ
 لِبَعْضٍ ظَهِيراً » (٢)

« قُلْ : فَأَتُوا بِعَشْرِ سُورٍ مِثْلِهِ
 مُفْتَرِيَاتٍ (٣) »

« ذلك أن المفتري أسهلُ ، ووضع
 الباطلِ والمختلقِ على الأختيارِ أقربُ
 واللفظ إذا نبع المعنى الصحيح كان
 أصعب . »

« فلم يَزَلْ يُقَرِّعُهُمْ - صلى الله
 عليه وسلم - أشدَّ التقرِيعِ ، ويوبِّخُهُمْ
 غاية التوبيخِ ، ويسفه أحلامهم ،
 ويحط أعلامهم ، ويُسْتَتُّ نظامهم ،
 ويذمُّ أهْلَهُمْ وإياهم ، ويستبيح أرضهم
 وديارهم وأموالهم ، وهم في كل هذا
 ناكصون عن معارضته ، يخادعون
 أنفسهم بالتشغيب والتكذيب ، والإغراء
 بالافتراء . . . والادِّعاء مع العَجْزِ
 بقولهم : « لو نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا »
 وقد قال لهم الله : « وَلَنْ تَفْعَلُوا
 فما فعلوا ولا قدرُوا . . . »

هذا هو الوجه الأول من وجوه
 الإعجاز القرآني كما يراه القاضي عياض .
 وعن الوجه الثاني : وهو صورة نظمه
 العجيب ، والأسلوب الغريب ،

المخالف لأساليب كلام العرب ، يقول
القاضي عياض : انه لم يوجد قبله
ولا بعده نظير له ، ولا استطاع أحدٌ
مماثلة شيء منه ، بل حارت فيه
عقولهم ، وتدلّته دنة أحلامهم
ولم يهتدوا إلى مثله في جنس كلامهم
من نثر أو نظم أو سجع أو رجز أو
شعر . «

« لما سمع كلامه - صلى الله عليه
وسلم - الوليد بن المغيرة ، وقرأ عليه
القرآن رقاً ، فجاءه أبو جهل منكراً
عليه ، قال : والله ما منكم أحدٌ
أعلمُ بالأشعار مني ، والله ما يشبهه
الذي يقول شيئاً من هذا . «

« وفي خبره الآخر - حين جمع
قريشاً عند حضور الموسم ، وقال إن
وفود العرب ترد فأجمعوا فيه رأياً
لا يكذبُ بعضكم بعضاً ، فقالوا :
نقول كاهن ، قال : والله ما هو بكاهن ،
ما هو بزمنمته (١) ولا سجعه ،
قالوا : مجنون ! قال : ما هو بمجنون
ولا بخنقه ولا وسوسته ، قالوا :
فنقول شاعر ، قال : ما هو بشاعر ،

قد عرفنا الشعر كله رجزه وهزجه ،
وقريضه ومبسوطه ومقبوضة . . .
ما هو بشاعر . قالوا : فنقول ساحر .
قال : ما هو بساحر ولا نفثه ولا عقده ،
قالوا : فما نقول ؟ قال : ما أنتم
بقائلين من هذا شيئاً إلا وأنا أعرفُ
أنه باطلٌ وإن أقرب القول أنه ساحرٌ
فإنه سحر يفرق بين المرء وابنه ، والمرء
وأخيه ، والمرء وزوجه ، والمرء وعشيرته
فتفرقوا وجلسوا على السبيل يحذرون
الناس ، فأنزل الله تعالى في الوليد :
« ذرني ومن خلقت وحيداً ، وجعلتُ
له مالا ممدوداً ، وبين شهوداً ،
ومهدتُ له تمهيداً : ثم يطمع أن
أزيد ، كلاً إنّه كان لآياتنا عنيداً ،
سأرهقه صعوداً ، إنه فكرٌ وقدر ،
فقتل كيف قدر ، ثم قتل كيف
قدر ، ثم نظر ، ثم عبس وبسر
ثم أدبر واستكبر فقال : إن هذا إلا
سحرٌ يؤثر ، إن هذا إلا قولُ البشر ،
سأصليه سقر (٢) »

« والأخبار في هذا صحيحة كثيرة ،
والإعجازُ بكل واحدٍ من النوعين

١ - الزمزمة : صوت خفي لا يكاد يفهم (القاموس)

٢ - سورة المدثر : الآيات ١١ - ٢٦

الإيجاز والبلاغة بذاتها ، والأسلوب الغريب بذاته ، كل واحد منها نوعٌ إعجاز على التحقيق ، لم تقدر العرب على الإتيان بواحدٍ منهما ، إذ كلُّ واحدٍ خارج عن قدرتها مَبِينٌ لفصاحتها وكلامها . وإلى هذا ذهب غيرُ واحدٍ من أئمة المحققين .

أما الوجه الثالث - كما يراه القاضى عياض - فهو الوجه التاريخي ، الذى عبر عنه بقوله : (ما انطوى عليه من الإخبار بالمغيبات ، وما لم يكن ، ولم يقع . . فوجد كما ورد على الوجه الذى أخبر . كقوله تعالى : « لَتَدْخُلُنَّ المسجدَ الحرامَ إن شاء الله آمين » (١)

وقوله تعالى : « ألم ، غلبت الرومُ في أدنى الأرض ، وهم من بعد غلبهم سيغلبون » (٢) وقوله : « هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله » (٣) وقوله : « وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض ، كما استخلف الذين من قبلهم ، وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى

لهم ، وليبدلنهم من بعد خوفهم أمناً » (٤) . . .

« فكان جميع هذا كما قال : فغلبت الروم فارسَ في بضع سنين ، ودخل الناس في الاسلام ، أفواجاً ، فما مات صلى الله عليه وسلم ، وفي بلاد العرب كلها موضعٌ لم يدخله الاسلام ، واستخلف الله المؤمنين في الأرض ، ومكن فيها دينهم ، وملكتهم إياتها من أقصى المشارق إلى أقصى المغرب ، كما قال صلى الله عليه وسلم : « زويت لى الأرض فأريت مشارقها ومغاربها ، وسيبلغ ملك أمى ما زوى لى منها »

وأما الوجه الرابع : من وجوه إعجاز القرآن - فهو يتصل كسابقه بالجانب التاريخي ، ولكنه لا يتناول الأمور المستقبلية ، ولكنه يتحدث عن أخبار القرون السالفة ، والأمم البائدة والشرائع الدائرة مما كان لا يعلم منه القصة الواحدة إلا الفذة من أخبار أهل الكتاب على نصه فيعرف العالم بذلك ، فيورده النبي - صلى الله عليه وسلم - على وجهه ، ويأتي به على نصه ، فيعرف العالم بذلك بصحته وصدقه ،

١ - سورة الفتح الآية ٢٧

٢ - سورة الروم الايات ١ - ٣

٣ - سورة التوبة الآية ٣٣

٤ - سورة النور الآية ٥٥

وَأَنَّ مِثْلَهُ لَمْ يَنْتَلِهِ بِتَعْلِيمٍ ، وَقَدْ عَلَّمُوا أَنَّهُ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أُمِّيٌّ لَا يَقْرَأُ وَلَا يَكْتُبُ وَلَا اشْتَغَلَ بِمَدَارِسَةٍ وَلَا مِثَافَنَةِ (٥) ، وَلَمْ يَغِيبْ عَنْهُمْ ، وَلَا جَهَلَ حَالَهُ أَحَدٌ مِنْهُمْ .

ويدلل القاضي عياض على دقة هذا الوجه فيقول :

« وقد كان أهل الكتاب كثيرا ما يسألونه - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - عَنْ هَذَا فَيَنْزِلُ عَلَيْهِ مِنَ الْقُرْآنِ مَا يَتَلَّوْهُ عَلَيْهِمْ مِنْهُ ذِكْرًا ، كَقِصَصِ الْأَنْبِيَاءِ مَعَ قَوْمِهِمْ ، وَخَبَرِ مُوسَى وَالْخَضِرِ ، وَيُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ ، وَأَصْحَابِ الْكَهْفِ ، وَذِي الْقُرْنَيْنِ ، وَلِقْمَانَ وَابْنَهُ ، وَأَشْبَاهَ ذَلِكَ مِنَ الْأَنْبَاءِ وَبَدْءِ الْخَلْقِ ، وَمَا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالزَّبُورِ ، وَصُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى مَا صَدَّقَهُ فِيهِ الْعُلَمَاءُ بِهَا ، وَلَمْ يَقْدِرُوا عَلَى تَكْذِيبِ مَا ذُكِرَ مِنْهَا ، بَلْ أَدْعَنُوا لِذَلِكَ . . »

« فمن مَوْفَّقَ آمَنَ بِمَا سِيقَ لَهُ مِنْ خَبْرٍ ، وَمَنْ شَقِيَِّ مَعَانِدٍ حَاسِدٍ ، وَمَعَ هَذَا لَمْ يُحْكَمْ عَنْ وَاحِدٍ مِنَ النَّصَارَى وَالْيَهُودِ عَلَى شِدَّةِ عِدَاوَتِهِمْ لَهُ ، وَحِرْصِهِمْ عَلَى تَكْذِيبِهِ ، وَطُولِ احْتِجَاجِهِ عَلَيْهِمْ بِمَا فِي كُتُبِهِمْ ،

وتقريرهم بما انطوت عليه مصاحفهم وكثرة سؤالهم له - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وتعنيهم إياه عن أخبار أنبيائهم وأسرار علومهم ، ومستودعات سيرهم وإعلامه لهم بمكتوم شرائعهم ومضمنات كتبهم مثل سؤالهم عن الروح ، وذى القرنين ، وأصحاب الكهف ، وعيسى وحكم الرجم ، وما حرم إسرائيل على نفسه ، وما حرم عليهم من الأتعام ، ومن طيبات كانت أحلت لهم فحرمت عليهم ببغيتهم ، وقوله : (ذلك مثلهم في التوراة ، ومثلهم في الإنجيل) ، وغير ذلك من أمورهم التي نزل فيها القرآن ، فأجابهم وعرفهم بما أوحى إليه من ذلك أنه أنكر ذلك أو كذبه ، بل أكثرهم صرح بصحة نبوته ، وصدق مقالته ، واعترف بعناده وحسنه إياه ، كأهل نجران وابن صوريا وبنى أخطب وغيرهم . . »

هذه هي الوجوه التي اعتمدها القاضي عياض دليلاً على إعجاز القرآن ، وخصص لها - في كتابه « الشفا » باباً من أربعة فصول . .

فإذا نظرنا إلى ما كتبه القاضي . .

٥ - المفاضة : المجالسة والمراد بها هنا مجالسة العلماء لتلقى العلم عنهم .

من ثقافة ، استطاعوا أن يختصروا ويهذبوا ، وينتقوا ويوفّقوا . . وفي حقيقة الأمر - لم يستطيعوا الإتيان بجديد يذكر في مجال البحث .

من هنا نستطيع أن نقول : إن القاضى عياض كان جماعاً ناقلاً ، مختصراً مهذباً لآراء السابقين ، والدليل على ذلك قوله أحياناً : « وإلى هذا ذهب غير واحد من أئمة المحققين (١) » وقوله : « وقد اختلف أئمة أهل السنة (٢) » وقوله : « وقد عدّ جماعة من الأئمة ومقلدى الأمة . (٣) » . وهو وإن استطاع أن يلبس ما نقله واختصره ثوباً جديداً ، إلا أنه لم يستطع أن يخفى حقيقة صاحبه ، أو يحجب وجه مؤلفه . نستطيع أن نسمع صوت الجاحظ من خلال الوجه الأول ، حين قال عن العرب :

« ولهم الحجة البالغة ، والقوة الدامغة ، القدح الناتج ، والمهيج الناهج . . لا يشكون أن الكلام طوع مرادهم ، والبلاغة ملك قيادهم ، قد حووا فنونها واستنبطوا عيونها ، ودخلوا من كل باب من أبوابها ، وعلّوا صرحه لبلوغ أسبابها ، فقالوا في الخطير والمهين ،

وجدنا أن هذه الأوجه ليست جديدة على أذهاننا ، أو بمعنى آخر - وجدنا أنه ليس أول من أشار إليها . إن هذه الوجوه ليست من كدّ فكره ، ولا من إعمال عقله ، ولكنها من جمعه وتحصيله ، ونقله وتدوينه .

فالقاضى عياض شأنه شأن علماء عصره ، جال جولات واسعة بين ثنايا مؤلفات السابقين وانتهى منها ، واختصر لبعضها كى يجمع مادة علمية لهذا الباب الذى خصصه للإعجاز لذلك نستطيع أن نقول بوضوح أنه لم يأت بجديد في بحثه .

إن عصره لم يكن عصر إبداع أو إختراع . . وإنما كان عصر يجمع وتهذيب ثم إنتخاب وسرد .

إن العلماء السابقين - منذ القرن الثالث الهجرى الى حوالى منتصف القرن الخامس - قتلوا كل هذه الموضوعات بحثاً وتدقيقاً ، وتحليلاً وتمحيصاً ، وتعمقوا إلى أن توصلوا إلى آراء كثيرة طيبة وجديدة ، أما من جاء بعدهم - فكان مجهودهم متواضعاً ، لم يكن في مقدورهم أن يضيفوا شيئاً جديداً ، ولكنهم نتيجة لما اكتسبوه

١ - الشفا ج ١ ص ٢٦٦

٢ - المصدر نفسه ١/٢٦٦

٣ - المصدر نفسه ١/٢٧٣

وتفتنوا في الغث والسمين ، وتناولوا
في القُلِّ والكُثْر ، وتساجلوا في
النظم والنثر . . (٤) »

ونستطيع أن نرى صورة الرماني من
خلال آرائه البلاغية (٥)

ونستطيع أن نسمع صوت الخطابي
وهو يتحدث بعمق عن الوجه النفسي
للإعجاز القرآني (٦)

كما نستطيع أن نقرأ ما كتبه الجرجاني
وبالاقلائي عن نظم القرآن . . وهكذا .

فالقاضي عياض - وإن كان لم يُشر
إلى مصادره - إلا أننا استطعنا بما لنا
من خبرة في هذا الموضوع ، أن نحدد
مصادره بدقة .

أضف الى ذلك - أن القاضي عياض
قد كشف عن حقيقة نقله ، حين
وجد أن هناك كثيراً من الآراء لم يسلكها
بين أوجه الإعجاز التي حددها ،
وخشى أن يفوته ذكرها . . لذلك
سمعناه يقول بعد الفصول التي اعتمدها
للإعجاز . .

« ومن الوجوه البينة في إعجازه من
غير هذه الوجوه : أي وردت بتعجيز

قوم في قضايا إعلامهم أنهم لا يفعلونها
فما فعلوا ولا قدروا على ذلك . .
كقوله لليهود :

« قُلْ إن كانت لكم الدار الآخرة
عند الله خالصة . . » وكذلك آية
المباهلة ، من هذا المعنى ، حيث وفد
عليه أساقفه نجران وأبوا الاسلام ،
فأنزل الله تعالى عليه آية المباهلة بقوله :
« فَمَنْ حَاجَّكَ فِيه » .

ومنها . الروعة التي تلحق قلوب
سامعيه وأسماعهم عند سماعه . .
ثم وجد القاضي عياض انه رغم ذلك
لم يستوف كل وجوه الإعجاز التي
ذكرها العلماء السابقون ، فعقد فصلاً
جديداً بدأه بقوله : « ومن وجوه
إعجازه المعدودة . . » كونه آية باقية
لا تعدم ما بقيت الدنيا مع تكفُّل الله
تعالى بحفظه ، فقال : « إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا
الدِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لِحَافِظُونَ »

كذلك وجد القاضي عياض نفسه
لم يستكمل كل جوانب موضوعه ،
وان هناك آراءً أخرى كثيرة ، ذكرها
العلماء ولم يسجلها ، فلم يجد من ذلك
بدياً من أن يجمعها معا ويفرد لها فصلاً

٤ - انظر حجج النبوة للمجاhez ص ١٤٤ ومابعدها

٥ - انظر رسالة الرماني « النكت في اعجاز القرآن » وقارن ماكتبه القاضي عياض في

الوجهين الاول والثاني

٦ - انظر رسالة الخطابي « بيان اعجاز القرآن ص ٦٤ ومابعدها » وقارن ماكتبه

القاضي في ج ١ ص ٢٧٣

أخيراً لم يحدد له عنوانا ، بل قال في
مطلعه :

« وقد عدّ جماعة من الأئمة ومقلّدي
الأمة في إعجازه وجوها كثيرة »

ولعل هذا الفصل الأخير خير دليل
على صحة ما ذهبنا إليه من أن القاضي
عياض كان جماعاً ناقلاً ، مختصراً
مهذباً ، فقد أجمل في هذا الفصل
الأخير معظم ما قيل من آراء ووجوه
حول إعجاز القرآن ، وهي وجوه
متباينة ليس بينها رابط معين ، إنما
تندرج جميعاً تحت باب الإعجاز . قال :
ومنها : أن قارئه لا يَمَلُّه وسامعه
لا يمجّه

ومنها : جمعه لعلوم ومعارف لم
تعهد العربُ عامّة ، ولا محمد صلى
الله عليه وسلم قبل نبوته خاصة بمعرفتها
ولا القيام بها

ومنها : جمعه فيه بين الدليل ومدلوله . .
ومنها : أن جعله في حيز المنظوم
الذي لم يُعْهَد

ومنها : تيسيره تعالى حفظه لتعليمه ،
وتقريبه من متحفظيه

ومنها : مشاكلة بعض أجزائه بعضاً ،
وحسن ائتلاف أنواعها ، وإلتئام أقسامها

ومنها : الجملةُ الكثيرة التي انطوت
عليها الكلمات القليلة .

وختم القاضي عياض هذا الفصل
بقوله : « وهذا كله وكثير مما ذكرنا
أنه ذُكِرَ في إعجاز القرآن إلى وجوه
كثيرة ذكرها الأئمة لم نذكرها ،
أكثرها داخل في باب بلاغته »

وكأنه وجد أن هذا السرد سيخرجه
عن نطاق البحث فاستدرك قائلاً :
« فلا نُحِبُّ أن يُعَدَّ فنا منفرداً
في إعجازه إلا في باب تفصيل فنون
البلاغة ، وكذلك كثير مما قدّمنا
ذكره عنهم يُعَدُّ في خواصه وفضائله
لا في إعجازه

وحقيقة الإعجاز الوجوه الأربعة التي
ذكرنا ، فليُعتمد عليها ، وما بعدها
من خواص القرآن وعجائبه التي لا
تنقضى

هكذا رأينا أن القاضي عياض -
في بحثه عن الإعجاز القرآني - قد
جمع الوجوه جميعها ونقل كل ما ذكره
العلماء الراسخون في العلم ، المبتكرون
لأصوله . الذين كدّوا واجتهدوا ،
جمعَ جهودهم ، وحصيله أبحاثهم ،
وخلاصة نتاجهم ، ووضعها جنباً إلى
جنب ، أردف ما قاله الثاني إلى ما قاله

الأول . . . وكان حصيلة جمعه ، خلاصة ما قيل عن الاعجاز القرآني من آراء ، وما كتب من بحوث منذ القرن الثالث الهجري حتى عصره .

وقلنا . . . إن هذا العمل لا يرمى إلى مرتبة الإبداع ، وإنما هو جمع وانتخاب وتلخيص وتهذيب ، يظهر من خلاله كثرة قراءات الرجل ، وسعة إطلاعه وصبره أيضاً .

فإذا درسنا ما سجله القاضي عياض - في كتابه - نجد أن التوفيق وإن كان قد حالفه في عملية التلم والحصر ، إلا أنه لم يحالفه في الفهم والتبويب . فهو لم يفتن إلى موضع كل وجه من هذه الأوجه من الآخر ، ولم يدرك تحت أى الفصول يوضع أو يتدرج . لذلك ظهر بحثه مفككاً قلقاً غير مترابط لتعدد المسارات وتشتت العبارات . كما ظهر لنا أيضاً - أنه هو نفسه متردد حائر تائه بين مصنفات السابقين وآرائهم تنقصه ثقة العالم ، وخبرة الأستاذ .

فإذا نظرنا في وجوه الأربعة التي اختارها ، وجدنا أن الوجه الثاني وهو : (صورة نظم القرآن العجيب ، والأسلوب الغريب . . .) ما هو إلا تكرار للوجه الأول (حُسن تأليفه والتثام كلمه

وفصاحته وبلاغته . . .) فكلا الوجهين يتدرجان تحت علوم البلاغة بيّد أنه حين وضعهما على صورتها هذه قد أضفى عليهما صفة التعميم . فالوجهان الأول والثاني - في حقيقة أمرهما وجه واحد يتصل ببلاغة القرآن . . . هكذا قال الجرجاني .

- كذلك الوجه الثالث وهو :

(ما انطوى عليه (القرآن) من الإخبار بالمغيبات . . .) والوجه الرابع (ما أنبأ به من أخبار القرون السابقة ، والأمم البائدة . . .) كلاهما يتدرج تحت الجانب التاريخي ، فهما في واقع الأمر وجه واحد يصور إعجاز القرآن من حيث الزمن . . . واتصاله بحركة التاريخ في الماضي والمستقبل .

ومعروف أن القاضي عياض كان يهتدى بآراء أهل السنة . . . ومع ذلك فقد ضلّله عنصر النقل والاقْتباس ، فوقع في المحذور حين لم يفهم ما ذكره المعتزلة من القول « بالصرْفة » فراه يذكر ما ذهب إليه أبو الحسن الرماني المعتزلي - من أن القرآن « مما يمكن أن يدخل مثله تحت مقدور البشر ، ويقدرهم عليه ، ولكنه لم يكن هذا . . . فمنعهم الله هذا وعجزهم عنه (١) »

وهو لا يدرى أن هذا الرأى أنكره أهل السنة وحاربوه ، وسفهوا آراء القائلين به . هذا من حيث الشكل العام أو المظهر . .

فإذا ما درسنا أوجه الإعجاز الأربعة التى إختارها القاضى عياض ، وأمنا النظر فيها ، وجدنا أن الوجه الأول فى حقيقة أمره ليس من وجوه الإعجاز ، وإنما هو فى وضعه الدقيق شاهد من شواهد الإعجاز ، ودليل من أدلته القاطعة .

أما الوجه الثانى : الذى يتعلق بنظم القرآن وأسلوبه ، فهو ما توافق عليه جلُّ الباحثين والعلماء الذين بحثوا فى إعجاز القرآن . وحاولوا الكشف عن أسراره ، لقد أجمعوا على أن هذا الأسلوب الذى انفرد به القرآن مخالف لأساليب كلام العرب ومناهج نظمها ونثرها . . وأن نظمه جاء على صورة لم تقع للعرب ، وإن جمعت الطيب الحسن من كل أسلوب .

وأما الوجه الثالث : الذى اختاره القاضى عياض وهو الإخبار بالمغيبات « فهو فى حقيقته أمره ليس وجها من وجوه الإعجاز يمكن أن تقطع الخصم عن المعارضة وتمسك به عن العناد واللجاج

« إذ كثير من الكهان كانوا يرجمون بالغيب فيصيبون ويخطئون ، ولو كان القرآن حين تحدى العرب قد أشار إلى هذا الوجه من التحدى كما أقروا بالعجز عنه ، ولما شهدت عليهم الحياة به ، بل لكان لهم على هذا الوجه سبيل إلى المجادلة والمحاجة والمعارضة ، ولاستدعوا إليهم كهنتهم وأصحاب الرأى عندهم ، ولكان لهم قول إلى جانب هذا القول الذى جاء به القرآن . . وإن بَعُد ما بين القولين فى مقام الصدق واليقين ، ولكن الخصم العنيد المتجبر لا يستسلم حتى يرمى بأخر شىء فى يده ، ولو كان عوداً من الحطب يقاوم به السيف والرماح (١) »

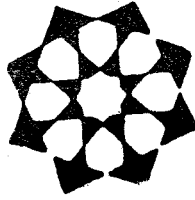
وأما الوجه الرابع : « ما أنبأ به من أخبار القرون السالفة ، والأمم البائدة . . » فهو كسابقه ، لا يمكن أن يكون معجزة قائمة للتحدى القاطع المفحم . . وإن كان هو وسابقه مما يضىء على إعجاز القرآن جلالاً وروعة ، ومما يزيد إشرافاً وآلماً »

إذن فالوجوه الأربعة التى اختارها القاضى . . فى أغلبها أدلة أو شواهد على الإعجاز أما الوجه الحقيقى ، فهو ذلك الوجه الذى ألحقه الرجل بهذه

التي تعديهم عند تلاوته - هي مناط
الاعجاز الحقيقي ، وهي المعجزة
القائمة فيه أبد الدهر ، وإلى أن يرث
الله الأرض ومن عليها ، وإن كان
القاضي عياض قد جعله حاشية في
وجوه الاعجاز ، من باب تحصيل
الحاصل .

د. احمد جمال العمري

الوجوه الأربعة ، وكأنه يرى أنه
نافلة ، وليس أصلاً في باب الإعجاز ،
وهو : « الروعة التي تلحق قلوب
سامعيه وأسماعهم عند سماعه . فهذا
الوجه - في رأينا - هو عمدة وجوه
الاعجاز القرآني على الإطلاق ، إن لم
يكن وحده وجه الاعجاز ، وهو
الوجه عينه الذي توصل إليه الخطابي
قبله بنحو قرنين من الزمان . فالروعة



رسائل لم يجامها البريد

لفضيلة الشيخ عبد الرؤوف اللبدي
الاستاذ المساعد بكلية الشريعة

أخي :

علام تشيح بوجهك عنى
إذا ما التقينا بعرض الطريق
وحينا نحدق عينك في
كأني عبد بسوق الرقيق
فما كنت يوماً مسيئاً إليك
وما كنت يوماً مضيع الحقوق

زرعت لك الأرض شتى الثمار
فأنت بها فاكه لا تريم
أقوم عليها بياض النهار
وأحرسها في الظلام البهيم
وكم لطمتني رياح الشتاء
وكم صفعتني رياح السموم
فآبت يداي بسد الكفاف
وآبت يداك بغنم عظيم
وما إن حقدت وما إن حسدت
وقلت مشيئة رب حكيم

وهذا بناؤك قد شيدته
يداي على ساجات الغيوم
تخيرت أحجاره زاهيات
لآلى تضحك فيها النجوم
تقوس ظهري أطول الخنا
وهراً كفي طين الشوم
وكان نصيبي أي بقيت
بكوخ حقير أفاصي الموم
وكان نصيبك قصراً منيفاً
تفياً فيه ظلال النعيم
وما إن حقدت وما إن حسدت
وقلت مشيئة رب رحيم

وهذا الرداء الذي قد لبست
كساك جمال الشباب النضر
تميس به ميسان الربيع
تألق غبّ سحاب مطر
أطاف بجسمك حاوا أنيقاً
إطافة برعم ورد عطر
جعلت سداه ضياء النجوم
ولحمته من شعاع القمر
وعشت أنا في زري الثياب
تمزق معظمها واندر
وما إن حقدت وما إن حسدت
وقلت مشيئة بارى البشر

وهذا حذاؤك تختال فيه
يكاد سناه يزيغ البصر
ظلمات مكباً عليه النهار
وفي الليل طال عليّ السهر
أنسقه قطعةً قطعةً
وأحكم فيه « غروز » الإبر
إلى أن تكامل بين يديّ
مثال الجمال وملهى النظر
مشيت به مشية الكبرياء
وأنعلق رجلى الثرى والحجر
وما إن حقدت وما إن حسدت
وقلت مشيئة رب قدر

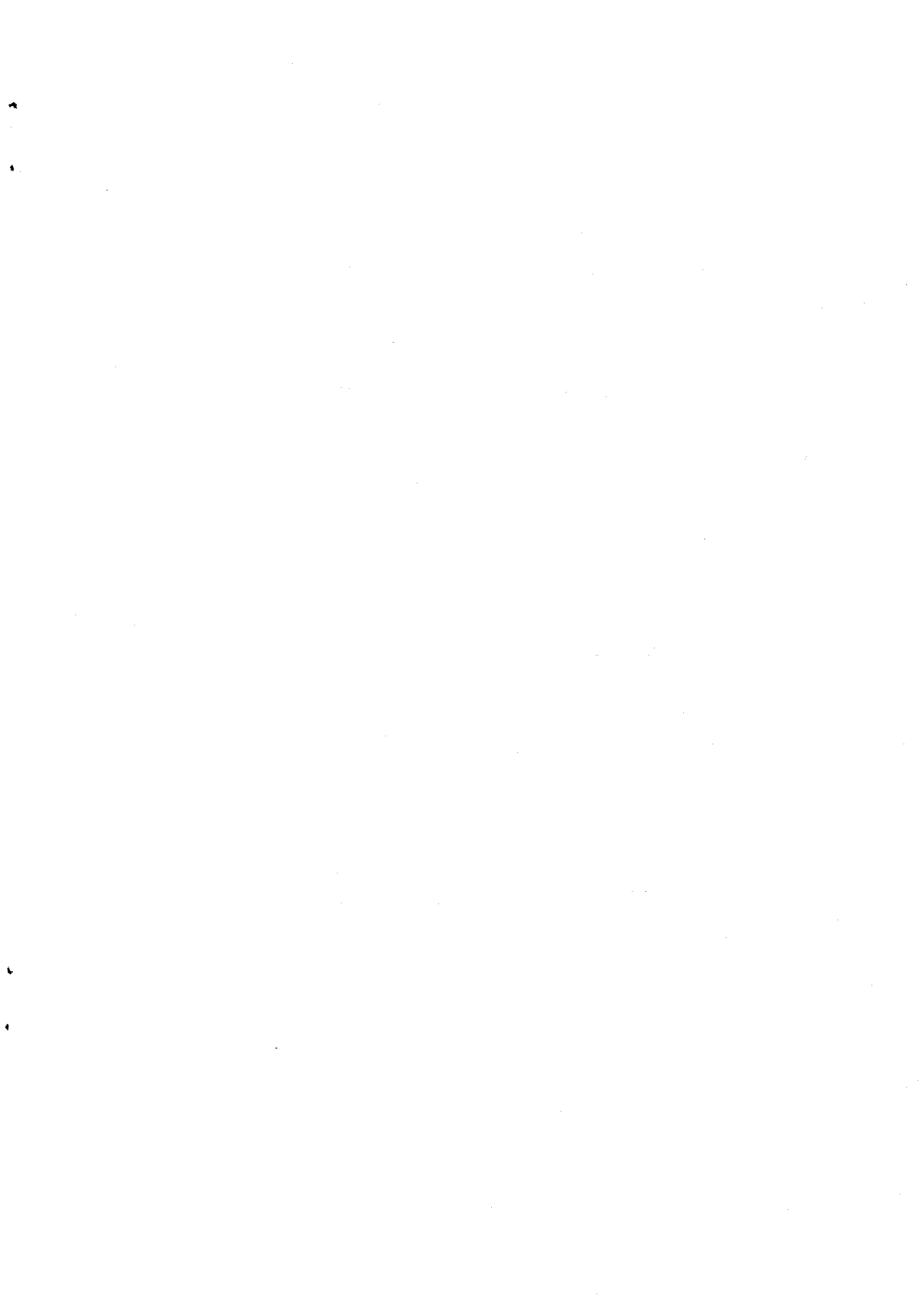
إلام تظل أخى لا تبالي
بأمري ولا تستبين الرؤى
نسيت الإله وهديّ الرسول
ورحت تسير وراء الهوى
وإني أخوك أخوك الذى
يودّ إخاءك طول المدى
سواء عطفتم وكنتم رؤوفاً
أم اغتال قلبك حبّ الدُّنا
على دين ربي سأقضى الحياة
وأدعو بدعوى رسول الهدى

عبد الرؤوف البدى



دراسات في

السيرة والتاريخ للإمام
عبدالله



رجال ومواقف

لفضيلة الشيخ محمد الشالك - كلية الشريعة

ثم عرف الفرس من أمر العرب أنهم جادون . وأنهم في غزوتهم ليسوا طلاب أغارة للتزود بزيادة أو التبليغ بمقام . فقد وضعوا أيديهم على الكثير من سواد العراق وهم وأن تربيوا في الغزو فليس ذلك عن ضعف أو بلوغ غاية ولكنهم إيروون رأيهم أو يجمعون جمعهم ويتلمسون نبأ أعدائهم - وقد قابل الفرس نبأ غزو العرب باستخفاف المتكبر وسخرية المستخف - فما كان للعرب في ماضيهم دولة ولا كان لهم في حياتهم هدف . بل كان أمرهم مضيقاً مع هوى الفرس تارة وهوى الروم أخرى . وأنهم راضون من حياتهم بانتجاع الكلاً وتلمس المرعى والرضا بالكفاف وتوسد الخيال الشعري المهدهد على الأمل والمروض على الحب . فما بالهم يغيرون ولا يخافون . ويغزون ولا يترددون . ويقيمون ولا يرجعون ، ثم تبلغ بهم الجرأة أن يطلعوا النزال وأن يراجعوا الرأي .

كره ونزالهم على هون . فجمعوا الجموع القاضية والجيوش الساحقة حتى يبيدوا من العرب الجمع القليل ويقضوا على الأمل العريض ، ثم يتبعونهم في ديارهم ليبيدوا منهم الأحلام ويفرقوا منهم الكلمة ويعيدوهم إلى سيرتهم الأولى من انتجاع الكلاً وتلمس المرعى واستجداء ذوى الثراء والميل مع الأهواء .

وهل في دعوة محمد صلى الله عليه وسلم ما يحيى الموات وينبت الأجداب ويجمع الشتات ويوحد الرأي ويقضى على الهوى ويحدد الأهداف ويستخف بالملك العريض والجاه الواسع . وما كان لأهله من ملك ولا لجماعته من تاريخ . نعم راجع الفرس الرأي فيما بينهم ثم استقر أمرهم على لقاء العرب على

والانتظار . ويطلب منه ألا يبدأ
بعدوان وألا يمل من طول المقام .

ونجد أوامر عمر من نفس سعد
ونفوس المسلمين سعة وقبولا فيصابرون
العدو حتى ينفذ صبره ويطاولونه حتى
يمل مقامه ، فيرسل الى سعد أن أرسل
إلى من رسلك من نبادله الرأي ، ويجمع
سعد مجلس الشورى من خاصته ويعرض
عليهم أن تذهب منهم طائفة الى رستم
يسطون له دعوتهم ويحددون له هدفهم -
ويتقدم ربيعي بن عامر ويقول لسعد
إن الأعاجم لهم آراء وآداب ومتى
نأتهم جميعا يروا أنا قد احتفلنا بهم
فلا تزدهم على رجل فوافقه الجمع
وأمره سعد بأن يذهب الى رستم ، فيركب
فرسا له قصيرة غير مظهمة ولا فارهه
ومعه سيفه المرهف مغمورا في لفافة
من ثوب خلق ورحمه غمده من أديم
بال - وترسه من أديم البقر ودرعه
وعمامته مما يجلل به فرسه عند امتطائه
فلما وصل الى الجسر حبسه حراسه
حتى يستأذنوا له وارسلوا الى قائدهم
وعرف من أمره أنه رجل واحد ولكنه
جمع له مجلسه ليستشيرهم في لقاء
العربي البادي فأشاروا عليه بأن يهت
له من المظهر ما يأخذ بالنفوس إن
كانت كنفوسهم ويرهب الأفتدة إن
كانت كأفتدتهم ويعقد الألسنة إن كانت

وخرجت جيوش الفرس بقيادة أعظم
قوادهم رستم يحف به أمراء للجند
مترفون واتخذوا أماكنهم غربي الفرات
على أبواب القادسية ومن ورأهم الثراء
العريض والمدن العامرة وجعلوا بينهم
وبين جيش المسلمين رافدا من روافد
الفرات يعلوه جسر لسهل حراسته
والذود عنه .

ومن ينظر الى الجيش الكثيف والجند
العديد لا يخال ألا أنهم سيقضون على
العرب في غدوة نزال أو روحة منه .
ولكنهم يقيمون ويطول بهم المقام حتى
ليحار الناظر من عددهم وعدتهم .
والمتطلع الى جيش العرب وعدته «
ويتساءل ما الذى يمنع الفرس من منزلة
العرب وليس لهم في ماضيهم جولة
مع الفرس رجعوا منها بهزيمة أو أبوا
منها بنصر - نعم ما الذى يمنهم من
نزاهم والعدد العربي قليل والزاد يسير
والعتاد خفيف ، والتردد في اللقاء
أنما يكون عند تعادل الجيشين لكل
منهما لا يبدأ بحرب عسى أن لا يصبر
الحصم على طول الأقامة مع كمال الأهبة
فيرضى من الغنيمة بالسلامة ويسعد
من المعركة بالعافية - ويرسل سعد بن
أبي وقاص الى عمر أن القوم لم يبدأوا
بنزال وقد طال المقام واستمر التأهب
ولكن الخليفة الحكيم يأمر قائده بالتريث

كألسنتهم ويعشى الأبصار ان كانت
كأبصارهم .

وحسبوا أن هذا المظهر المترف سيكون
له في نفس العربي الذي لم يألف النعمة
ولم يتقلب في مظاهر الثراء وقع أبلغ
من وقعه في نفوسهم أن لم يكن من
مبالغة التقدير فسوف يكون من غفلة
المفاجأة - ويأمر رستم بأن تبسط البسط
وأن تصفف النمارق . وأن يكثرُوا
من مظاهر الثراء وآثار النعمة وأن
يوضع له سرير من ذهب ، ثم يلبس
القائد زينته ويتكى على الوسائد المنسوجة
من الذهب . وأقبل ربيعي بن عامر
يسير وهو راكب فرسه في وسط
جموع من جند الفرس وحرس القائد
وهم ينظرون الى مظهره وبزته وسلاحه
وعدته في كثير من الاستخفاف أو
كثير من الاشفاق - ولعلهم كانوا
يتهامسون اذا كان هذا رسول العرب
فما أخف وزنهم وما أقل شأنهم -
ولعل غاية العرب أن نكسوا عريهم
البادي وأن تشبعهم من جوع ونروهم
من ظمأ .

وربيعي لا يلتفت الى الأبصار الشاحصة
ولا يستمع الى النفوس الهاجسة ولكنه
يسير على سمته لم ترهبه كثرة الجمع
ولم يؤخذ بمظاهر الثراء - فلما وصل

الى أدنى البسط قبيل له أنزل عن فرسك
فأصم أذنيه عن الأمر الدليل وهمز
فرسه فسارت على البسط الوثيرة حتى
استوت عليها ثم نزل عنها وربطها
بوسادتين من وسائد الحرير المنسوج
بالذهب عمد اليهما فشقهما ثم أدخل
الحبل فيهما .

ولقد عقدت المناجاة والجرأة ألسنة
القوم وقائدهم فلم يمنعه وإن أنكروا
عليه - وتقدم إليه أحدهم وقال له ضع
سلاحك فقال له إني لم آتكم فأضع
سلاحى بأمركم أنتم دعوتوني فإن
أبيتم أن آتيكم إلا كما أريد وإلا رجعت
فأخبروا رستم بمقالة ربيعي فقال ائذنوا
له هل هو الا رجل واحد . ونظر ربيعي
الى سمات القوم فوجد عليها سحابات
من الغيظ المكبوت والحقد المتأجج
فأراد أن يزيد النار ضراما فأقبل يتوكأ
على رمحہ يمشى وثيدا قريب الخطو
وهو يزوج النمارق والبسط برمحہ ،
فما ترك لهم نمرقة ولا بساطا ألا أفسده
وتركه متهتكا مخرقا - فلما دنا من رستم
تعلق به الحراس فجلس على الأرض
وركز رمحہ بالبسط فقالوا له ما حملك
على هذا قال - إنا لا نحب التعود على
زيتنكم هذه .

وعرف القوم أنهم أخطأوا التقدير حينما حسبوا أن مظاهر النعمة ستبهر ابن الصحراء أو تشتت عليه رأيه - أو تروع منه فؤاده - وعرف ربي ما يهدف اليه القوم من المبالغة في أظهار مظاهر الثراء وأسباب الترف . وما خرج ربي بفعله عن آدابه أو حاد عما تدعوه اليه أخلاقه - ولكنه أراد أن يبصر القوم بغايته قبل أن يتكلم بها ، وأن يعرفهم أن هذه المظاهر قد رانت على قلوبهم فلم يصل اليها نداء لحرية أو صوت يدعو الى كرامة . أو دعوة تحث على مساواة وأنهم واهمون أن ظنوا أن غاية ربي ومن خلقه طلب شيء من دنياهم أو الظفر بشيء من ديارهم -

ويقول رسم لربي ما جاء بكم قال - الله ابتعثنا والله جاء بنا لنخرج من شاء من عبادة العباد الى عبادة الله ومن ضيق الدنيا الى سعتها ومن جور الاديان الى عدل الاسلام فأرسلنا بدينه الى خلقه لندعوهم اليه فمن قبل منا ذلك قبلنا ذلك منه ورجعنا عنه . وتركناه وأرضه يليها دوننا . ومن أبي قاتلناه أبدا حتى نقضى الى موعود الله - قال له رسم وما موعود الله قال الجنة لمن مات على قتال من أبي ، والظفر لمن بقى - فقال رسم - قد سمعت مقاتلكم فهل

لكم أن تؤخروا هذا الأمر حتى ننظر فيه وتنظروا - قال نعم . كم أحب أليكم أيوما أو يومين - قال لا بل حتى نكتب أهل رأينا ورؤساء قومنا .

وأراد رسم أن يقرب ربيعا منه وأن يدينه وأن يحسن له القول ويزين له الحديث لعله يجد منه إيناسا به أو ركونا اليه فيمنيه أو يعده لعله بهذا يرجع الى قومه بوجه غير الذي جاء به ، ولكن ربيعا يبدد الوهم بالجد من القول فيقول إن مما سن لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وعمل به أممتنا أن لا نمكن الأعداء من آذاننا - ولا نؤجلهم عند اللقاء أكثر من ثلاث فنحن مترددون عنكم ثلاثا ، فانظر في أمرك وأمرهم واختر واحدة من ثلاث بعد الأجل - اختر الاسلام وندعك وأرضك - أو الجزية فتقبل ونكف عنك وإن كنت عن نصرنا غنيا تركناك منه - وإن كنت اليه محتاجا منعناك - أو المنابذة في اليوم الرابع ولسنا نبدؤك فيما بيننا وبين اليوم الرابع إلا أن تبدأنا وأنا كفيل لك بذلك على أصحابي وعلى جميع من ترى من قومي - قال أسيدهم أنت؟ قال لا ولكن المسلمين كالجسد لبعضهم من بعض يجير أذانهم على أعلاهم

هي قوة عزيمة - ربي وصلاية إيمانه
بدعوته . وأن الذي حفظ ترسه الجلودى
من رميهم أنهارمية الأذلاء المستضعفين -
وأني للنفوس الذليلة أن يكون لها قوة
وللمستضعفين من الناس أن يكون لهم
مضاء .

ثم رجع ربي الى أن ينظر
الى الأجل . فلما كان من الغد بعثوا
أن ابعثوا إلينا ذلك الرجل فبعث إليهم
سعد حذيفة بن محصن فأقبل في بذة
صاحبه وهيأته أوسمته وسلاحه -
وعملوا له كما عملوا لصاحبه ، وعمل
هو معهم مثل ما عمله صاحبه .
فلما وقف على رسم قال له ما بالك
جئت ولم يجي صاحبتنا بالأمس . قال
إن أميرنا يجب أن يعدل بيننا في الشدة
والرخاء ، فهذه نوبتي ، ثم سأله رسم
عما جاء بهم فما زاد ولا نقص عن
قول ربي ، فسأله الموادة الى أجل
فقال له لكم ثلاثة أيام من أمس ، فلما
لم يجد عنده إلا ذلك رده وأقبل على
أصحابه . فقال لهم ويحكم ألا ترون
الى ما أرى إجماعنا الأول إبالأمس
فغلبنا على أرضنا وحقر ما نعظم وأقام
فرسه على ما نخفل به من غالى الحرير
وربطه به ، وقد ذهب الى قومه في
يمن الطائر مع فضل عقله وجاءنا هذا
اليوم فما رأينا منه إلا ما رأينا من صاحب

وخلأ رسم برؤساء قومه وقال لهم
ما ترون - هل رأيتم كلاما قط
أوضح ولا أعز من كلام هذا الرجل -
قالوا معاذ الله لك أن تميل الى شيء من
هذا وتدع دينك الى دين هذا الأعرابي
الجانح - أما ترى الى ثيابه - فقال
ويحكم لا تنظروا الى الثياب ولكن
انظروا الى الرأى والكلام والسيرة -
إن العرب تستخف باللباس والمآكل
ويصونون الأحساب وهم ليسوا مثلكم
في اللباس ولا يرون فيه ما ترون .

وعجب القوم من كلام قائدهم
وظنوا به الظنون في تقديره للعرب
مثل هذا التقدير . وأرادوا أن يؤيدوا
ظنهم أو يدفعوا وهمهم - فتقدموا
الى ربي وتناولوا سلاحه وهم يزهدونه
فيه - فقال لهم هل لكم الى أن تروني
فأريكم - ثم أخرج سيفه من خرقه
كأنه شعلة نار - فقال القوم أغمدته
فغمده - ثم رمى ترسا لهم فخرقه
ورموا هم وقاميته من الأديم فسلمت
فقال لهم يا أهل فارس إنكم عظيمم
الطعام واللباس والشراب . ولنا صغرتناهن
وعرف الفرس حينما رأوا بريق سيفه
أن له مضاء ولصاحبه عزيمة - فأسرعوا
الى طلب إغماده كما رأوا عندما انخرق
ترسهم وسلمت وقايته مع تفاوت
الصلاية أن الذى خرق ترسهم إنما

الأمس ثم رجع كما رجع أخوه فأغضبهم وأغضبوه .

فلما كان من الغد أرسل أن ابعثوا إلينا رجلاً آخر منكم فأرسلوا إليه المغيرة بن شعبه . فعملوا له مثل ما عملوا لصاحبيه . وعمل هو معهم مثل ما عمل صاحباه ثم زاد أن جلس على سرير رستم واتكأ على وسادته فوثبوا عليه وأنزلوه وحقروا فعله وشأنه ، فلم يغضب المغيرة مما فعل به ولعله أراد أن يرى من فعالهم ما يكون فيه الدليل على مهانتهم وذلتهم وسفاهة رأيهم ثم يريهم من أمر العرب فيما بينهم ما تتوق إليه نفوسهم ، وما يؤلب عامتهم على خاصتهم ، فيكون عمل بعمله هذا فوق ما يعمله جيش قوى العتاد كثير الجند - فلما رأى منهم ما رأى قال لهم كانت تبلغنا عنكم الأحلام ولا أرى قوما أسفه منكم - وإنا معشر العرب سواء لا يستعبد بعضنا بعضاً إلا أن يكون محاربا لصاحبه فظننت أنكم تواسون قومكم كما نتواسى ، وكان أحسن من الذى صنعتم أن تخبروني أن بعضكم أرباب بعض . وأن هذا الأمر لا يستقيم فيكم فلا نصنعه وأنا لم آتكم ولكنكم

دعوتوني ، اليوم علمت أن ربيحكم ذاهبة وأنكم مغلوبون . وأن ملكا لا يقوم على هذه السيرة ولا على هذه العقول (١) .

وبلغ المغيرة بمقالته ما أراد وحقق لنفسه ما قصد فوصلت مقالته إلى نفوس ظائمة الى الحرية والى قلوب مطوية على ضغينة ، وهى وإن تظاهرت بالرضا فما ذلك إلا لضعف حيلتها أو فقدان قيادتها . وقال المستضعفون صدق والله العربي - وقال السادة والله لقد رمى العربي بكلام لا يزال عبيدنا ينزعون اليه - ثم قالوا قاتل الله من سبق منا ما كان أحقهم حين كانوا يصغرون أمر هذه الأمة - ثم مازحه رستم ظنا منه أن المغيرة قد كره ما حصل من قومه ، ثم مد رستم يده الى كنانة المغيرة فأخرج منها سهما وقال له ما هذه المغازل التى معك - فقال له المغيرة ما ضر الجمره ألا تكون طويلة ثم قال وما بال سيفك رثا قال رث الكسوة حديد المضربة واستنبأه نبأ قومه فقال مقالة صاحبيه ولكنه تخير من اللفظ ما يثير الحمية حتى يفضحه على المطاوله - وما ترك رستم الا وهو متوعد ومنذر .

(١) راجع تاريخ الطبرى

ولما انصرف المغيرة خلا رستم بمخاصته بعد أن رأى من أمر العربي الجلد الجاد فقال لهم أما ترون من أمر هؤلاء القوم أنهم لم يختلفوا - وسلكوا طريقا واحدا ولزموا أمرا واحدا - هؤلاء والله الرجال صادقين كانوا أم كاذبين والله لئن كان بلغ من أربهم وصونهم لسرهم أن لا يختلفوا فما قوم أبلغ مما أرادوا منهم - ولئن كانوا صادقين ما يقوم لهؤلاء شيء .

ولقد ترك المغيرة القوم وقد اختلط عليهم الأمر وتشتت منهم الرأي وتنازع الهوى . فالسادة يودون الأبقاء على أبهة الحكم والسلطان والرئاسة والعبيد سمعوا نداء الحرية التي ينزعون اليها وعرفوا أنهم إن فاتتهم الفرصة المواتية على أيدي المسمين اليوم فقل أن تعود .

ورأى القائد وذوو الرأي معه بوادر التمرد تسرى في جنبات جيشه ، فأمر بالقيود والسلاسل فقيدت بها الجند وشدت بها الرجال ، وأني لمكره أن يدافع عن ديار وأني لمستعبد أن يدافع عن أوطانه وليس له في هذا الوطن رأى مسموع ولا حق مصان ولا حياة كريمة .

وما عرف الفرس أن القلوب اذا طويت على ضغن من طول الأذلال فقل أن تستجيب لنداء أو تحف لنجدة وما غناء من قيد بالقيود وقرن في السلاسل في الدفاع عن الأوطان والذود عن الحمى .

ولقد كشف ربي وأخواه للفرس عما يدور في المجتمع الحديد من حرية في الرأي ووحدة في الهدف وسمو في المقصد . وأعلموهم أنهم وإن لم يكن لهم في التاريخ صفحات ولا بين الأمم وزن إلا أنهم من اليوم سوف يكون لهم منهج من الحرية الصادقة يأخذون أنفسهم به وينشرونه في الناس وأنهم إن جاءوا الى بلادهم اليوم وإن ذهبوا الى بلاد غيرهم غدا فهم لا تطلعون فتحا لاغتصاب أرزاق ولا لاستعباد شعوب ولا لاحتلال ديار - وأتما هم يرفعون راية حرية الإنسان أينما حلوا - وأنهم لسمو ما جاءهم به محمد صلى الله عليه وسلم من توحيد الكلمة ونكران الذات وحرية الرأي وأخوة الإنسان لأخيه لم يرضوا أن يعيشوا ناعمين بالحرية وغيرهم يرسف في أغلال العبودية وأن الإنسانية التي طال عليها الظلام لا بد لها من نور ساطع قوى ينفذ الى النفوس المظلومة فيضي لها السبيل ويوضح الطريق ويحدد الغاية -

استبد قادتها برأيهم أو أزهبوا غيرهم
حتى لا يجهروا برأى - والطريق لا
توضح معاملة إلا اذا كثرت السواعد
المتعاونة إعلى أتمهده أو تبودلت الآراء
في حرية تامة وأمن كامل .

أما أن نقتل في النفوس حب الخير
بالأرهاب . أو نقضى على الآراء
الناضجة بالأهمال أو نحول بين الناس
وبين أبداء آرائهم بالقسوة ، فإن
هذا امر يجعل اليأس يتطرق الى القلوب
فلا تخلص النصح ولا تنطوى على محبة ،
وقل أن يرتفع شأن أمة وقلوب بنبيها
متنافرة من القسوة أو متعادية بسبب
الحرمان .

وأن العرب قد حملوا الأرواح على
الأكف في سبيل دعوة الحق والعدالة
فمن مات في سبيلها مات ونفسه راضية
لأنه يدافع عن مبادئ الأسماء للأسانية
ومن بقى منهم سره أن ينعم الناس
بما ينعم به -

ونحن في هذه الآونة التي تمر بالعرب
والمسلمين نحتاج الى الكثير من أمثال
ربعى وأخويه ، والرأى لا ينضج
إلا في ظلال الحرية ولايمان لا يقوى
إلا في كنف الرحمة - كما نحتاج الى
الكثير من أمثال سعد ممن يأخذون
أمرهم بالشورى المبرأة من الأرهاب
البعيدة عن الأعجاب بالرأى الاستعداد
به ، لأنه لا يستقيم أمر أمة



فتح المغرب للأندلس

لفضيلة الشيخ محمد أبو زيد طنطاوي - كلية الدعوة وأصول الدين

بعد أن تم لموسى بن نصير فتح بلاد المغرب وبعد استقرار الإدارة العربية في شمال إفريقيا أخذ يتطلع لفتح أسبانيا وبدأ يعد من مدينة القيروان الخطط لنشر الإسلام في هذه البقعة من أرض أوربا ويجمع الأخبار عنها ويستفسر عن أحوالها . وصارت مدينة طنجة مركز عمليات موسى بن نصير في تلك المرحلة الإستطلاعية بسبب قربها من أسبانيا ولموقعها المباشر على بحر الزقاق (مضيق جبل طارق) المؤدى إلى تلك البلاد الأوربية - وأقام في طنجة منذ تم فتحها أشهر قادة البربر المسلمين وهو طارق بن زياد الذي صار الساعد الأيمن لموسى بن نصير في إعداد خطة فتح أسبانيا وفي سائر العمليات الحربية الكبرى التي تطلبها تنفيذ تلك الخطة .

أيام عقبة بن نافع الفهري والتحق هو بعد وفاة والده بخدمة المسلمين وكان إذ ذاك صغير السن ولكنه كان يتمتع بقدر كبير من الحماسة والغيرة على الدين الإسلامي الأمر الذي جعله من أشد المقرين إلى موسى بن نصير ومن الطبقة الأولى من رجال البربر الذين اختصهم بسرهم وثقته المطلقة

وساعد طارقا في تلك المرحلة عاملان أولهما : أنه من البربر السكان الأصليين لإفريقية والخبيرين بأحوال أسبانيا وما حفلت به من خيرات وثروات . وثانيهما : أنه ثمره من ثمار القوة الجديدة للدولة العربية الإسلامية فهو من قبيلة نفزاوة ومن أسرة اشتهرت بسبقها إلى اعتناق الإسلام . إذ أسلم والد طارق

وأشركه مشاركة عملية في رفع راية الإسلام - وأثبت طارق بن زياد أنه خير أمين على تنفيذ خطط موسى بن نصير التي بدأ يعدها لفتح أسبانيا . ذلك أن موسى بن نصير بعد أن فتح طنجة أتجه إلى مدينة سبتة التي كان يحكمها إذ ذاك رجل من الروم يدعى يوليان . ولكن هذه المدينة استعصت عليه فأثر إرجاء الاستيلاء عليها وكلف طارق بن زياد الذي عينه على طنجة مهمة الاتصال بهذا الحاكم وجعل مدينة سبتة نافذة يطل منها المسلمون على أسبانيا ودراسة أحوالها . وكشف موسى بن نصير بذلك عن مقدرة سياسية فائقة حين أثر العمل في هذه المرحلة بطريق غير مباشر وتقديم طارق بن زياد للقيام بالعمل في هذه الجبهة . ذلك أن طارقا كان أقدر على الاتصال بالبربر التابعين لحاكم سبتة وكلهم ممن خبروا أسبانيا وانتقلوا بين أرجائها .

ولم تلبث تطورات الأوضاع في سبتة أن هيأت لطارق بن زياد السير قدما في سبيل تنفيذ خطط موسى بن نصير . فقد رأى يوليان حاكم سبتة أن الحكمة تفرض عليه التقرب من القوة الإسلامية الجديدة التي صارت تتجاوز أملاكه مباشرة وأن يقيم معها علاقات ودية

تعوضه عن الضعف الذي رب إلى سلطانه في سبتة . وكان يوليان أصلاً عاملاً من عمال دولة الروم وحكم إقليم مرطانية الطنجية بحكم كونه قائدا عاما مفوضا من قبل الامبراطور . وتولى يوليان إدارة هذا الإقليم وهو صغير السن ثم طال به الزمن دون أن تتمكن دولة الروم من عزله أو استبدال غيره به بسبب انشغالها بالحروب ضد العرب المسلمين الفاتحين في شمال إفريقيا . واصبح يوليان مطلق التصرف في ولايته وله صلات ودية كثيرة مع أهلها من البربر وزعماء القبائل المجاورة له حتى صار خبيرا بتقاليدهم وعاداتهم . وأجاد القيام بها إلى درجة جعلته يبدو كأحد أبناء البلاد الأصليين لا تابعا لامبراطورية الروم ولا يمكن كشف حقيقة لونه السياسي في سهولة ويسر فاختلف على كثير من المؤرخين أمر يوليان حتى ذكر البعض أنه من البربر على حين قال البعض الآخر أنه من القوط دون أن يفتنوا إلى تبعيته أصلا لامبراطورية الروم . ولما انهار سلطان الروم في (إفريقيا) بعد الفتوح العربية أخذ يوليان يعمل على تقوية روابطه بدولة القوط في أسبانيا على نحو ما فعل مع جيرانه من البربر ليدعم مركزه ويحفظ أملاكه . ورحب ملك القوط

إذ ذاك واسمه (غيطشة) بولاء يوليان بسبب أهمية سبته لحماية دولته . فهي تتمتع بمركز جغرافي فريد يجعلها مفتاح أسبانيا والحارس الذى يحميها من هجوم قد يشن عليها من الجانب الإفريقي . فهي قبالة الجزيرة الخضراء من أرض أسبانيا وتسيطر على المياه التى بينها وبين تلك الرقعة الأسبانية . هذا وتمتتع سبته بموقع طبيعى يجعلها حصنا منيعا في استطاعته أن يقاوم زمنا طويلا أى هجوم مفاجئ قد تتعرض له . فيوجد على بعد ميلين منها جبل موسى (نسبة الى موسى بن نصير) كما يحيط ماء البحر بها من ثلاث جهات مما زاد في مناعتها وقوتها . هذا إلى أنه قام على مقربة منها دار لصناعة السفن التى استخدمت في العبور إلى الأندلس .

ورأى يوليان على الرغم من دعم صلاته بدولة القوط في أسبانيا أن تطور الأوضاع في بلاد المغرب واستقرار الفتوح الاسلامية بها يفرض عليه حسن الجوار مع الادارة العربية الجديدة وتجنب الاصطدام بها . ولذا رحب يوليان بسياسة موسى بن نصير الذى أثر عدم الاستمرار في الاستيلاء على سبته . وكان موسى قد ترك لقائده طارق بن زياد في طنجة مهمة تنظيم علاقة الجوار مع حاكم هذه المدينة

الهامة الذى يعتبر مفتاح بلاد الأندلس ونجح طارق في دعم صداقته ليوليان وبدأ يطل من هذه المدينة على أسبانيا ويدرس أحوالها دون أن يثير مخاوف القوط أو يبعث الريبة في نفوسهم باستعدادات المسلمين الحربية وسارت الأمور بعد ذلك في سبته بما ساعد موسى بن نصير على أن يكمل دراسته الخاصة بفتح أسبانيا ويعرف المزيد من الأخبار التى تهى للمسلمين القيام بفتوحهم في هذا الميدان الجديد . وسبب ذلك أن دولة القوط في أسبانيا تعرضت لاضطرابات شديدة تردد صداها في مدينة سبته ودفعت بحاكمها يوليان إلى الانتقال من سياسة حسن جواره للمسلمين إلى سياسة التحالف والاتفاق على تحقيق المصالح المشتركة بينهما . ذلك أن أحد كبار رجال القوط واسمه رودريك وهو الذى عرفه العرب باسم لوزريق استطاع أن يطيح بالملك الحاكم وهو غيطشة ثم اعتلى العرش . ولم يكتف لوزريق بذلك وإنما أخذ يعمل على إنزال أشد ألوان الأذى بأبناء غيطشة وسائر آل بيته . وآتت هذه السياسة الخرقاء من جانب لوزريق ثمرة لم يكن يتوقعها على الاطلاق ذلك من أبناء غيطشة حين اشتدت بهم المتاعب وسدت في وجوههم السبل

أخذوا يلجئون إلى جهة أخرى يستمدون منها العون والمساعدة على استرداد حقهم المسلوب . وكان موسى بن نصير قد بدأ يتطلع إلى أسبانيا عن طريق نافذة سبته . ولم تلبث الأحداث أن جعلت سبته تقوم بدور مباشر في نقل صورة كاملة عن تلك الأحوال السائدة في أسبانيا إلى موسى بن نصير فضلا عن قيامها بدور الوساطة بين أبناء غيطشة وموسى بن نصير . ووجد أبناء غيطشة من يوليان حاكم سبته رسولا إلى موسى بن نصير وساعدا ومعاضدا لمشاريعهم بسبب سوء العلاقات التي وقعت إذ ذلك بين هذا الحاكم وبين لوذريق . وتذكر المراجع أن سبب سوء العلاقات يرجع إلى اعتداء لوذريق على شرف ابنة يوليان التي كانت تتعلم في طليطلة . وكانت العادة قد جرت على أن يبعث كبار رجال الدولة من القوط بأبنائهم إلى طليطلة ليتأدبوا بأداب البيت المالك وليكون ذلك سبيلا لتأليف القلوب .

وأسهمت المراجع في قصة ابنة يوليان فوصفتها بأنها بارعة الجمال فلما صارت عند لوذريق وقعت عينه عليها فأعجبه وأحبها حبا شديدا ولم يملك نفسه حتى أكرهها فاحتالت حتى أعلمت والدها بذلك سرا بمكاتبة خفية .

فأحفظه شأنها جدا واشتدت حميته وقال «ودين المسيح لأزبان ملكه وسلطانه ولأحفرن تحت قدميه» . ورأى يوليان أن يحتمل أولا لاستدعاء ابنته من بلاط لوذريق فخرج بنفسه في يوم من أيام الشتاء البارد دون أن يأبه بمخاطر الطريق وعندما وصل إلى طليطلة أوجس منه لوذريق خيفة بسبب حضوره في ذلك الوقت غير الملائم وسأله « عمّا لديه وما جاء فيه ولم جاء في مثل وقته » فأجاب يوليان بأن « سبب حضوره هو أن زوجته مريضة مرض الموت وأنها في شدة شوقها لرؤية ابنتها التي هي عنده وتمنيها لقاءها قبل الموت وإلحاحها عليه في إحضارها وأنه أحب اسعافها ورجا بلوغ أمنيته منه » وانخدع لوذريق بهذه الحجّة وسمح لابنة يوليان بالعودة إلى أبيها بعد أن استوثق منها بالألا تطلعه على ما حدث بينهما .

وبعد أن استقر يوليان ومعه ابنته في سبته بدأ يكشف نواياه صراحة وأخذ يساعد أبناء غيطشة والعناصر المناوئة للوذريق في أسبانيا . فأعد يوليان حملة نزلت بأسبانيا واشتركت مع الثوار في أعمالهم الحربية لكن قوات لوذريق استطاعت الحصول على النصر ودمرت حملة يوليان واضطرتها للعودة إلى

سبته . وما أن انتهت هذه الحروب في أسبانيا عن فوز لوذريق حتى أيقن يوليان أنه لم يعد أمامه مفر من الإتيان نحو السلطات العربية في القيروان وطلب مساعدتها ضد لوذريق . واتصل يوليان بطارق بن زياد طالبا مساعدة العرب له ضد لوذريق . ونقل طارق أخبار المفاوضات التي دارت بينه وبين يوليان إلى موسى بن نصير الذي وجد أن الوقت قد حان لفتح الأندلس . ثم تحقق موسى من صدق ما نقله إليه طارق حين ذهب يوليان نفسه إلى القيروان ليعرض وجهة نظره على السلطات العربية هناك إذ أكد يوليان لموسى بن نصير الخير الوافر الذي سيعود على العرب من القيام بغزو الأندلس ومساعدتهم له ضد لوذريق . ووجد موسى بن نصير أن كل الظروف قد أصبحت سانحة للانتقال إلى ميدان جديد حافل بالمجد والفخار وأعلن موافقته على مساعدته ضد لوذريق واستطاع بذلك أن يستفيد من الموقف السياسي الذي ساد حكام الأندلس وأن يسخره لخدمة الجيوش الإسلامية المجاهدة .

وكتب موسى بن نصير إلى الخليفة الوليد بن عبد الملك يستأذنه في فتح تلك البلاد ويشرح له اضطراب أحواله وأن الفرصة غدت مواتية بعد مؤامرة

يوليان ضد لوذريق : غير أن الخليفة أمر موسى بأن يختبر الأندلس ويدرس أحواله بنفسه بإرسال حملات استطلاعية إليها . وعهد موسى ابن نصير إلى يوليان نفسه القيام بإغارة على جنوب أسبانيا ليتحقق بذلك من أمرين : أولهما أن يوليان جاد في دعواه ضد لوذريق وكراهيته له ولحكومته في أسبانيا . وثانيهما أن يعرف من المقاومة التي يتعرض لها يوليان مدى قوة القوط وما لديهم من استعداد حربي . وقام يوليان فعلا بإغارة سريعة على جنوب أسبانيا ورجع منها محملا بالكثير من الغنائم والسبي .

فتح جزيرة طريف :

وأراد موسى بن نصير أن يقف بعد ذلك بنفسه على أحوال أسبانيا فأعد حملة من المسلمين جعل على رأسها أحد قادته المشهورين بالمغامرة والشجاعة وهو أبو زرعة طريف بن مالك فبعث هذا القائد إلى الأندلس في اربعمائه من خيرة الفدائيين وذلك على سفن قدمها لهم يوليان . ونزل المسلمون في جزيرة صغيرة اسمها بالوماس وهي التي صارت تحمل بعد ذلك اسم القائد المسلم وعرفت بجزيرة طريف . وبادرت قوة مكونة من أبناء غيطشة التي اشتركت في الحملة إلى مساعدة

بما قدمه من مساعدات لحملة طريف على أنه كاره فعلا للوذريق وأن المؤامرة التي دبرها مع ابناء غيطشة ضد هذا الحاكم المستبد مؤامرة لها خطرها وأن خيوطها صحيحة وسليمة .

وبعودة حملة طريف انتهى موسى بن نصير من دور الحملات الاستطلاعية وبدأ الإعداد الفعلي للفتح المنظم لأسبانيا . وأثبت موسى بن نصير مقدرة حربية فائقة في هذا السبيل إذ دارت الاستعدادات الحربية التي قام بها دون أن يتسرب أمرها إلى القوط ودون أن يتنبه يوليان نفسه إلى حقيقة أهدافها وجوهر مراميها - فقد استطاع موسى بن نصير أن يوهم يوليان بأن استعداداته الواسعة النطاق التي اعقبت حملة طريف ما هي إلا حملة قوية لمساعدة أبناء غيطشة ضد لوذريق وأخفى عنه تماما أنها ستكون الحلقة الأولى في سلسلة الفتح المنظم لأسبانيا واعد موسى بن نصير حملة مكونة من خمسة آلاف جندي حتى لا يثير كثرة عددها ريبة يوليان أو مخاوفه وفي الوقت نفسه سار موسى بن نصير في ذلك الإعداد على النهج الذي سارت عليه الفتوح الإسلامية الكبرى في شتى الجهات وهو القيام أولا بإرسال حملة صغيرة العدد يتبعها إمدادات لا تنتهي

المسلمين وحراسة المضيق وذلك في شهر رمضان عام ٩٢ هـ (يوليو ٧١١ م) وشن طريف من مركزه بتلك الجزيرة عدة حملات استطلاعية على سواحل أسبانيا الجنوبية حيث درس تحصيناتها وعرف الكثير من أحوال أهلها ومدى علاقتهم بحكامها من القوط . وأخيرا عاد طريف إلى بلاد المغرب فقدم تقريرا مفصلا عن إغاراته إلى موسى بن نصير وشرح له في إسهاب أحوال أسبانيا . وقد أكدت غارة طريف لموسى ابن نصير صدق الأقوال التي نقلها إليه يوليان عن انهيار الأحوال في أسبانيا وافتقارها إلى أسباب الدفاع بسبب انشغال القواد بملاذهم وانصرافهم إلى أعمال الطغيان وسلب ثروات البلاد لأنفسهم . فلم يلق طريف نوعا من أنواع المقاومة كما لم يقابل قوة من قوات القوط أثناء استطلاعهم لأحوال جنوب أسبانيا . هذا إلى أن مبادرة أفراد بيت غيطشة إلى مساعدته وحراستهم لخطوط مواصلات المسمين جاء دليلا واضحا على الانقسام الذي ساد الطبقة الحاكم من القوط وأن لوذريق لا لا يحكم إلا بالعرف والقسوة وهو أمر لن يكفل له مقاومة المسلمين طويلا عندما يبدأ الفتح الاسلامي للبلاد هذا إلى أن يوليان برهن مرة أخرى

سواء من حيث الكثرة أو حسن الاستعداد حتى يتم تحقيق الأهداف الحربية . وانتدب موسى لقيادة هذه الحملة الاسلامية الأولى على الاندلس أحسن قادة المسلمين إذ ذاك وأشدهم ثقة به وهو :

طارق بن زياد

جاء اختيار موسى بن نصير لطارق بن زياد لقيادة هذه الحملة خطوة موفقة وأكد بعد نظر موسى وسعة خبرته الحربية . فطارق من البربر الذين عرفوا أرض الأندلس معرفة وثيقة لأنهم يرونها امتدادا لبلادهم لا فارق بين بيئتها وبيئتهم . يضاف إلى ذلك أن طارقا هو الذى تولى بنفسه جمع المعلومات عن بلاد الاندلس وتولى مفاوضات يوليان وصار خبيرا بالميدان الجديد في سائر نواحيه الحربية والسياسية . وعمل موسى بن نصير على أن يشد أزر طارق الذى عهد اليه بالقيادة العليا للحملة إذ ضم إليه هيئة من كبار رجال الحرب من العرب والبربر ليكونوا بمثابة مجلسه الاستشارى ومساعديه في إدارة المعارك ومن اولئك القادة العرب عبد الملك بن أبي عامر المغافرى وعلقمة اللخمي وأحد موالى الخليفة الوليد بن عبد الملك واسمه مغيث الرومى . وكان القائد الأخير يعتبر

مندوب الخلافة الحربى في تلك الحملة التى أعدها موسى بن نصير وحلقة الاتصال بين السلطات المركزية في دمشق ومقر القيادة الاسلامية في القيروان وكلف موسى بن نصير بعد ذلك يوليان بأن يقدم للقوات الاسلامية السفن اللازمة لنقلها إلى أسبانيا كما يتولى حراستها ويقوم بمهمة الدليل لها . وكان السبب في إصرار موسى بن نصير على الاعتماد في نقل الجند بسفن يوليان هو حرصه الشديد على إخفاء تحركات هذه الحملة عن العيون والجواسيس فالاسطول الاسلامى كان قد تم إعداده على عهد موسى بن نصير وصارت له قاعدة هامة في تونس كما ظهر نشاطه في السيطرة على الجزر الهامة في غرب البحر المتوسط . ولذا كانت تحركات هذا الأسطول محط أنظار الجميع ولا يمكن إخفاء أمرها . ولما كان موسى بن نصير يستهدف مفاجأة القوط بالأندلس لم يكن أمامه سوى الاعتماد على سفن يوليان التى لا تثير الريبة في نفوس من يشاهدها وهى تعبر بحر الزقاق (مضيق جبل طارق) . وكان لدى يوليان أربع سفن لا تتسع لنقل أفراد الحملة مرة واحدة ولذا تمت عملية عبور بحر الزقاق على دفعات . وأخذت كل جماعة يتم نقلها تختفى

في جهات خصصت لها على الشاطئ
الأسباني حتى انتهى الجميع من العبور
وذلك عام ٩٢ هـ (٧١١ م) .

وبادر طارق بن زياد بتحسين القاعدة
الأولى التي استولى عليها في جنوب
أسبانيا قبل التوغل في داخل البلاد .
ثم استولى على بلدة الجزيرة الخضراء
قبالة جبل طارق . وصار بحر الزقاق
(مضيق جبل طارق) في قبضة المسلمين
وعلى اتصال وثيق بسببة قاعدة الاتصال
الأولى ببلاد المغرب . وتمت المرحلة
الأولى بذلك من نزول الحملة الإسلامية
في أسبانيا دون مقاومة تذكر . وكان
السبب في ذلك هو أن موسى بن نصير
اختار وقت قيام حملة طارق وفق أدق
المعلومات التي وصلته . وكانت
المخابرات الإسلامية تتبع حركات
لوذريق وتتحين الوقت المناسب لبدء
الحملة . وسرعان ما سنحت الفرصة
حين ذهب لوذريق إلى أقصى شمال
أسبانيا ليخمد ثورة قام بها سكان جبال
البرانس المعروفة باسم القبائل البسقاوية .
وكانت تلك الجموع القبلية مشهورة
بالمراس وقوة الشكيمة مما جعل لوذريق
يأخذ معظم جيشه معه وأصبح جنوب
أسبانيا خالياً تماماً من أسباب الدفاع عنها
ولذلك لم تشعر سلطات القوط بنزول
المسلمين في جنوب البلاد إلا بعد أن

استقرت دعائمهم ومكنوا لأنفسهم على
بحر الزقاق . فعبأت قوات سريعة وأرسلتها
على عجل للهجوم على المسلمين تحت
قيادة (بنج) المعروف باسم (بنشو)
في المراجع الأسبانية . ولكن القوط
لقوا هزيمة فادحة ولم ينج منهم إلا
واحد استطاع الهرب والذهاب إلى
معسكر لوذريق في أقصى الشمال ونقل
إليه أنباء تلك الكارثة وهجوم المسلمين
على البلاد . وكان لوذريق يقيم في
مدينة أبنبلونة بأقصى الشمال حيث
يدير الحرب إضد القبائل البسقاوية .
ولذا صمم على العودة سريعاً إلى الجنوب
والمهجوم على المسلمين قبل أن يتوغلوا
في داخل البلاد . وكان لوذريق من
أشهر رجال القوط في ميدان الحروب
إذ قدر تماماً الخطر الذي أحاط بدولته
بسبب نجاح المسلمين في اتخاذ قاعدة
لهم عند جبل طارق وأدرك أنهم جاءوا
للفتح وليس للإغارة من أجل السلب
والنهب والحصول على المغنم كما راجت
الإشاعات بذلك . ومن ثم عمد إلى
جمع صفوف القوط لمواجهة المسلمين
فاتصل بأبناء غيطشة وصالحهم ليكونوا
جميعاً يداً واحدة . ولكن أعمال لوذريق
في تلك السبيل جاءت متأخرة لأن بيت
غيطشة ظل على ولائه سرا للخطة التي
وضعها يوليان ولم ينس ما حل به من

أذى واضطهاد وتشريد على يد لوزريق .
وفي الوقت نفسه ظل أبناء هذا البيت
في اعتقادهم بأن المسلمين لم يأتوا
للفتح ولكن للحصول على المغنم مقابل
مساعدتهم في القضاء على لوزريق .
وزحف لوزريق بجيشه سريعا واحتل
قرطبة ليحول بين المسلمين وبين
الاستيلاء عليها لأنها المفتاح الذي يسيطر
على سهول الأندلس الجنوبية الشرقية
ويمكن لصاحبها من الاستقرار في
البلاد .

وكان طارق بن زياد يريد فعلا
الاستيلاء على قرطبة فقد زحف على
هذه المدينة بعد انتصاره في جنوب
أسبانيا وسلك الطريق المار بجزيرة
طريف (الجزيرة الخضراء) ثم زحف
شمالا بعد ذلك حتى اقترب من بحيرة
الخندي التي يخرقها نهر صغير يسمى
(البرباط) . وفي ذلك المكان مدينة
صغيرة سماها المسلمون (بكة) ونسبوا
إليها النهر الذي صار يعرف باسم (وادي
بكة) وحرف بعض المسلمين هذه
التسمية الى (وادي لكة) . وعند وادي
بكة عرف طارق بن زياد عن طريق
عيونه أن لوزريق علم بنبا الحملة
الإسلامية وأنه وصل الى قرطبة واستولى
عليها كما أنه تابع زحفه جنوبا واتخذ
معسكره عند بلدة شذونة في سهل

البرباط وأنه صار بذلك على أهبة
القتال . وذكرت بعض المراجع أن
جيش القوط بقيادة لوزريق بلغ عدده
مائة الف مقاتل وضم عددا عظيما من
الفرسان . ويرجح أن هذا العدد مبالغ
فيه . وأدرك طارق بن زياد أن العدد
الذي معه من جند المسلمين لا يكفي
لقتال قوات لوزريق الهائلة ولذا أرسل
إلى موسى بن نصير يشرح له الموقف
ويطلب إليه ارسال الإمدادات بسرعة
فأمدته موسى بن نصير بحملة عددها
خمسة آلاف مقاتل بقيادة طريف بن
مالك الذي قاد أول حركة استطلاعية
في ارض اسبانيا . ونقل هؤلاء الجنود
مرة واحدة على سفن الأسطول العربي
إلى أسبانيا . ووصلت الإمدادات
الإسلامية إلى طارق في اللحظة الحاسمة
التي كان القوط على وشك شن الهجوم
على المسلمين . وأعد طارق بن زياد
قواته للمعركة ثم وقف بين أجنده
خطيبا يحثهم على الاستبسال في القتال
شأنه في ذلك شأن قادة الفتوح العربية
الذين دأبوا على ارفع روح أجندهم
المعنوية بإلقاء خطاب حماسي بينهم
قبل نشوب المعركة . وتعتبر خطبة
طارق من روائع الأدب العربي ومما
جاء في هذه الخطبة . :

« أيها الناس : أين المفر ؟ البحر من

ورائكم والعدو أمامكم وليس لكم
والله إلا الصبر والصدق .

ورضيتكم لملوك هذه الجزيرة أصهارا
وأختانا ثقة منه بارتياحكم للطعان
واستماحكم بمجالد الأبطال والفرسان
ليكون حظه منكم ثواب الله على إعلاء
كلمته وإظهار دينه بهذه الجزيرة
وليكون مغنمها لكم من دونه ومن
دون المؤمنين سواكم . والله تعالى
ولى أنجادكم على ما يكون لكم ذكرا
في الدارين .

أيها الناس : ما فعلت من شيء فافعلوا
مثله إن حملت فاحملوا وإن وقفت
فقفوا ثم كونوا كهيئة رجل واحد
في القتال . وإني عامد إلى طاغيتهم
ببحث لا أنهيه حتى أخالطه وأمثل دونه
فإن قتلت فلا تهنوا ولا تحزنوا ولا
تنازعوا فتمشوا وتذهب ريجكم وتولوا
الدبر لعدوكم فنبذوا بين قتيل وأسير .
وإياكم إياكم أن ترضوا بالذنية
ولا تعطوا بأيديكم وارغبوا فيما عجل
لكم من الكرامة الراحة من المهانة
والذلة . وما قد أجل لكم من ثواب
الشهادة فإنكم إن فعلوا والله معكم
ومفيدكم تبوعوا بالخسران المبين وسوء
الحديث غدا بين من عرفكم من
المسلمين وهأنذا حامل حتى أغشاها
فاحملوا بحملي »

وفي الوقت الذي أثرت فيه خطبة
طارق تأثيرا كبيرا في نفوس جنوده

واعلموا أنكم في هذه الجزيرة أضيع
من الأيتام في مأدبة اللثام وقد استقبلكم
عدوكم بجيوشه وأسلحته . وأقواته
موفورة وأنتم لا وزر لكم إلا سيوفكم
ولا أقوات لكم إلا ما تستخلصونه من
أيدي عدوكم . وإن امتدت بكم الأيام
على افتقاركم ولم تنجزوا لكم أمرا
ذهبت ريجكم وتعوضت القلوب عن
رعبها فيكم الجرأة عليكم . فادفعوا
عن أنفسكم خذلان هذه العاقبة من
أمركم بمناجزة هذا الطاغية فقد ألفت
به إليكم مدينته الحصينة . وإن انتهز
الفرصة فيه لممكن إن سمحتم لأنفسكم
بالموت . وإني لم أحذركم أمرا أنا عنه
بنجوة ولا حملتكم على خطة أرخص
متاعا فيها للنفوس أبدا بنفسى . واعلموا
أنكم إن صبرتم على الأشق قليلا
استمتعتم بالأرفة الألد طويلا . فلا
ترغبوا بأنفسكم عن نفسى فما حظكم
فيه بأوفي من حظى . وقد بلغكم ما
أنشأت هذه الجزيرة من الحور الحسان
من بنات اليونان الرافلات في الدر
والمرجان والحلل المنسوجة بالعقيان
المقصورات في قصور الملوك ذوى
التيجان . وقد انتخبكم الوليد بن عبد
الملك أمير المؤمنين من الأبطال عربانا

على هذا الطاغية وأنه إذا تم القضاء على حكم لودزيق عادت البلاد ملكا لهم ينعمون بجزائرها . ونجحت دعايات يوليان بين فرسان القوط خاصة تلك التي كان يتولى قيادتها أحد إخوة غيطشة ملك القوط السابق الذي قضى عليه لودزيق . وفي اليوم الرابع من المعركة ظهرت نتائج دعايات يوليان بين صفوف جيش لودزيق . فقد تخلى عنه جماعات الخيالة التي كانت العمود الفقري للعمليات الحربية وأدى ذلك إلى وقوع الاضطراب بين سائر جند القوط وهرب الكثيرون منهم طلبا للنجاة . هذا إلى أن غالبية الجيش اشتملت على أعداد كبيرة من العبيد الساخطين على حكم القوط المتمنين زواله ووجدوا في تلك المعركة فرصتهم للخلاص مما حل بهم من ظلم واضطهاد ولما أخذت مظاهر الفوضى تسود الجيش بسبب انسحاب الخيالة تراخى العبيد عن القتال وانتهت المعركة بانتصار المسلمين . وفر لودزيق تاركا عددا كبيرا من القتلى على أرض الميدان .

وحسب البعض أن لودزيق غرق في النهر الذي دارت المعركة بقربه لأن الجنود وجدوا على الشاطئ بعد انتهاء القتال خفه دون أن يعثروا له على أثر غير أن لودزيق أبي الاستسلام بعد

ورفعت من روحهم المعنوية كانت العناصر الحانقة على لودزيق تحدث أعمالها وتدفع بكثير من اولئك الغاضبين إلى الانضمام إلى جيش طارق . ووقف الفريقان على ضفتي النهر أخيرا استعدادا للقتال . وكان المسلمون ببساطتهم ويقظتهم موضع الهيبة في النفوس على حين كان منظر القوط يدعو إلى السخرية الازدراء . إذ جلس لودزيق في عربة مطهمة يجرها جوادان وعليه أبواب الحرير البراقة وهو يحاول عبثا بث روح الحماسة في جنده . وكان في جيشه اثنان من إخوة غيطشة وهما : أبه وششيرت اللذان صالحهما بغية توحيد صفوف القوط وجعل أحدهما على الخيالة التي كانت عماد جيش القوط .

وفي يوم الأحد ٢٨ من رمضان عام ٩٢ هـ (١٩ يوليو ٧١١ م) بدأت المناوشات بين الجانبين على وادي البرباط بالقرب من بلدة شذونة . واستمرت المناوشات ثلاثة أيام اظهر فيها كل من الجانبين الكثير من ضروب الشجاعة والبسالة دون أن يحصل أحدهما على نصر يذكر . غير أن أتباع يوليان نشطوا في أثناء القتال وبتوا رجالاتهم وسط جند لودزيق ليصرفوهم عنه ويؤكدون لهم أن المسلمين لم يأتوا إلى الاندلس للفتح والاستقرار ولكن للقضاء

للإستيلاء على قرطبة ليحمي ممتلكاته
بجنوب اسبانيا على حين انطلق بنفسه
سريعا إلى طليطلة قبل أن يتمكن أتباع
لوذريق من تحصينها وقبل أن يصل
ابناء غيطشة أيضا إلى قرار يصعب
على المسلمين مواجهته . ذلك أن بيت
غيطشة ظل واحما (حتى تلك الأحداث)
بأن المسلمين ما جاءوا إلا للمغانم مقابل
مساعدة ابناء غيطشة للوصول إلى العرش
واستولى طارق بن زياد على مدينة
طليطلة في سهولة ويسر لأن القوط
آثروا تجنب لقاء المسلمين انتظارا لما
تسفر عنه استعداداتهم . وحاول طارق
أن يتتبع فلول القوط الهاربة من طليطلة
حتى بلغ مدينة أطلق عليها المسلمون
(المائدة) على مقربة من هنارس .
وهناك عثر المسلمون على كنز ثمين
عبارة عن مذبح كنيسة طليطلة المحلي
بأعلى ما كان لدى القوط من الذهب
والجواهر . غير أن طارقا اضطر إلى
العودة إلى طليطلة لأن الصيف كان
قد انقضى فأثر البقاء في العاصمة دون
أن يعرض جنده لبرد الشتاء القارس
وفي طليطلة بلغه أن جيشه الذي بعث
به إلى قرطبة قد استولى عليها .

وقد شعر موسى بن نصير أن زحف
طارق وراء فلول القوط يوشك أن
يعرض الفتوح الاسلامية في البلاد

المهزومة الساحقة التي نزلت به وفر إلى
داخل البلاد دون أن يكشف أحد أمره
مستهدفا جمع فلول القوط مرة أخرى
والانتقام ممن انضم من رجاله إلى المسلمين
وبعث طارق بأبناء انتصاراته إلى موسى
بن نصير الذي أبلغها بدوره إلى الخليفة
الوليد بن عبد الملك وبدأت راية الاسلام
تعلو خفاقة فوق غرب أوروبا للمرة
الأولى في التاريخ . وازدادت قوات
طارق بن زياد بعد معركة وادي بكة
لأن الإمدادات انهارت عليه من المغرب .
ورأى طارق أن يتابع زحفه دون إبطاء
ليستولى على قرطبة ويقضي على ما بها
من بقايا جيش القوط غير أنه لقي
في الطريق إلى هذه المدينة مقاومة
عنيفة جعلته يعدل عن خطته
ويبادر بالاستيلاء على طليطلة عاصمة
دولة القوط ويتوج بذلك انتصاراته
في أسبانيا . وكان السبب في هذا التطور
الجلديد هو ما بلغ طارقا من أن أنصار
لوذريق حين ترامت إليهم الشائعات
بأن ملكهم لم يقتل بدعوا يجتمعون
صنفوهم مرة أخرى في طليطلة لمقاومة
المسلمين . ومن ناحية أخرى أخذ أنصار
الملك السابق غيطشة يجتمعون في طليطلة
ويتشاورون فيما بينهم لإعلان أحدهم
ملكا مكان لوذريق المهزوم . ولذا
عجل طارق بإرسال جزء من جيشه

الأسبانية المترامية الأطراف لخطر محقق ذلك أن خطوط مواصلات المسلمين فيما بين طليطلة والجزيرة الخضراء وبلاد المغرب صارت غير آمنة لأن المعادل الكبرى المبعثرة على امتداد تلك الخطوط لم تخضع للمسلمين ولم يسيطر طارق إلا على قرطبة فقط من بين تلك المعادل المتعددة . هذا إلى أن قرطبة لم يكن بها سوى حامية صغيرة لا تستطيع أن تؤدى رسالتها كما ينبغي إذا انبعثت أية حركة مقاومة بين صفوف القوط . وأول من شعر بالخطر الذى بات يهدد المسلمين في أسبانيا هو القائد يوليان الذى قام إذ ذاك في الجزيرة الخضراء ليؤمن خطوط مواصلات المسلمين بين أسبانيا والمغرب وذلك في الوقت الذى اندفع فيه طارق بن زياد إلى طليطلة عاصمة القوط . فقد بعث يوليان مجموعة من رجاله مع المسلمين عند توغلهم في البلاد واستطاعت بفضل خبرتها وأهلها أن تترك ما يدور في نفوس القوط من غدر وأنهم يتجمعون وفق خطة مرسومة لإنزال الهزيمة بالمسلمين . أفضى يوليان إلى طارق بما جاءه من أخبار وطلب منه القيام بعمل حاسم لتأمين ظهر جيوشه غير أن طارقا آثر البقاء في طليطلة دون القيام بأية أعمال توسعية ثم كلف

يوليان بأن يتصل بموسى بن نصير في القيروان ويطلب إليه سرعة المجئ إلى أسبانيا لانتفاذ الموقف .

ولما جاءت استغاثة طارق إلى موسى بن نصير أدرك أن مخاوفه من انطلاق طارق في فتوحه بعد معركة وادى بكة لها ما يسوغها . وأسرع موسى بإعداد جيش مكون من ثمانية عشر ألفا من خيرة جنده وكان معظمهم من العرب والبربر الذين عرفوا بقوة الشكيمة وشدة المراس ومن اشتهروا ببلاتهم في ميدان الحروب ببلاد المغرب وغادر موسى بلاد المغرب على عجل . وقسم موسى بن نصير جيشه بحسب القبائل ليسهل عبورها إلى الأندلس دون أن تقع فوضى بي صفوف الجند . وفي رمضان عام ٩٣ هـ (يونيه ٧١٢ م) كان موسى بن نصير قد غادر المغرب ووصل إلى الجزيرة الخضراء في الأندلس وشيد بها مسجدا وانتظر هناك حتى تم عبور سائر الجند واطمأن على سلامتهم وحسن ترتيبهم . وفي تلك الأثناء أسرع يوليان إلى لقاء موسى بن نصير وعقد معه مجلسا حريا للتشاور في هذا الموقف الخطير . وقرر هذا المجلس الحربى أن الضرورة تقضى بالسيطرة أولا على المعادل التى تركها طارق والتي باتت خطرا يتهدد المسلمين

وبعث موسى بن نصير عقب هذا المجلس الحربي الهام رسالة إلى طارق بن زياد يأمره فيها بالانتظار في طليطلة وألاً يقوم بعمل حربي إلا بإشعار آخر . ورددت بعض المراجع أن موسى لم يقدم على هذا العمل والعبور إلى الأندلس إلا منافسة لطارق ورغبة استبدت به لينال بدوره نصيبا كبيرا من الغنائم وأن الحسد كان يأكل قلبه وأنه صمم على محاسبة طارق على أعماله وأنه رأى أن يتولى بنفسه فتوحا أخرى أعظم مما قام به هذا القائد . وقد وقعت تلك

المراجع في هذا الخطأ الفاحش لأنها صورت موسى وطارقا تصوير القائدين المختلفين وأن كلا منهما كان يعمل دون علم الآخر . والمعروف أن طارقا لم يقيم بما قام به من أعمال حربية إلا باسم موسى بن نصير الذي تولى القيادة العليا ورسم الخطط وأمد طارقا بكل المساعدات الحربية ولا سيما في ساعة الخطر بعد معركة وادي بكة . هذا إلى أن طارق بن زياد كان يرسل إلى موسى بن نصير عن طريق يوليان أنباء تقدم المسلمين خطوة خطوة مما جعل القيادة العليا في القيروان تتابع الأحداث عن كثب . ومن ثم لم يكن هناك سببا يدعو موسى لأن يحقد أو يحسد طارقا على ما تم على يديه من فتح لأنه شارك في

هذا الفتح وأعد خططه . هذا إلى أن موسى لم يكن يتطلع بعبوره إلى الأندلس إلى الحصول على مغنم لأن توزيع الغنائم وغيرها من ممتلكات القوط كان هو المرجع الأخير فيه . والحقيقة أن موسى ابن نصير باعتباره القائد الأعلى قد أفرغه زحف طارق السريع بعد معركة وادي بكة وتعريضه خطوط مواصلات المسلمين لخطر محقق بسبب تركه الكثير من المعقل والمدن الهامة جريا وراء مطاردة القوط ولذلك بادر موسى برسم خطة للسيطرة أولا على المراكز الحربية وغيرها في المدن التي كانت تهدد خطوط مواصلات المسلمين وليدعم فتوح المسلمين قبل الذهاب إلى طارق في طليطلة وتنهض هذه الخطة التي وضعها موسى دليلا على أنه لم يكن يهدف إلى القيام بفتوح جديدة تغطي أخبارها وعظمتها ما قام به طارق وأن مجيئه إلى الأندلس كان ضرورة حربية ملحة وإصلاح خطأ وقع فيه قائده طارق .

فتح اشبيلية وماردة :

وعمد موسى بن نصير إلى تأمين خطوط مواصلات المسلمين بين الجزيرة الخضراء التي نزل فيها وبين قرطبة التي تعتبر مفتاح السيادة في جنوب الأندلس . فعجل بالسير في بلدة شذونة

فكان لها أسوار منيعة يعلوها الأبراج والحصون القوية . ثم إن فلول القوط وأنصار لوذريق جعلوا تلك المدينة ملجأ لهم بسبب بعدها عن طريق المسلمين كما كانت المسالك إليها وعرة صعبة . ولذا استغرق حصار المسلمين لها آخر الصيف . والشتاء التالي له دون أن يسيطروا عليها ودار حولها قتال عنيف سقط فيه كثير من الضحايا . فقد أعد موسى بن نصير كمائن كثيرة أخفاها في جهات صخرية مواجهة للمدينة أنزلت ضربات قاصمة بالقوط كلما رغبوا في الخروج إلى معقلهم وقتل كثير من المسلمين أيضا في محاولاتهم ثقب سور المدينة . ولم يستقر الأمر لموسى في ماردة إلا بعد جهد شاق بذل فيه الكثير من الوعود لأهلها الذين سلموا بعدها في شوال عام ٩٤ هـ (يونيو ٧١٣ م) . وبعد أن غادر موسى بن نصير مدينة أشبيلية وبدأ حصار ماردة جمع القوط فلولهم في المدن المجاورة وفاجئوا الحامية الاسلامية في اشبيلية وقتلوا منها ثمانين فردا وأجبروا الباقين على الخروج من المدينة وأثر موسى ابن نصير الاستمرار في حصار ما رده حتى استولى عليها ثم بعث بابنه عبد العزيز إلى أشبيلية لطرده القوط منها واختار موسى بن نصير

ومنها زحف إلى قرمونة ورعواق واستولى عليهما وبذلك أصبحت المحطات الهامة على الطريق إلى قرطبة في أيدي المسلمين وصار في استطاعتهم التقدم من تلك القاعدة نحو الغرب وفتح مدينة أشبيلية التي كانت أكبر مدن القوط بعد العاصمة طليطلة ومصدر الخطر المباشر على القوات التي كانت تحت قيادة طارق في داخل البلاد . وكانت أشبيلية تعتبر نقطة التقاء للطرق الهامة في جنوب الأندلس ولا سيما التي تربط الجزيرة الخضراء بداخل البلاد . فكانت هناك طريقان يربطان أشبيلية بالجزيرة الخضراء التي جعلها موسى مركزا لالتقاء جنده في أسبانيا وكان أحد هذه الطرق بحريا والآخر بريا وعلى كل منهما محطات كثيرة ومعقل .

هذا إلى أن اشبيلية اشتهرت بأسوارها الحصينة ومتاجرها الواسعة وبهذا أصبحت قاعدة كبيرة من قواعد الفتوح الاسلامية في أسبانيا . وبعد أن استولى موسى بن نصير على مدينة أشبيلية اكتفى بوضع حامية بها وأسرع إلى الاستيلاء على مدينة ماردة التي كانت معقلا خطيرا في أيدي القوط خلف خطوط المسلمين ووجد موسى بن نصير مدينة ماردة قوية الحصون وأشد منعة من إشبيلية

بعد ذلك للمدن التي استولى عليها نفرا من خيرة قادته ممن اشتهروا باليقظة والبطولة . واضطر موسى بن نصير أمام تلك المقاومة العنيفة التي لقيها جيشه إلى أن يريح جنده في مدينة ماردة مدة شهر تقريبا قبل أن يستأنف السير إلى طليطلة لمقابلة طارق وأدرك موسى بن نصير أن القوط يهدفون إلى الهجوم على المدن التي يستولى عليها من أجل دفع طارق بن زياد إلى مغادرة طليطلة لنجدة موسى بن نصير ثم يستردون مدينة طليطلة في غيبة القوات الاسلامية عنها . ولذا عمد موسى إلى تشتيت خطة القوط بأن يظل يقاومهم أطول فترة ممكنة دون أن يطلب إلى طارق مساعدته . ولكن ما كاد موسى يغادر مدينة ماردة حتى جاءت الأخبار أن لوزريق نفسه ملك القوط الذي فر بعد معركة وادي بكة بدأ ينظم فلول جيشه ويجمع أتباعه استعدادا للهجوم على المسلمين مرة أخرى . ثم أن لوزريق بعد أن أثر البقاء ساكنا ليضرب ضربه الأخيرة في عنف وشدة اختار قوات موسى بن نصير لتكون هدفه ليهدم بذلك خطط الفتوح الاسلامية كلها في الاندلس مرة أخرى . واتخذ لوزريق مركز مقاومته في شعاب الهضاب التي تلي وادي أنه إلى الشمال في جبال سيرا دفرانشيا على أبواب قشتاله واستراما

دورة في السهل المنبسط الذي يحيط بمدينة سلمنقة .
وأجاد لوزريق إخفاء قواته في تلك الجهة الوعرة حتى إن موسى بن نصير اضطر أن يتخلى عن خطته وأن يطلب من طارق بن زياد الخروج من طليطلة وأن يلقاه في منتصف الطريق بين تلك العاصمة وماردة لينقذ المسلمين إذا ما دهمهم خطر مفاجئ . وسار طارق نحو مائة وخمسين ميلا واتخذ مكانه في الجهات المعروفة باسم (العرض) بين التاجة ونهر التار . وسار موسى بن نصير مع قواته في طريق روماني قديم يصل ماردة وسلمنقة ويجوار نهر حمل اسمه فيما بعد وهو نهر فاموتا أي نهر موسى وذلك بعد أن اتخذ كل الاحتياطات حتى لا يؤخذ على غرة . ولما وصلت القوات الاسلامية إلى منتصف الطريق السالف الذكر اعتقد لوزريق أن الوقت قد حان ليضرب ضربه الأخيرة وأن المسلمين لن يجدوا من ينقذهم أو يبادر إلى مساعدتهم . وعند ناحية اسمها السواقي على مقربة من (ثمامس) شن لوزريق هجومه دون أن يدري أن موسى بن نصير قد اتخذ كل الوسائل ليحمي قواته ويجنبها الأخطار . ولذا صمد المسلمون لهجوم القوط وأنزلوا بهم خسائر فادحة وقتلوا كثيراً منهم كان من بينهم لوزريق نفسه الذي قتله

قد أعدوا حركة مقاومة عنيفة . ورددت بعض المراجع أن موسى شد وثاق طارق وحبسهم وهم بقتله لولا تدخل مغيث الرومي مندوب الخلافة في الحملة الإسلامية إلى إسبانيا واسرعه بإبلاغ الحادث إلى الخليفة الوليد بن عبد الملك الذي أمر موسى بعدم إنزال الأذى بطارق . غير أن هذه الرواية استندت إلى شائعات مغرضة ردها القائد مغيث الرومي الذي كان بينه وبين موسى بن نصير سوء تفاهم فانتهاز فرصة ذهابه إلى دمشق ليلبغ الخليفة انباء انتصارات المسلمين وأساء إلى سمعة هذا القائد . غير أن المقطوع به هو أن موسى بن نصير عنف طارقاً أو حدث عتاب بينهما لأن طارقاً كان قد تقدم في الفتح أكثر مما ينبغي ولما تثبت أقدام المسلمين في البلاد بعد متحدياً بذلك أوامر مولاه لكن موسى كان من الحكمة بحيث أنه سرعان ما اتفق مع طارق واشترك الرجلان اشتراكاً كاملاً في العمل .

واستقر رأى كل من طارق بن زياد وموسى بن نصير على القيام بمسح شامل لسائر الأراضي الأسبانية التي لم تفتح بعد ونشر الإسلام بين ربوعها وتطهيرها تطهيراً شاملاً من جيوب القوط وقلوبهم . واثبت موسى بن نصير بذلك

مروان بن موسى بن نصير . وصار الطريق إلى طليطلة مفتوحاً أمام موسى بن نصير فسار حيث للتمى بطارق بن زياد وقواته التي كانت قد غادرت تلك المدينة - في سبيلها إلى مقابلته في عرض الطريق .

استعادة فتح طليطلة :

ولما كان هجوم لوذريق على قوات موسى بن نصير شعبة من مؤامرة مزدوجة استهدف طرفها الثاني السيطرة على طليطلة وانتزاعها من المسلمين إذا ما خرج طارق منها لنجدة إخوانه فإن جماعات من القوط انتهزت خلوع العاصمة من الحامية الإسلامية واستولت عليها إكمالاً للحلقة المقاومة ضد المسلمين غير أن القوات الإسلامية المشتركة بقيادة موسى بن نصير وطارق بن زياد تمكنت من هزيمة القوط والسيطرة على طليطلة مرة ثانية .

وبذلك انتهت مقاومة لوذريق وجنده بمجئ قوات موسى بن نصير على عجل ولولا ذلك لانهارت أعمال طارق وأصيب جنده بكارثة مروعة .

وفي مدينة طليطلة أخذ موسى بن نصير يحاسب طارقاً على اندفاعه الذي كاد ينزل بالمسلمين كارثة محققة ولا سيما بعد أن ثبت عملياً أن القوط كانوا

الأخطار مرة أخرى .

وقصدت القوات الاسلامية بقيادة موسى بن نصير مدينة سرقسطة واقربت منها على حين غفلة من أهلها وأراد أسقف المدينة ومن معه من الرهبان جمع دخائرهم وكتبهم المقدسة والفرار بها غير أن موسى بن نصير بعث إليهم رسولا من قبله أزال مخاوفهم وأعطاهم العهود والمواثيق بالأمان . وبذلك استولى المسلمون على المدينة دون قتال وشيدوا بها مسجدا صار فيما بعد أحد المراكز الكبرى لنشر الدين الإسلامي وحضارته في أسبانيا . وقام ببناء هذا المسجد أحد التابعين في جيش موسى بن نصير وهو حنش بن عبد الله السبأى الصنعاني .

الزحف شمالاً نحو البرانس :

وتابع موسى زحفه بعد ذلك واستولى على كثير من المدن الهامة في تلك الجهات . وظلت القوات الاسلامية تتابع زحفها حتى بلغت مشارف جبال البرت (البرانس) وشاهد المسلمون سكان تلك الجبال من القبائل البسقاوية (البشكنس) واستمعوا إلى لغتهم الغربية التركيب والاصوات ، وفي الوقت الذي كان فيه موسى بن نصير يبذل كل ما لديه من جهد لتأمين ممتلكات المسلمين شمالى مدينة سرقسطة جاءه مندوب الخلافة وهو

أنه ما زال يولى طارق بن زياد ثقته المطلقة . وأتبع موسى هذه الخطوة بعمل إدارى رائع لتنظيم أحوال البلاد فأمر وهو في طليطلة بضرب عملة ذهبية دفع منها رواتب الجند العاملين تحت إمرته . ويعتبر سك هذه العملة الذهبية دلالة على سيطرة موسى بن نصير على الأوضاع في تلك البلاد الأوربية الجديدة وعلى مهارته الفائقة في بناء إدارة عربية مستقرة الأركان في اسبانيا منذ الايام الاولى للفتح الاسلامى بها . وكانت هذه العملة الذهبية على غرار العملة التي سكها موسى بن نصير في بلاد المغرب فكان على وجه هذه العملة اسم (محمد رسول الله) وعلى الوجه الآخر نجمة ذات ثمانية أذرع - وإلى جانب ذلك أمر موسى بن نصير بضرب عملة برنزية صغيرة لمساعدة الناس في تسهيل عملياتهم اليومية . وبعد أن أتم موسى بن نصير تنظيماته الادارية استأنف الجهاد وانفق مع طارق بن زياد على الزحف معا نحو الشمال الشرقي لفتح حوض نهر الإبرو وما فيه من مدن واشترك طارق مع موسى في هذه الحملة لأن المقاومة الشديدة التي سبق أن أظهرها القوط حملت القيادة الاسلامية على جمع جهودها وتنسيق اعمالها بما يجنب المسلمين

مغيث الرومي ومعه أمر من الخليفة الوليد بن عبد الملك لكل من موسى بن نصير وطارق بن زياد بالمجيء إلى البلاط ومقابلته شخصيا في دمشق . ورأى موسى بجنكته الحربية ومقدرته السياسية أن هذا الاستدعاء جاء في وقت غير مناسب لأن مطاردة القوط لم تنته بعد كما أن فتح البلاد يتطلب السيطرة على المعقل الشمالية الجبلية أضف إلى ذلك أن موسى أحس أن أمرا قد دبر له في دمشق ويحتمل ان هذا التدبير هو السر في استدعائه إلى عاصمة الخلافة ولذلك ألح على مغيث الرومي أن يؤجل تنفيذ طلب الاستدعاء حتى ينتهي من العمليات الحربية ومنحه قصرأ في قرطبه يقيم فيه ريثما يفرغ المسلمون من مهمتهم . وتقدم موسى بقواته نحو مدينة قشتاله لأنها تعتبر المركز المباشر الذي يمكن أن يهدد منه القوط مدينة طليطلة وغيرها من البلاد الاسلامية ثم إن اقترابها من الجهات الجبلية الوعرة يساعد من يتحصن بها على أن يبقى على المقاومة زمنا طويلا . ولذا قسم موسى بن نصير قواته قسمين عهد بواحد منهما إلى طارق بن زياد وجعل مهمته السير وغربا على حين قاد هو الشطر الثاني واتجه في البلاد شرقا . وقصد طارق بن زياد إلى جبال كنتبرية

وأخضع جماعات البسقاوية غربي نهر الأبرو . ودخل كثير من سكان تلك الجهات في الاسلام على يد طارق بن زياد وصاروا يكونون نواة كثير من الأسر الأندلسية الإسلامية التي قدر لها أن تمثل دورا هاما في تاريخ البلاد فيما بعد . وفي الوقت نفسه سار موسى بن نصير على الضفة الشرقية لنهر إبرو في إقليم قشتاله ورحب به زعماء البلاد كذلك ودخلوا في طاعة المسلمين . غير أن نفرا من فلول القوط آثروا الفرار أمام الزحف الإسلامي إلى المناطق الجبلية الساحلية الشمالية واعتصموا بمكان اسمه (الصخرة) فطارد موسى تلك الفلول حتى بلغ (خيخوت) وجعل منها حصنا يحمي ما تم على يديه من فتوح في تلك الجهات القاصية . وصارت تلك الجهات أقصى ما وصل إليه المسلمون في منطقة (اشتريس) حيث بدأ موسى بن نصير يعد العدة للعودة من تلك البلاد النائية . وتم في ذلك الوقت أيضا اخضاع المنطقة الساحلية بين مالقة وبلنسية وإخماد الفتن التي حاول القوط القيام بها . وقام بهذه المهمة عبد العزيز . بن موسى بن نصير الذي اشترك مع والده في إكمال الفتوح الإسلامية في أسبانيا . وسار هذا القائد على نهج والده في

أكثر معاضدة لتحرير الرقيق من النصرانية
كما فهمها أحبار المملكة القوطية .
وكذلك تحسنت أحوال أرقاء الضياع
إذ غدوا من الزراع وتمتعوا بشئ من
الاستقلال والحرية .

وكان موسى بن نصير حريصا على
أن يظل المسلمون العاملون تحت رايته
سواء من العرب أو البربر مثلا عليا
أمام شعب أسبانيا . فلم يترفع اولئك
الفاتحون المسلمون على ابناء البلاد وإنما
امتزجوا معهم وصاهروهم وشاركوهم
أيضا في مباحج البلاد ومسراتها يطلبون
العيش في سلام جنبا إلى جنب مع
أهلها . وكان شعب أسبانيا من العنصر
الأيبيري المسالم المحب لحسن العشرة .
ومن ثم أنس إلى الفاتحين الجدد سواء
من العرب أو البربر وأقبل عليهم طواعية
لا عن ضغط وإرهاب ووجد فيهم
محررين من بطش القوط وظلمهم الفاحش
ولم يحاول الفاتحون إدخال ابناء الشعب
قسرا في الدين الإسلامي وإنما حرصوا
أولا على بيان فضائل هذا الدين
حتى يتنبه الناس ويدخلوا في رحابه إيمانا
بأركانه وقواعده . ثم إن موسى بن
نصير عمد إلى تنظيم الأحوال المالية
للبلاد حتى يجنبها الاضطرابات ويهيئ
لها أسباب الاستقرار . وقد طبق على
أسبانيا القواعد التي اتبعها المسلمون

معاملة أهالى البلاد المفتوحة بالرفق
والتسامح والعدل في فرض الضرائب
ومن ذلك ما حدث حين زحف عبد
العزيز ابن موسى على مالقة ثم غرناطة
ثم أريولة وهي كلها سلمت دون قتال .
ارتياح اهالى الأندلس للحكم الاسلامى :

وقد شعر أهالى الأندلس مع امتداد
الفتح الاسلامى طلائع المساواة وخاصة
في الضرائب وهو أمر لم يألفوه منذ
زمن طويل . هذا إلى احترام حرية
العقيدة وإزالة الإضطهاد الدينى .
وردد كثير من الباحثين في التاريخ
الأوربي المظاهر الجديدة التي سادت
الشرط العربي من أوربا في بلاد أسبانيا
عقب الفتح الاسلامى وسجلت بهذا
الدين الحنيف مظاهر الحياة الجديدة
التي نفعها في تلك البلاد وذكروا
أن الفتح العربي كان من بعض الوجوه
نعمة لأسبانيا فقد أحدث فيها ثورة
اجتماعية هامة وقضى على كثير من
الأدواء التي كانت تعانها البلاد منذ
قرون أو تحطمت أسلمة الأشراف
والطبقات الممتازة أو كادت تمحى
ووزعت الأراضي توزيعا عادلا فكان
ذلك حسنة سابعة وعاملا في ازدهار
الزراعة إبان الحكم الإسلامى . ثم
كان الفتح عاملا في تحسين أحوال
الطبقات المستعبدة إذ كان الاسلام

الفاتحون في شتى الجهات التي استولوا عليها . فالأراضي التي فتحت عنوة قسمت بين الفاتحين بعد أخذ الخمس لبيت المال . أما الجهات التي فتحت صلحا فتركت بين أصحابها مقابل دفع العشر من نتاجها . ولا شك أن هذا التنظيم المالى لم يكن عملا هينا بالنسبة لموسى بن نصير وبخاصة في تلك الجهات من غرب أوربا التي لم تعرف منذ زمن بعيد لونا من ألوان الإدارة العادلة . فالمعروف أن القوط كانوا يستبيحون لأنفسهم ثروات البلاد ويعتبرون السكان أقتانا يعملون في الأرض ولا هم لهم إلا انتاج ما يحتاج إليه سادتهم من القوط . ولذا جاءت تنظيمات موسى بن نصير في أسبانيا وسيلة جيدة لخلق الامتزاج السليم بين الفاتحين وأهل البلاد الأصليين . فالأراضي المنبسطة في الجنوب أى جنوب الوادى الكبير اعتبرها موسى بن نصير أرضا مفتوحة عنوة فقد تم الاستيلاء عليها بعد معارك عنيفة ضد لودزريق . وقسم موسى أربعة أخماس هذه الأراضي إلى قطاعات بين الفاتحين على حين بقى الخمس ملكا للدولة . أما بقية أرض الأندلس فقد اعتبرت أرض صلح وهى الأراضي الواقعة شمال نهر الوادى الكبير من شبه جزيرة ايبيريا فأخذ أهل

كل ناحية لأنفسهم عهدا وهذا العهد يقرر ما عليهم من مال للدولة . وبذلك سار الاستقرار في بلاد أسبانيا سريعا حيثما سار موسى بن نصير وبدأ العرب والبربر ينتشرون في شتى الجهات في طمأنينة وسلام . واستقر العرب دائما في المناطق المنبسطة والمنخفضات أى في النواحي الدافئة قليلة المطر في الجنوب والشرق والغرب وفي ناحية سرقسطة . أما البربر فاختاروا المناطق الجبلية التي سبق أن ألفوا مثلها في وطنهم ببلاد المغرب . بينما نزل العرب في المناطق الواطئة بجنوب أسبانيا مثل شذونه واستجة فضل البربر منطقة رنده الجبلية واختاروها سكنا لهم . ونزل بعض البربر في مناطق متفرقة كذلك أو في بعض الهضاب حسبما راق لهم ذلك . واستطاع كل من العرب والبربر الامتزاج بأهالى البلاد الأصليين وارتبطوا معهم برباط الزواج . وكان للبربر خاصة أثر عظيم جدا في انتشار الاسلام في الأندلس بسبب قرب مزاجهم وطباعهم من اولئك السكان . هذا إلى أن البربر بسبب حداثة عهدهم بالاسلام كانوا شديدى الحماسة للدين الجديد لأنه صار رمز سيادتهم وعزهم . وحرص موسى بن نصير على ترك حاميات من جيشه في المدن التي فتحها وهذا هو الأمر

الذى جعل معظم أرجاء أسبانيا تعمر بالفاتحين الجدد وتمهد اسبانيا في سرعة ويسر لاعتناق الدين الاسلامى الحنيف . واستطاعت الإدارة الإسلامية التي شيدها موسى بن نصير أن تضع الحجر الأساسى لبناء الحضارة الإسلامية في أسبانيا وجعلت من تلك البلاد أعظم مركز للإشعاع الحضارى في أوروبا في العصور الوسطى . ومن ثم أخذت أسبانيا تخطو سريعا في مضمار الإزدهار العلمى وتدخل سجل التاريخ باعتبارها الشريان الذى نقل إلى أوروبا ثمار الحضارة الاسلامية ومعارفهم وهياً لسكان غرب أوروبا السبيل للخروج من جهالة العصور الوسطى إلى نور الإسلام وضوء الحضارة الإسلامية الساطع . وقد استغرق الفتح الاسلامى لأسبانيا ثلاث سنوات وبضعة شهور إذ بدأ الفتح الاسلامى لاسبانيا في رجب عام ٩٢ هـ وتم في ذى القعدة عام ٩٥ هـ . ويلاحظ أن العرب اطلقوا اسم الأندلس على المناطق التي كانوا يسيطرون عليها من شبه جزيرة أيبيريا ولا زال اسم الأندلس يطلق على الجزء الجنوبي منها .

موسى وطارق يقابلان الوليد في عاصمة الأمويين :

سبق أن ذكرنا أن الخليفة الوليد بن عبد الملك استدعى كلا من موسى

بن نصير وطارق بن زياد لمقابلته شخصياً في دمشق وأن موسى بن نصير أجل تنفيذ هذا الطلب حتى ينتهى من عملياته الحربية . وبعد أن فرغ موسى بن نصير من اتمام الفتح اختار مدينة أشبيلية حاضرة للبلاد وعين ولده عبد العزيز واليا على الاندلس واستخلف على المغرب الأقصى ابنه عبد الملك كما استخلف على إفريقية ابنه عبد الله . ثم غادر موسى بن نصير الأندلس وبصحبه طارق بن زياد وكبار الجند في ذى القعدة عام ٩٥ هـ (٧١٤ م) . ويقال إن يوليان كان معهم . وكان موكب موسى بن نصير إلى دمشق من الموضوعات التي أفاض في وصفها الرواة والإخباريون العرب ونقلها المؤرخون مثل ابن عبد الحكم وابن قتيبة وابن القوطية والمراكشى وابن عذارى وابن خلكان والمقرئ وابن الأثير . ويقال إن موكب موسى بن نصير اشتمل فيما عدا حاشيته الخاصة على اربعمائة من افراد الأسرة القوطية المالكة وأسر النبلاء تزين رعوسهم التيجان وتطوق أوساطهم الأحزمة الذهبية ومعهم جموع من العبيد والأسرى يحملون نفائس الغنائم . وعندما اقترب موسى من دمشق وصلته رسالتان كان لهما أكبر الأثر في اختتام حياته فيما بعد

أما الرسالة الأولى فكانت من ولي العهد سليمان بن عبد الملك يطلب فيها من موسى بن نصير أن يبطن في الحضور إلى دمشق لأن الخليفة الوليد بن عبد الملك مريض مرض الموت وفي أيامه الأخيرة . وبذلك يحظى سليمان عندما يعتلى العرش باستقبال أعظم موكب للنصر عرفه الإسلام . ولكن موسى بن نصير رفض الاستجابة لهذا الطلب وتابع سيره إلى دمشق .

وبعد ذلك بقليل تسلم الرسالة الثانية وكانت من عند الخليفة الوليد نفسه يأمره فيها بالاسراع بالحضور إلى دمشق حتى لا تحرمه المنية من شرف مشاهدة موكب النصر القادم على عاصمة الخلافة ولتتوج أيامه الأخيرة بهذا النصر المظفر . ودخل موسى بن نصير مدينة دمشق في السادس والعشرين من يناير عام ٧١٥ م (جمادى الأولى عام ٩٦ هـ) أى قبل وفاة الخليفة الوليد بأربعين يوماً . وحرص موسى على أن يشرف بنفسه على طريقة سير الموكب وارتداء المشتركين فيه بثيابهم وبطريقة عرض الكنوز والغنائم . وأمر موسى « بالأموال والجواهر واللؤلؤ والياقوت والزبرجد والجزع والوطاء والكساء المنسوج بالذهب والفضة المحرشة باللؤلؤ والياقوت والزبرجد وضمها إلى موكب النصر

مع رجاله بأرديتهم الجميلة الزاهية ثم أقبل موسى بالذين ألبسهم التيجان حتى دخل مسجد دمشق والوليد على المنبر يحمد الله . وكان الخليفة يعاني في تلك الأيام من وطأة المرض ومع ذلك أبي إلا أن يخرج إلى المسجد « متحملاً لأجل قدوم موسى بن نصير » ولما رأى الخليفة هذا الموكب استولت عليه الدهشة والعجب الشديد وصاح الحاضرون من الناس « موسى . موسى » وأقبل هذا القائد المظفر حتى سلم على الخليفة ووقف ثلاثون ريبلا من أصحاب التيجان في موكب النصر عن يمين المنبر وشماله على حين وقف أمام الخليفة سائر أفراد الموكب ومراكب الغنائم المقامة على عجل . وهز هذا المنظر الباهر قلوب الحاضرين ومشاعرهم كما أثار ذكرياتهم عن فتوح المسلمين الكبرى وقالوا إن الدولة الإسلامية لم تشهد منذ فتح فارس مثل هذا الموكب الرائع ومثل تلك الغنائم الوافرة . وأخذ الخليفة يلقي خطبته في هذا المشهد الحافل وأكثر فيها الحمد لله والثناء عليه والشكر لما أيدته الله ونصره . وأذهل موسى الناس بما أتى به من الخيرات والغنائم والأسرى وكان موكب النصر هذا موكبا مشهودا إذ لم ير الناس من قبل مثل هذا العدد من أمراء الغرب والأسرى الأوربيين

إعلاء لذكره وتباهيا بعاصمة ملكه حتى صار لها مركز الصدارة في جميع البلاد وتحدث الجميع بجمالها وعلو قيمتها . فكانت « مصنوعة من الذهب الخالص مرصعة بفاخر الدر والياقوت والزبرجد » . ومهما يكن من أمر تلك الروايات فمما لا شك فيه أنها أجمعت على شيء واحد هو عظمة هذا الكثر الثمين الذي فاقت أخباره ما عداه في كنوز وجدها الفاتحون في سائر مدن الاندلس . ويرجح أن هذه المائدة كانت مذبح الكنيسة الجامعة في طليطلة وأنها كانت على درجة خيالية من الجمال حتى تليق بعاصمة القوط ولتكون رمزا على ثراء دولتهم وغناها الوافر . وكان مما قدم للخليفة الدر والياقوت أكيالاً والسيوف المحلاة بالجواهر والتيجان الذهبية المرصعة بالحجارة الثمينة وآنية الذهب والفضة وغير ذلك مما لا يحيط به وصف .

وقد أغدق الخليفة الخلع على موسى ثلاث مرات تشريفاً له كما أغدق المنح لآل بيته . ولما انتهى الخليفة من منح موسى براءات الشرف والتكريم استأذن منه هذا القائد العظيم في تقديم المشتركين معه في موكب النصر فأدخل عليه موسى « ملوك البربر وملوك الروم وملوك الأسبان وملوك الفرنجة ثم أدخل

وقد جاءوا يقدمون الولاء والطاعة للأمير المؤمنين . وكان من أبرز ما قدمه موسى بن نصير إلى الخليفة الوليد من الغنائم التذكارية النفيسة مائدة تفوق قيمتها كل تقدير كان طارق بن زياد قد غنمها من كاتدرائية طليطلة وكان القوط قد تفننوا في صنعها فنسبها العرب إلى سليمان بن داود وسموها (مائدة سليمان) وهي بالطبع ليست مائدة سليمان بن داود وإنما أطلق عليها هذا الاسم كناية عن قدمها وعظم شأنها .

واختلفت الروايات كذلك في وصف هذه المائدة وبيان هيئتها وسبب وجودها فذكرت إحدى الروايات أن الاغنياء والموسرين من القوط دأبوا أن يوصلو للكنائس بقدر معلوم من ثرواتهم عند الوفاة وكلما تجمع المال الوفير بين المشرفين على تلك الكنائس أمروا بصناعة موائد وكراسي من الذهب والفضة تضع القساوسة عليها الأناجيل في أيام الاحتفالات من أجل المباهاة والتفاخر .

ونالت كنيسة طليطلة قدراً كبيراً من مال الوصايا وخاصة أنها كانت مقر البيت المالك ولذا تأتق الملوك في عمل مائدة لهذه الكنيسة فاقت كل الموائد في سائر اسبانيا إذ حرص كل ملك على أن يزيد في مائدة كنيسة طليطلة

عليه رؤوس البلاد ممن كان معه من قريش والعرب « فأحسن الخليفة لهم العطايا والمنح .

* ● *

وبانتهاء يوم الاستقبال اختتم موسى بن نصير حياته العامة . ذلك أن الوليد بن عبد الملك توفي بعد ذلك اليوم بأربعين يوماً فقط وخلفه سليمان بن عبد الملك عام ٩٦ هـ (٧١٥ م) وأعفى الخليفة الجديد غداة توليه العرش موسى بن نصير وكان إذ ذاك قد ناهز الثمانين من عمره من العودة إلى الأندلس . وأراد الخليفة سليمان بن عبد الملك أن يختم حياته بالحج إلى بيت الله الحرام واصطحب معه إلى مكة والمدينة موسى بن نصير . وقد توفي موسى بن نصير بالمدينة بعد أداء فريضة الحج ودفن بالبقيع في أوائل عام ٩٧ هـ .

أما طارق بن زياد فقد انتهت حياته في غموض . ولا تذكر الرواية الإسلامية أين ومتى توفي . ويقال إن مغيب الرومي

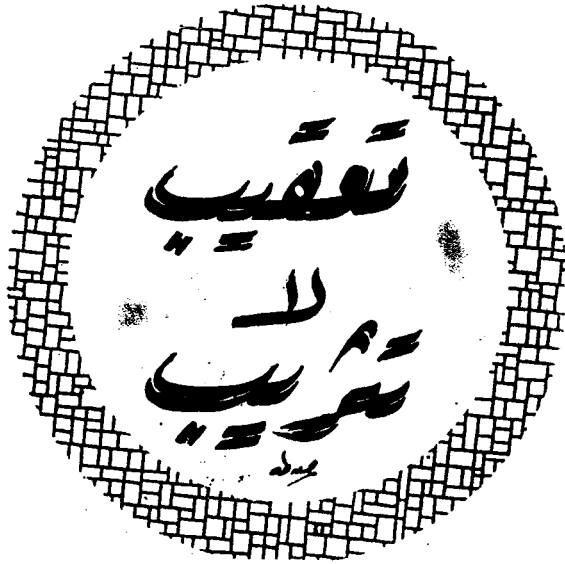
وشى به وخوف الخليفة منه . وكان الخليفة سليمان بن عبد الملك يريد أن يوليه الأندلس فعدل عن ذلك . ولكن إهمال المؤرخين لطارق بن زياد لم يجرمه نصيبه من الخلود . فقد شاءت المقادير أن تحمل اسمه أول بقعة في الأندلس وطئتها قدماه وهي جبل طارق كما سمي بحر الزقاق باسم مضيق جبل طارق . وانتقلت هذه التسمية إلى اللغات الأوروبية جميعها بصيغها محرفة تحريفاً بسيطاً .

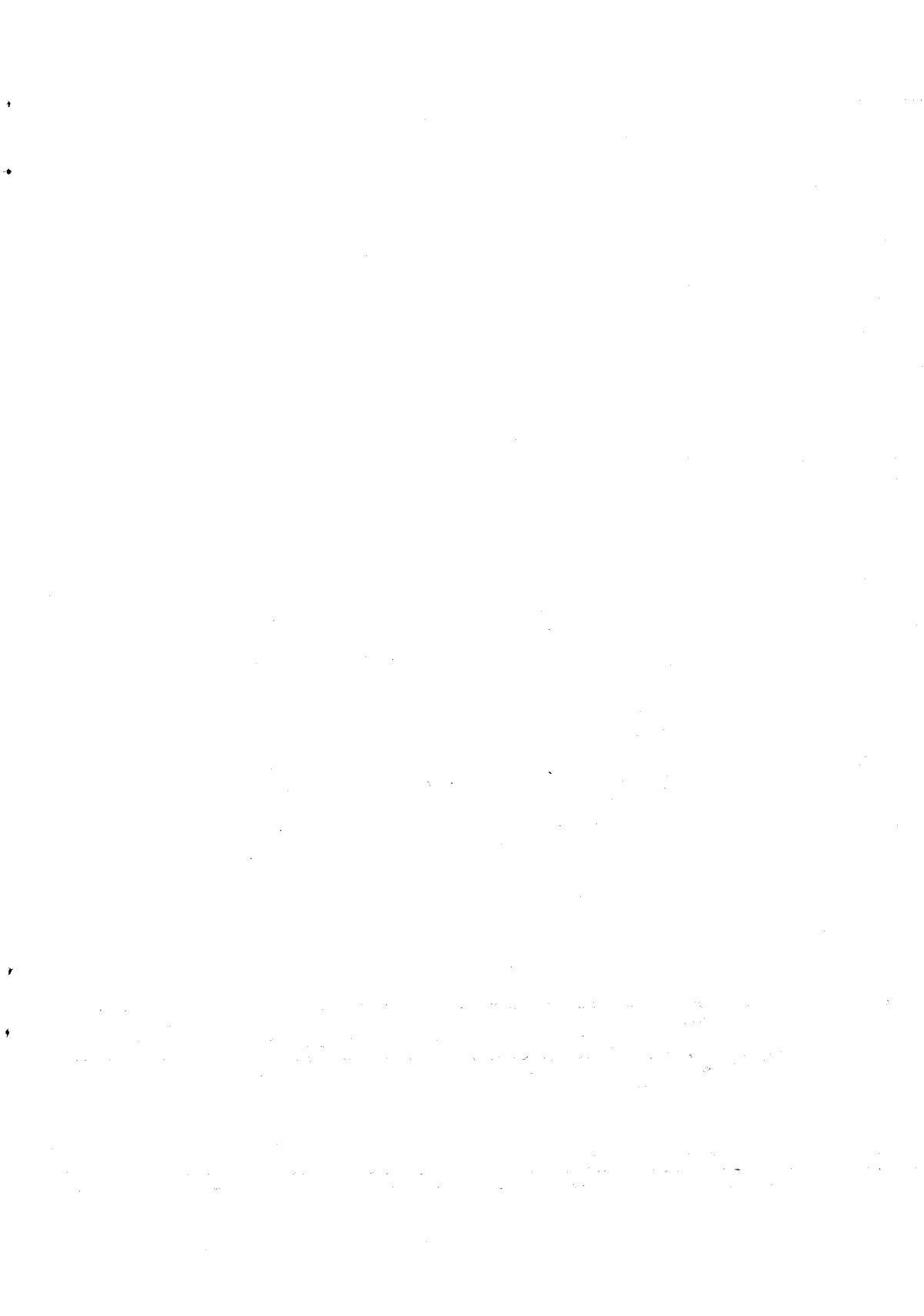
ولم تشر الروايات العربية إلى مصير يوليان الذي مهد لفتح الأندلس . وتذكر بعض الروايات أنه عاد إلى سبتة وأقطع ما حولها من الأرض وظل أميراً على سبتة نظير خدماته ولكنه بقي نصرانياً هو وبنوه الأقربون . أما ذريته فيقال إنها دخلت الإسلام بعد ذلك . أما أبناء غيطشة فقد أقطعوا ما كان لأبيهم كما عين أخ غيطشة حاكماً لمدينة طليطلة .

* ● *

بعض مصادر البحث

- ١ - الكامل في التاريخ لابن الاثير
- ٢ - الحلل السندسية (طبعة ١٩٣٦) لأرسلان
- ٣ - المغرب في ذكر إفريقيا والمغرب (طبعة ١٩١١ م) للبكري
- ٤ - فتوح البلدان (طبعة ١٩٠٠ م) للبلاذري
- ٥ - قيام دولة المرابطين (طبعة ١٩٥٧) لحسن محمود
- ٦ - فتح العرب للمغرب (طبعة ١٩٤٧) لحسين مؤنس
- ٧ - فجر الأندلس (طبعة ١٩٥٩ م) لحسين مؤنس
- ٨ - تاريخ المغرب العربي (طبعة ١٩٦٥ م) لسعد زغلول عبد الحميد
- ٩ - الاستقصا لأخبار المغرب الأقصى (طبعة ١٨٠٤ م) للسلاوي
- ١٠ - المغرب الكبير (العصر الاسلامي) طبعة ١٩٦٦ للسيد عبد العزيز سالم .
- ١١ - بغية الملتمس في تاريخ رجال الأندلس (طبعة ١٨٨٤ هـ) للضي
- ١٢ - فتوح مصر والمغرب (طبعة ١٩٢٠ م) لابن عبد الحكم
- ١٣ - العقد الفريد لابن عبد ربه
- ١٤ - الاساطيل العربية (طبعة ١٩٥٧ م) للعدي
- ١٥ - البيان المغرب في اخبار المغرب لابن عذارى
- ١٦ - دولة الاسلام في الأندلس (طبعة ١٩٤٣) لمحمد عبد الله عنان
- ١٧ - الآثار الأندلسية (طبعة ١٩٥٦ م) لمحمد عبد الله عنان
- ١٨ - تاريخ المغرب الكبير لمحمد علي دبور
- ١٩ - النجوم الزاهرة (طبعة ١٩٢٨) لأبي المحاسن
- ٢٠ - نفخ الطيب من غصن الأندلس الرطيب (طبعة ١٨٥٥ م) للمقري
- ٢١ - معجم البلدان لياقوت الحموي





وتذكيراً بالحق

الإسلام والدين

لفضيلة الشيخ محمد المنصور
كلية الدعوة وأصول الدين

من مسلم ناصح الى شيخ المقرئين في مصر ومن ثم في العالم الاسلامي كله
الشيخ محمود خليل الحصري هداانا الله واياه سواء السبيل .

الحمد لله الذي اكرم المؤمنين فجعلهم نصحة اماناء ، وأنقذهم بذلك من :
صفات الكافرين الغشقة السفهاء . وصلى الله وسلم وبارك على صفوته من خلقه
محمد وآله وصحبه ومن التزم سبيله ، ونهض بدعوته على بصيرة الى يوم
الدين ..

أما بعد ، فقد سمعتك امس تتلو في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم
وعلى مقربة من مثواه المبارك ، قوله تعالى : (ويل لكل همزة لمزة . .) فأثار
ذلك في نفسي ضروبا من التأملات ، وكان من غرائب الاتفاق أن تعترى
هذه الحالة كثيرين غيرى أيضا ، فاذا احدهم يقول لآخر وهو يحاوره :
كيف سمح هذا الرجل لنفسه أن يقدم على هذه التلاوة هنا في مهبط الوحي ،
وهو يعلم أن معصيته للوحي ومبلغ الوحي لم تتلاش بعد من اذهان الناس
ولم يكاد يفرغ الكرام الكاتبون من تسجيلها . أجهذا اللسان نفسه الذي افتتح امس
حفل الذكرى لأم كلثوم بآيات الحي القيوم ، يرتل في مسجد رسول الله
آيات الله ! . .

وقال آخر : مسكين . ألم يقرأ في كتاب الله غير هذا الويل الموجه الى المُهمزة اللُّمزة ! . . ولم يعلم ان ثمة ويلات كثيرة لكثيرين من العاصين ، وبينهم المصلون الذين هم عن صلاتهم ساهون ، والقاسية قلوبهم من ذكر الله ، والظالمون والأفاكون الآثمون !! . . ولا سهو عن الصلاة أهول من فقدانها روح التطهير من الفحشاء والمنكر ، حتى تصبح عادة يؤديها فاعلها كما يؤدي أي عمل آخر في معزل عن الخشوع والوعي . وأي قسوة أشد من أن يقرأ امرؤ كتاب الله ، بل يتخذ منه حرفةً للارتزاق ، ثم لا يتورع عن اقتراف المنكر الذي يخزي صاحبه في الدنيا والآخرة ! . . وهل ثمة ظلم بعد الشرك أكبر من أن يفتح مقرأ حفاة غناء آيات من الكتاب الذي أوتمن عليه ، والذي يقول منزله تبارك اسمه (لو أنزلنا هذا القرآن على جبلٍ لرأيته خاشعاً متصدعاً من خشية الله . .) (ألا يعلم هذا المسكين أن هذا عين الافك وجماع الأثم ، وأذني دركات التلاعب بكتاب الله ! . .

يا شيخ محمود . . هذا ما يقوله عنك كل مؤمن يعي آيات الله ، ويفقه تعاليمه سبحانه ، فهل علمت ذلك ؟ . . وهل اتيح لك من يبلغك يا أبا الأفراج ؟ ! . .

لقد والله احدثت فتقا في الاسلام يتعذر ، اذا لم يستحل ، رتقه بجرأتك على الله ، واقتحامك تلك العقبة الخطيرة ، يوم رضيت لتلك (الهاوية) المغفلة أن تقوم مقام هاتيك الفينة الصغيرة بنظر كل فاضل ، وان كبرت في منظار كل سفيه غوي من اهل الباطل ، لتغنى وتمتعج ، كي تستثير إعجاب الغواة الهواة من اذئاب الشيطان ، كما فجرت الخمر من قبل مشاعر مدمنيها ، فراحوا ينظمون في مدحها ونعتها أفانين الشعر ، وهم الذين بهم وبأضرابهم دمر الله حصون هذه الأمة في بغداد والاندلس ، إذ استطاعوا أن يجردوها من مقوماتها ، ويصرفوها عن رسالتها ، فدلّت بعد عز ، وطمع بقهرها كل ذي عجز .

ولو أن أي فارغ من الخلق قدم ابنته لأسماع الغواة وأبصارهم على ذلك النحو ، ولو في موكب من الآيات والذكر الحكيم ، لما كان لفعلة سوى اثر ضئيل ، يذكره الناس ثم لا يلبثون أن ينسوه ، أما أن يقدم على ذلك شيخ أزهري يسمى في لغة الدواوين شيخ المقارئ المصرية ، فذلك هي البدعة الشنعاء التي سيحمل إثمها وإثم من أخذ بها الى يوم القيامة .

ولعلك قرأت فيما قرأت من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله : « ومن سن في الاسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها . . » رواه مسلم

وليس كل من ارتكب سوءا يعتبر صاحب سنة سيئة ، او يقال انه احدث فتقا لا يرتق . فالحشاشون كثيرون ، والسكارى اكثر ، وتاركوا الصلاة . . والمنسلخات من آداب الاسلام بالسفور الذي ملأ ديار الاسلام إلا من رحم الله ، هؤلاء كثير كثير . ولكنهم مع ذلك لا يؤلفون السنة التي يلحق وزرها صاحبها الى يوم القيامة ، لانهم عديموا الوزن في قسطاس الناس ، فلا يؤبه لهم ولا يتأسى بهم . . وانما المحدثون المحشورون في زمرة الظالمين لأنفسهم وغيرهم هم الذين يحملون صفة العلم ، ويظن بهم الفقه والفضل . . ومن أحق بأن يكون مظنة العلم والورع — في نظر العامة وأشباههم — من حملة كتاب الله ، الهادين به في بيوت الله ، الشاحنين به أمواج الاثير الى عباد الله ! . . .

اجل يا شيخ محمود . . لقد سبقت كل المبتدعين الى خرق هذا الفتق الرهيب ، لان تاريخ الاسلام لم يعرف قط واحدا قبلك ، من كبار القراء او صغارهم ، قدم كريمته للغناء في محافل العابثين ، وفي موكب من آيات الكتاب المبين !

أنا لا أستبعد أن تكون قد ندمت على ما فرطت في جنب الله ، وأسفت على ما أسلفت ، فأليت أن لا تعود لمثلها — كما قيل عن لسانك — ولكن ندمك وأسفك لن يمحوا وزرك الكبير أبدا أبدا ، الا أن تعلن بكل ما وسعك من وسائل الاعلام انك كنت بما فعلت في ضلال ، وانك تشهد الله وعباده على انك اقلعت عنه الى غير رجعة ، وستعمل على تكفيره بكل ما أوتيت من قوة ، رجاء أن يتداركك الله بعفوه ومغفرته . وما أدري اذا كنت قادرا على ذلك وجارئا عليه . . وحولك من الشياطين من لا يرى في جنائتك بأسا ، بل لا يرى فيها الا سابقة مشكورة الى العمل الصالح ! . .

استمع يا شيخ محمود الى واحدة من فضائل حملة القرآن .

في معركة المرتدين من بنى حنيفة اصابت المسلمين جولة بسبب اختلاط الطلقاء — ذوى الاسلام الحديث — بأهل السابقة العليا من المهاجرين والأنصار ، فكان الرأي

استبعاد الطلقاء عن مباشرة القتال ، وتركه لتلاميذ النبوة الناضجين الصامدين .
وعُهد بلواء الإسلام الى خطيب رسول الله صلى الله عليه وسلم ثابت بن قيس
بن شماس رضى الله عنه ، فأراد اخوانه ان يلهبوا رجولته ، فذكروه قائلين :
ان الناس انما يؤتون من قبل راياتهم ، فحذارِ ان نُؤتي من قبلك ، فدفن ساقيه
في الارض ، وهو يقول لإخوانه : « بشس حامل القرآن انا ان أُتيم من قبلي »

ذلك شأن حملة القرآن من سلف هذه الأمة ، ثبات في وجه الكفر كثبات الأرض
في وجه العواصف ، وتصميم على التحقق بكل عزائم القرآن حتى الموت .

فقس بهذا الطراز يا شيخ محمود اولئك الذين لا يفقهون من حملهم للقرآن
سوى انه وسيلة للارتقاء ، وسبيل الى التنافس على الدنيا ، والحصول على اعجاب
الفارغين العاطلين من تلاميذ الشياطين ! .

يا شيخ . . محمود ان الذين يحاربون الاسلام وينخلعون من ربقته كل يوم كثيرون
لا يحصرهم إحصاء ، على حين ان الذين يلتزمون سبيله ، ويتفانون في نصرته ،
هم الاقلون المضطهدون . ولكنهم وحدهم السعداء بمرضاة ربهم ، لانهم الثابتون
على عهد نبيهم ، لا يضرهم من خالفهم حتى تقوم الساعة . فإلى أي الفريقين
تنحاز يا شيخ محمود ؟ . وبأيهما تلوذ ؟ فإختر لنفسك ، وتذكر انك كادح الى
ربك كدحا فملاقيه ، فلن تنفعك فتوى فلان ، ولا تصفيق فلنان ، ولا تهريج
علان (يوم يعرض الظالم على يديه يقولُ : يا ليتني اتخذتُ مع الرسول سبيلاً .
ياويلنا ليتني لم آتخذُ (فلانا) خليلاً ۲

ان الزلّة لكبيرة يا شيخ محمود ، فأدر كها بتوبة تغسلها ، واعلن ذلك على الملأ
كما اقرقتها على الملأ . . تلك نصيحتي ابعث بها اليك ابراء للذمة ، وتذكيراً بالحق ،
فافتح لها صدرك ، وتلقها بمثل الروح التي أملتها ، ولا تكن كذلك الذي (اذا
قيل له اتق الله أخذته العزة بالإثم)

(ان اريد الا الاصلاح ما استطعت . وما توفيقى الا بالله ، عليه توكلت واليه انيب)



هذه الكلمات كُتبت في أعقاب السقطة الفاجعة ، وكان من حقها ان تصل اليك يا شيخ محمود على صفحات احدى المجلات الاسلامية منذ ذلك اليوم . ولكن قدرَ الله أن تحول الحوائل دون نشرها ، حتى تحمل الى قرائها بعض ذيول القصة التي بدأت بحفلة الذكرى ، ولا يعلم غير الله متى وأين وكيف ستنتهي . .

لقد سمحتم للشيطان ان يستحوذ على تلك المسكينة منذ أغفلمت تحصيلها بعواصم الاسلام فلم تجد بأساً في الاستجابة لهواتف الغواية تأخذ بخطمها الى مهاوي الأخرسين أعمالاً من (أهل الفن) الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا ، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا وقد بما قيل : إن من وضع قدمه في مزلة الأثم لا يسعه التوقف قبل القاع . وهكذا فُتنت بالغناء ، وغرَّها ما قرأته وما سمعت من تمجيد المصلين لأهله ، وإكبابهم على مسجلاتهم يستهلكون معها لياليهم ، حتى يصرعهم سكر الطرب ، فيسلمهم الى نوم لا يذكرون معه ربا ولا واجبا . ووجدت - وربما وجدتم - في حنجرتها نغماً يؤهلها للحاق بركب (النجوم) الذين - واللواتي - استطاعوا أن يفرضوا سلطانهم على قلوب الجماهير العمياء ، التي تكاد تتخذهم آلهة من دون الله ، فيستولون بذلك على ثروات الأمة ، ويسلبوا السفهاء وعيهم ، حتى لا يروا للحياة معنى بغير وجودهم ، فيقتلوا أنفسهم حزناً لفراقهم . .

أجل . . لقد استهوى ذلك قلبها ، اذا كان كالحصن الذي لا حامية فيه ، فلم تلبث أن سقطت في حباله الشياطين ، وكانت الخطوة الأولى في هذا المنحدر تلك الحفلة التي أفتاك بها بعضُ المعممين من عشاق الطرب ، وباركتها أنت يا شيخ محمود بالتقديم لها في زفة من آيات الله ، ثم ما لبثت الخطى أن تلاحقت في المنحدر ، فإذا هي تتخذ لنفسها اسم (ياسمين الخيام) بدل (إفراج الحصرى) وكأنها بذلك تعلن الحرب على ماضيها الاسلامي نفسه ، بالانتساب الى ذلك العرييد - الخيام - الذي أصبح مطرب المثل في عالم الضياع والدعوة الى الاستهتار . وتبع ذلك ما لا مندوحة عنه من طرح للحجاب ، وعمل مع الفرق الراقصة ، وظهور في المسارح الماجنة . . استجداءً لتصفيق المعجبين ، ومشاركة لصعاليك الفن في تجميع الملايين . . وقد رضيت أن تدفع ثمن ذلك الهويّ كلّ ذخيرتها من طمأنينة الحياة الزوجية ، وأن يسلبها شططها هذا كل أثر للسكن والمودة والرحمة ، فأشقت الزوج ، وأيتمت البنين ، وتناست موقفها القريب الرهيب بين يدي رب العالمين ! ! ولا عجب فهي

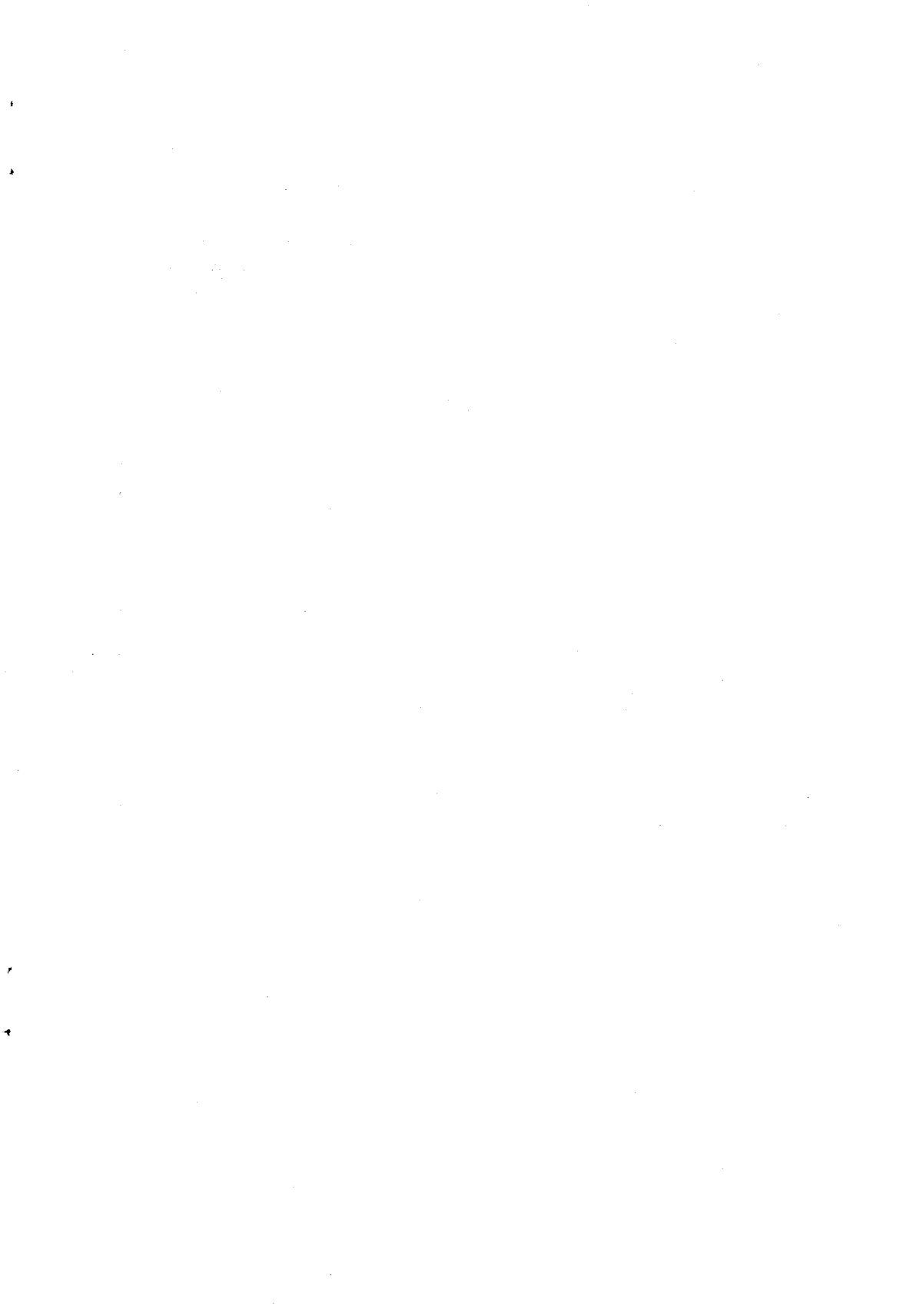
الخصيلة الطبيعية لهذا النوع من الشذوذ عن سبيل المؤمنين . وليست مأساة (البيت
الأردني) الذي دمره شطط تلك (الهاوية) الأخرى ببعيدة عن عيني افراج وأبي
افراج ، لو كانوا من المستبصرين المعتبرين . .

وأخيراً . . لا أدري والله بأى كلمة يجب أن أختم خطابي هذا إليك ، أبالدعاء
لك بأن يتوب الله عليك ، فيوفقك إلى التكفير عما أسلفت في هذه المأساة من آثار
يتعذر رصد عواقبها على الأجهزة الحاسبة والحاسبين ! . أم أدعو عليك بعقاب
يكافي ما قدمت لدينك من مَسَاءة سررت بها الفاسقين ، وكسرت قلوب المؤمنين ! .

ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم . .



الفكر والفلسفات المعاصرة



الإستراق وجهوده وأهدافه

في محاربة الإسلام والتشويش على دعوته

للدكتور عبد المنعم محمد حسنين - كلية الدعوة و اصول الدين

مقدمة

الاستشراق حركة ظهرت في العصر الحديث ، وتبدو هذه الحركة علمية في ظاهرها فهي تحاول دراسة التراث الشرقي ، ولكنها في الحقيقة تبغى - من وراء هذه الدراسة التعرف على منابع تراثنا الشرقي ، ثم تحاول صرف أهله عنه ، ليجرفهم تيار الحضارة الغربية الضالة المضللة .

والمستشرقون جماعة من علماء الغرب - من مسيحيين ويهود وملحدين درسوا اللغات الشرقية من عريبه وفارسية وعبرية وسريانية وغيرها ، وتوفر كثير منهم على دراسة اللغة العربية والاطلاع الواسع على علومها ومعارفها ، لاتخاذ هذه الدراسة وسيلة لالقاء كثير من المقتريات والاباطيل في محيط الاسلام للتهوين من شأن الدعوة الاسلامية والتقليل من اثرها في الحياة ، وفي الارتفاع بالمستوى الانساني ، وبدورها في انقاذ الانسانية وتحريرها من العبودية ، واخراجها من الظلمات الى النور .

كما أن هذه المقتريات والاباطيل تحاول التقليل من شأن الثقافة الاسلامية ، ودورها في نشر العلوم والمعارف ، وفي نقل اوربا من العصور الوسطى - عصور الجهل والظلام الى مشارف العصر الحديث ، وما ظهر فيه من علوم ومعارف يفخر بها العالم الغربي .

ويواصل الاستشراق بذل جهوده في محاربة الاسلام والتشويش على دعوته لأن المستشرقين لم يستطيعوا التخلص من نزعاتهم الموروثة واهوائهم المعادية للاسلام بحيث لم يعد خافيا ما يبذله المستشرقون من جهود في محاربة الاسلام بالتشكيك في

مصادره وتلفيق الاباطيل والالقاء بها في ساحة الشريعة الغراء ، ومحاولة اغراق المسلمين بالتيارات الفكرية المضللة ، ومحاربة اللغة العربية التي نزل بها القرآن ، ومساندة الدعوات المضللة التي قامت تحت راية الاسلام ، واستغلال وسائل الاعلام في افساد المسلمين بابعادهم عن دينهم ، والحرص على تضليل ابناء المسلمين الذين يتعلمون عليهم .

فينبغي أن نبين خطر الاستشراق وجهوده وأهدافه في محاربة الاسلام والتشويش على دعوته ، ويجب أن نكشف الاسلحة التي يستعملها في حربه السافرة والخفية ، والوسائل التي نتقى بها شره ، ونرد بها كيد أعداء الاسلام في نخورهم ، وهذا ما سأحاوله في هذا البحث وبالله التوفيق .



أولا : نشأة الاستشراق

يخطئ من يقول ان الاستشراق حركة علمية ، لا هدف لها الا دراسة التراث الشرقي في معتقداته وآدابه ، لان الاستشراق في الحقيقة والواقع خادماً للاستعمار وأهدافه ، وهو يتخذ من دراسة التراث الشرقي وسيلة لمحاربة الاسلام ، والتشكيك في مصادره ليصرف المسلمين عن دينهم ، فلا تتحقق لهم قوة ولا عزة ، بل يظلون تابعين للغرب ، مقلدين كل ما في بلاده من الوان الفساد والانحلال .

ان الاستشراق في الحقيقة امتداد للحروب الصليبية ضد الاسلام وحقائقه الناصحه لان الحروب الصليبية لم تنته ، وانما اتخذت اشكالا والوانا مختلفة ، منها الاستشراق ، فالمستشرق يجرى الى الاسلام لابساً العلم في الظاهر ، ومدعياً البحث عن الحقيقة ولكنه في الباطن - قد عقد النية على جمع المطاعن الملقفة عن الاسلام ، فلا يلبث ان يرمى الاسلام بكل ما يحمل صدره من غل ، وينفث قلمه من سم ، فهو يتنكر لمنهج العلم الصحيح الذي من شأنه ان يعرض الحقائق ، وان يترك للناس الحكم عليها ، دون أن يمزجها بمرارة حقه ، ونفثات عداوته ، ودون ان يحاول تشويه هذه الحقائق بصورة من الصور .

والممتع لحركة الاستشراق يجد أنه مواكب لحركة الاستعمار الغربي لبلاد الشرق والاسلام ، مما يدل على انه امتداد للحروب الصليبية ، وشكل من اشكالها ، وقد

نشطت حركة الاستشراق وبلغت أشدها منذ قرنين من الزمان في صورة حركة تابعة لحركة الاستعمار .

والاستشراق مصدر الفعل « استشرق » أى اتجه الى الشرق ولبس زى أهله وقد اتخذ المستشرقون من دراسة لغات الشرق وسيلة للاتجاه اليه ، فدرس كل منهم لغة أو أكثر من لغات الشرق كالعربية والفارسية والعبرية والسريانية وغيرها ، ثم درس بهذه اللغة علوم تلك اللغة وفنونها وآدابها ومعتقدات أهلها ، وكانت اللغة العربية المطلب المقصود عند الكثير من المستشرقين .

وقد اقبل المستشرقون على دراسة اللغة العربية والتخصص في علومها من نحو وصرف وأدب وبلاغة ، ليتكفروا من اللغة ثم نظروا بعد ذلك في علوم الدين الاسلامى من عقيدة وشريعة لاتخاذ هذه الدراسة وسيلة لتفريق الابطال للتشكيك في حقائق الاسلام ، وصرف المسلمين عن دينهم الذى يهديهم الى طريق التقدم والعزة ، ففتحوا بذلك أهداف الاستعمار في مواصلة احتلال بلاد المسلمين .

وأوضح دليل على صلة الاستشراق بالاستعمار ان سوق الاستشراق رائجة في أوروبا وأمريكا في الدول التى لها مصالح في الدول الشرقية بعامة وفي الدول الاسلامية بخاصة وأن هذه السوق أكثر رواجاً في الدول الاستعمارية التى تحاول غزو الدول الشرقية بأية صورة من صور الغزو المعروفة في العصر الحديث سواء أكان الغزوا عسكرياً أم اقتصادياً أم سياسياً أم ثقافياً ، بل لا تكاد توجد سفارة من سفارات هذه الدول الاستعمارية في دولة من دول الشرق الاسلامية لا يوجد فيها مستشرق !يا كانت رتبته بين رجال السفارة والعاملين بها .

ان ارتباط الاستشراق بالاستعمار وتبعته له ، جعلت الاستشراق يواصل جهوده في محاربة الاسلام والتشويش على دعوته ، ويستعمل كل الاسلحة في حربه ، لأن هذا الدين الحنيف هو السد المنيع الذى يقف في وجه الاستعمار والعبودية لغير الله .

ان المستشرقين يعلمون من دراستهم للاسلام ان العقيدة التى جاء بها ترتكز على أسس ثابتة من الفطرة الانسانية العامة والمنطق العقلى المستقيم ، والنصوص الدينية الصريحة ، بحيث لا يمكن لعقول المفكرين والفلاسفة أن ينقضوا اصلاً واحداً من أصولها اذا التزموا منهج العلم الصحيح ، ولذلك يحاول الاستشراق منذ نشأته

التشويش على دعوة الاسلام بتلفيق الاباطيل ، واتخاذ البحث العلمى ستارا يلفقون من ورائه هذه الأباطيل .

وقد صار الاستشراق مظلة لكل اعداء الاسلام من المستعمرين والملحدين وغيرهم ، فاصبح يستظل بها أصحاب العقائد الفاسده الباطلة من الشيوعيين ، وانصار المذاهب الالحادية الانحلالية في العصر الحديث ، فقد جمع هؤلاء بغضهم للاسلام ، لان اساسه التوحيد ، وهو زبده الرسالات الالهية وغايتها ، تركز كلها عليه وتستند في وجودها اليه ، وتبتدى منه وتنتهى اليه ، فكل رسول افتتح دعوته لقومه بقوله « اعبدوا الله ما لكم من اله غيره » .

والدين فطرة غرزها الله في البشر ، وقد كانوا اول الامر متفقين على التوحيد قبل ان تزين لهم الشياطين عبادة الطواغيت واتخاذ الأصنام .

والعقيدة الاسلامية عقيدة واضحة بعيدة عن اغراق الوهم ، وجموح الخيال ، وتحكم الاهواء ، وهذا ما يسعى اليه العقل في تفكيره الدائب للوصول الى الحقيقة التي ينشدها .

من هنا كان الاستشراق هو المطية التي يركبها أعداء الاسلام لعلمهم يستطيعون بهذه الوسيلة التشويش على دعوته التي تتفق مع الفطرة السليمة التي فطر الله الناس عليها .

وقد بذل الاستشراق منذ نشأته جهودا عديدة متواصلة في محاربة الاسلام ، واصطنع وسائل متنوعة في حربه واستفاد من تقصير المسلمين - احيانا - في الدفاع عن دينهم وانخداع بعضهم - احيانا أخرى - بكلام بعض المستشرقين الذين يضعون السم في العسل .

وسأعرض فيما يلي جهود الاستشراق المختلفة في محاربة الاسلام ، والتشويش على دعوته وأبين أهدافه من وراء هذه العداوة الشديدة ، والله غالب على أمره ولو كره الكافرون .

ثانيا : جهود الاستشراق فى محاربة الاسلام بسلاح العلم

ينبغى على المهتمين بتوجيه الدعوة واعداد الدعاة أن يكونوا على دراية تامة بالجهود التى يبذلها المستشرقون في محاربة الاسلام لأنهم - في الحقيقة ألد أعداء الاسلام .

والمستشرقون يتخذون العلم وسيلة للتشويش على الدعوة الاسلامية ويتسترون وراء ، البحث العلمى ، وهم يلقون الأباطيل ، ويلقون بها في ساحة الشريعة الاسلامية ، ويحاولون تضليل شباب المسلمين الذين يتعلمون عليهم ، واقناعهم بآرائهم الفاسدة الخبيثة ، ليشركوهم معهم في الاساءة الى الاسلام دون وعى .

ان ما يكتبه المستشرقون عن رسالة الاسلام ورسول الاسلام يفضح الحقد المدفين الكامن في قلوبهم ، ويكفى أن نذكر - على سبيل المثال - ما كتبه واحد منهم - هو يولد تسهر لينكشف دورهم في الطعن على الاسلام ، والتشويش على دعوتهم متخذين العلم وسيلة لما يهدفون اليه ، يقول المستشرق المذكور :

« فتبشير النبى العربي ليس الا مزيجا منتخبا من معارف وآراء دينية عرفها أو استقاها بسبب اتصاله بالعناصر اليهودية والمسيحية وغيرها ، التى تأثر بها تأثرا عميقا ، والتى رآها جديرة بأن توظف عاطفة دينية حقيقية عند بنى قومه » (١)

وهذا قول آثم ، ردد به هذا المستشرق الحاقدا زعما زعمه المشركون منذ أربعة عشر قرنا ، ورد الله تعالى عليه في حينه ، فما ان قال المشركون هذا القول ، حتى فضحهم الله به ، يقول الله تعالى على لسان المشركين « وقالوا ان هذا الا افك افتراه ، وأعاناه عليه قوم آخرون » ويرد جل جلاله عليهم بقوله : (فقد جاءوا ظلما وزورا » ثم يقول سبحانه على لسانهم : « وقالوا أساطير الأولين اكتبها فهى تملى عليه بكرة وأصيلا » ثم يرد جل وعلا عليهم بقوله « قل انزله الذى يعلم السر في السموات والارض انه كان غفوار رحيمًا »

ثم تحداهم سبحانه وتعالى بأن يأتوا بسورة من مثله ، فعجزوا ولم يرفع أحد رأسه يقول جل جلاله : « وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فاتوا بسورة من مثله

١ - جولد تسهر : العقيدة والشريعة فى الاسلام ، ترجمة الدكتور محمد يوسف موسى وزميله ، ص ١٥ .

وأدعوا شهداءكم من دون الله ان كنتم صادقين ، فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين »

ان جولد تسيهر وأمثاله من المستشرقين أعداء الاسلام يرددون ما كان يردده مشركو قريش من قبل في موقف العناد والكبر ، غير ان مشركي قريش عدلوا عن عنادهم ، ودخلوا في دين الله ، وجاهدوا في سبيل الله ، وكان منهم سيوف الله على رقاب أعداء الله ، أما المستشرقون فمصرّون على محاربة الاسلام والتشويش على دعوته بالتشكيك في القرآن الكريم ، والايهام بأنه من عمل محمد صلى الله عليه وسلم ، وأن الرسول كان يتجاوز بعض الوحي القرآني ، وينسخ بأمر الله ما سبق أن أوحاه اليه .

يقول المستشرق الحاقد اللعين جولد تسيهر الذي اتخذناه مثلاً لهم « ان الرسول نفسه قد اضطر لتطوره الداخلي وبحكم الظروف التي أحاطت به الى تجاوز بعض الوحي القرآني الى وحي جديد في الحقيقة والى أن ينسخ بأمر الله ما سبق ان اوحاه اليه (١) . .

والحقد واضح في مقولة هذا المستشرق ، بل لقد ذهب الحقد بعقله اذ كيف يستسيغ عقل سليم أن يصف محمداً صلى الله عليه وسلم بأنه رسول ، ثم يقول ان هذا الرسول بدل رسالة ربه ، بأمر من ربه لظروف اضطرته الى ذلك ؟ ! . . هل يعقل هذا ؟ ! . . فأى رسول يحمل رسالة الله ، ثم يكذب على الله ، ثم يظل رسولا بعد ذلك ؟ ! أليس ما يقوله ذلك المستشرق اللعين هو الحقد الذي يذهب العقول ويقلب حقائق الأشياء ؟ ! !

ألم يقرأ هذا الحاقد قول الله تعالى ردا على مفتريات المشركين بأن محمد ا يفترى على الله الكذب « ولو تقول علينا بعض الأقاويل لأخذنا منه باليمين ، ثم لقطعنا منه الوتين فما منكم من أحد عنه حاجزين (٢) ؟ ! !

ان عداوة المستشرقين للاسلام قد بدت من أفواههم ، ومن كتاباتهم المسمومة ، وما تخفى صدورهم أكبر ، فينبغي أن نقف منهم موقف الحذر دائماً ، وأن نكشف زيفهم وبخاصة الذين يصطنعون الحكمة والتعقل ، ويتظاهرون بالاعجاب برسالة

١ - جولد تسيهر : العقيدة والشريعة في الاسلام ، ص ٤١

٢ - سورة الحاقة : آية ٤٤ - ٤٧

الاسلام ليدخلوا على العقول دخول اللص في غيبة الحارس ! ! ويدسوا السم في العسل ، فلتكن عقولنا حاضرة ، ونحن نسمع أو نقرأ لهؤلاء المستشرقين ما يكتبون عن الاسلام ، ولو كان حقاً وصدقا فقد تندس كلمة هنا وكلمة هناك ، فتقع موقعا قاتلا لمن لا ينتبه اليها ، ولا يأخذ حذره منها فما أكثر الذين خدعوا من المثقفين من المسلمين بهؤلاء المستشرقين ، وأخذوا مقولاتهم على أنها أحكام قاطعة لا تقبل نقاشا ، فاشتركوا مع المستشرقين في محاربة الاسلام . . ، والتشويش على دعوتهم ، وضل سعيهم ، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا ، والعياذ بالله .

ان المستشرقين بعامة قد حاولوا دراسة الاسلام بنية منعقدة على جمع المطاعن الملققة عن الاسلام ، وهم يتزبون بزى العلم والبحث عن الحقيقة ، غير أن العصبية تغلبهم عن أن يقولوا كلمة الحق ، وان ينطقوا بما في أيديهم من شواهد ، فيكابرون ويلجون في الضلال ، ويرمون الاسلام بكل ما تحمل صدورهم من غل ، وحتى من يقول منهم في الاسلام كلمة حق ، ليبعد عن نفسه تهمة التعصب ، ويلصق بنفسه صفات العالم التزيه الذى لا يداس ولا يدجل ، لا يمكن أن تسلم كتابته من بعض التعليقات المضللة فيجب أن نحتاط ، ونكون على حذر ونحن نقرأ كتابات المستشرقين أو نقتبس منها ، لأنهم لم يستطيعوا التخلص من أهوائهم ، ونزعاتهم الموروثة منذ أيام الصليبيين ، فصرخوا جهودهم في محاربة الاسلام ، والتشويش على دعوته ، دعوة الحق ، التي يزهد أمامها كل باطل .

ان الاسلام يواجه عداوات متربصة به من كل جانب ، وان المسلمين في مواجهة حرب من أعدائهم المستشرقين - ورثة الصليبيين - وهذا ما يقتضيهم أن يكونوا على وعى ويقظة ، وأن يتسلح الدعاء منهم بأسلحة الثقافة الواسعة الشاملة ، وأن يتعرفوا على ما عند أعدائهم من أسلحة يحاربونهم بها ، حتى يلقوهم بأسلحة من دينهم ومن تراثهم ليردوا كيدهم ، ويبطلوا تديريهم ، وما يريدونه من سوء بالمسلمين وبدينهم ، والله من ورأهم محيط .

وسأعرض في هذا البحث بعض وسائل الاستشراق في محاربة الاسلام ، بتضليل المسلمين ، وصرفهم عن دينهم ولكن الله رد كيدهم في نحورهم وحرس دنة الذى ارتضاه لعباده .

ثالثا : وسائل الاستشراق فى التشويش على دعوة الاسلام

للاستشراق وسائل عديدة فى التشويش على دعوة الاسلام ، ينبغى أن يتنبه اليها المسلمون ، حتى يتقوا شر أعدائهم ، ويجبطوا خططهم وسأعرض فى هذا البحث أهم هذه الوسائل ، وأكثرها خطورة والله ولى الذين آمنوا .

١ - التبشير الصليبي :

ان الشئ الذى يجب أن لا يشك فيه المسلمون هو أن الحروب الصليبية لم تنته فمنذ خرجت أوروبا من ظلام القرون الوسطى تطلعت الى الشرق الذى كان الضعف قد دب فيه ، الأمر الذى جعله فريسة للدول الأوربية ، فاستعمرت أكثر دوله وكانت أوطان المسلمين أول ما أحكمت عليه قبضتها .

وكان الاستعمار الغربى يهدف من وراء السيطرة على أوطان المسلمين الى استغلال هذه الأوطان أرضا وبشرا ، ثم الى محاربة العقيدة واجلائها من قلوب المسلمين ، ومحاولة ما عجزت عنه الحروب الصليبية من قبل ، وذلك لما يعلمه المستعمرون - بواسطة أعوانهم المستشرقين - من خطر الاسلام على خططهم التى يرسمونها على أساس قتل المعاني الانسانية فى الأوطان المستعمرة حتى تموت مشاعر الناس هناك ، فلا يحاول أحد أن يثور فى وجه المستعمرين له ، المستغلين لأرضه وجهده ، الأمر الذى لا يصبر عليه المسلم ، الذى يستظل براية التوحيد فلا يخفض رأسه الا لله ، ولا يحنى قامته لغير الله ، وهذا من شأنه أن يبعث فى نفسه العزة والكرامة وابعاء الضيم . ولهذا عمل المستعمرون - بواسطة المستشرقين - على محاربة الاسلام حربا خفية ، بعد أن حاربوا المسلمين حربا سافرة بالحديد والنار . وظهرت هذه الحرب فى صورة تجنيد جيوش من المبشرين بقيادة المستشرقين ، ودفع هؤلاء المبشرين الى بلاد المسلمين ، وحمايتهم بجيوش المستعمرين ، والتمكين لهم من التغلغل فى المدن والقرى وامدادهم بالمال ، ليقيموا المستشفيات والملاجئ والمدارس ليتخذوا منها شبكا لتضليل الناس ، محتفين فى زى المبعوثين اليهم لانقاذهم من المرض والفقر والجهل باسم المسيح .

وكان مما حاوله المبشرون - بتوجيه من المستشرقين - محاربة اللغة العربية - ، واجلاؤها من الألسنة ، حتى تنقطع الصلة بين المسلمين ، وبين كتاب الله الذى هـ

دستور دينهم ، ولسان شريعتهم ، وكان من تدبيرهم لتحقيق هذه الغاية أن أشاروا على المستعمرين بأن يقربوا اليهم كل من يحسن لغتهم ، وأن يمكنوا لهم من تولى المناصب العالية ، الأمر الذي دعا كثيراً من المسلمين الى تعلم لغة المستعمر وحذقها ، في الوقت الذي انصرف هؤلاء المتعلمون عن لغتهم العربية ، معتقدين أن هذا لا ينتقص شيئاً من دينهم ، ولا يمس شيئاً من عقيدتهم ، وبهذا أصبحت دول كثيرة من الدول الاسلامية التي كان لسانها عربياً لا تكاد تنطق بتلك اللغة ، ولا تعرف من كلماتها الا ما تؤدي به الصلاة في ركافة عجمية ، كما كان ذلك مشاهداً في البلاد الاسلامية الواقعة في شمالي افريقية وهذه البلاد تحاول جاهدة - الآن - بعد أن جلا الاستعمار عنها أن تسترد لسانها العربي ، بعد تلك الغربة الطويلة التي أنقطعت فيها الأسباب بينها وبينه .

وقد أستغل المبشرون وصنعهم في البلاد الاسلامية المستعمرة في التشويش على دعوة الاسلام مستفيدين من غياب اللسان العربي ، الأمر الذي أدى الى اضعاف الغيرة الدينية عند كثير من المسلمين ، وتراخي أيديهم عن التمسك بشعائر الدين ، والتأدب بآداب الاسلام والتخلق بأخلاقه .

وقد جهل المستعمرون وأعوانهم من المستشرقين والمبشرين أن السر في فشلهم في حمل المسلمين على التخلي عن دينهم هو أنهم يعملون في اتجاه مضاد لطبيعة الأشياء لأن الاسلام دين الفطرة التي فطر الله الناس عليها ، فلا يمكن للفطرة أن تنفصل عنه ، مهما بذل أعداء الاسلام من الجهد والمال .

وهذا هو السر الذي دخل به الاسلام الى أوطان كثيرة ، فغزا القلوب ، ونفذ الى العقول ، بدون جيوش زاحفة وحملات تبشيرية غازية ، وإنما كان الاسلام بذاته هو الذي يفتح أوطانا بأسرها ، على يد بعض التجار الذين لم يكن من قصدهم الدعوة الى الدين ، وإنما كانت هذه الدعوة تأتي عرضاً في حديث جار فاذا هي تسرى بين الناس سريان العافية في الأجسام العليقة ، واذا الناس على دين الله وعلى فطرة الله .

هكذا دخل الاسلام كثيراً من بلاد افريقية ومن بلاد آسيا ودخل بلاداً عديدة في اوربا ودخله كثيرون في أمريكا ، لم يدخل احد الاسلام في تلك البلاد بحملات حربية أو تبشيرية ، وإنما دخله طبيعياً ، بدعوة من الفطرة ، لهذا فشلت حملات التبشير في بلاد الاسلام ، وتكسرت نصالهم على صخرة هذا الدين .

لقد كانت أهداف التبشير الصليبي - بعد الحروب الصليبية التشويش على الدعوة الاسلامية لكسب مواقع جديدة من أرض المسلمين ، فلما عجز المبشرون عن بلوغ أهدافهم ، حاول قادتهم من المستشرقين أن يشوشوا على دعوة الاسلام بالقاء الأباطيل والمفتريات في ساحة شريعته الغراء ، خصوصا بعد أن انتشر الالحاد في اوربا وأمريكا بعد أن كشف العلم الحديث للمسيحيين ما في دينهم من أمور لا يقبلها العقل كالتثليث الذي يجعل الاله الواحد ثلاثة : أب وابن وروح قدس . فخشى المبشرون الصليبيون أن يظل الاسلام بوجهه المشرق على اوربا وأمريكا فيوجد قلوبا مهيأة له ، وعقولا متجاوبة معه فشجع رجال الكنيسة حركة الاستشراق ، وحمى المستعمرون هذه الحركة ، فكثرت عدد المستشرقين الذين يتصلون اتصالا مباشرا بالكنيسة ، ليشوشوا على الدعوة الاسلامية ، لاضعاف سلطان الدين على نفوس المسلمين ، فيقل عزمهم في محاربة الاستعمار وطرده من بلادهم ، فتحقق بذلك أهداف الاستشراق في خدمة الصليبيين والمستعمرين ، لكن الله بالغ أمره « يريدون ليطفنوا نور الله بأفواههم ، والله متم نوره ولو كره الكافرون . (١)

٢ - محاولة اغراق المسلمين بالتيارات الفكرية المضللة :

ومن الوسائل التي يستعملها الاستشراق في التشويش على دعوة الاسلام محاولة اغراق المسلمين بالتيارات الفكرية المضللة ، وتصدير هذه التيارات الى أقطار المسلمين لتضليل الشباب ، وصرفهم عن دينهم ، والتشويش على دعوة الاسلام التي تتفق مع فطرة الله التي فطرهم عليها ، وأهم هذه التيارات الفكرية المضللة مايلي :

أ - المادية :

يتسم العصر الحديث بتحكم المادية في تفكير الناس وفي سلوكهم ، والمادية تنكر المشاعر الانسانية التي يعمل الدين على غرسها وتنميتها في النفوس ، من الرحمة والمودة والعطف والايثار وكل ما يشيع في كيان الانسان من عواطف انسانية نحو أهله وقرباته ومجتمعه والانسانية كلها .

وأخطر ما في المادية أنها تتملق شهوات الناس ، وتأتي اليهم من الجانب الضعيف فيهم ، حيث تميل النفوس دائما الى العاجل من كل محبوب ومرغوب عندها وقد بين الله جل وعلا طبيعة النفس البشرية في كتابه الكريم فقال تعالى :

١ - سورة الصف : آية ٨

« كلا بل تحبون العاجلة وتذرون الآخرة » (١) وقال جل شأنه « ان هؤلاء يحبون العاجلة ويذرون وراءهم يوما ثقيلا » (٢) .

وقد حاول أعداء الاسلام أن يستغلوا هذا الميل الى المادية في تضليل شباب المسلمين عن حقيقة دينهم ، واستفاد الاستشراق في التشويش على الدعوة الاسلامية من أقوال الصوفية الذين ينتسبون الى الاسلام ، فالصوفية يروجون أن الزهد في متاع الدنيا دليل الاتباع الصحيح للدين ، وهذا زعم باطل ، ولكن المستشرقين استفادوا منه في اغراق شباب المسلمين بتيار المادية ، ليشوشوا على الدعوة الاسلامية ويشككوا في مقررات الاسلام .

ان المادية تنكر على الدين الدعوة الى الايمان بما وراء الحس من الايمان بالله وملائكته واليوم الآخر والحساب والجنة والنار وكل ما لا يقع في مجال المدركات الحسية التي هي عمدة العقل المادى في الحكم على الأشياء وقبولها أو رفضها ، أى أن المادية تغرق الناس في الشهوات ليتخذوا من حبهنا دينا ، وينصرفوا عن دين الحق .

فينبغي على الدعاة الذين يتصدون لرد هذه الدعوة المضللة أن يبينوا للشباب بخاصة أن الاسلام حينما يدعو الناس الى الايمان بالحياة الآخرة ، لا يجرمهم شيئا من طيبات الحياة الدنيا ، بل أنه يطلق كل قوى الخير فيهم ، ليعملوا جادين في كل ميدان من ميادين الحياة وليقطفوا كل طيب من ثمرات عملهم وجهدهم .

ان الاسلام لم يجرم على الناس شيئا من طيبات الحياة الدنيا ، فالله جل وعلا يقول « يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم واشكروا لله ان كنتم اياه تعبدون (٣) كما يقول سبحانه وتعالى « يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين » (٤) . ويقول عز وجل « قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق ، قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة » (٥) ويقول تعالى « من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحسبنا حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون » (٦) ان الله دعا الناس الى

٢ - سورة الانسان : آية ٢٧

٤ - المائدة : آية ٨٧

٦ - النحل : آية ٩٧

١ - سورة القيامة : آية ٢٠ - ٢١

٣ - البقرة آية ١٣٢

٥ - الاعراف : آية ٣٢

العمل الطيب ، ووعدهم بالجزاء الحسن في الدنيا والآخرة ولذلك اطلق الاسلام كل قوة من قوى الانسان الخيرة ، ولم يقف حائلا دون أية رغبة من رغبات الانسان الشريفة فاذا رسم الاسلام للانسان حدودا لا يتعداها ، واذا وضع على طريق مسيرته في الحياة معالم لا يخرج عنها ، فما ذلك الا لضمان سلامة الانسان في تلك المسيرة ، ووقايته من شهوات نفسه التي تقوده الى الهلاك ، أو تلبسه الشقاء الدائم في حياته قبل آخرته ، فمن رحمة الله تعالى بعباده أن أخذهم بأدب هذه الشريعة الغراء ، وأن حرم عليهم الخبائث التي تفسد عقولهم وقلوبهم وتغثال معالم الانسانية فيهم ، وتترلمهم الى عالم الحيوان الذي تريد المادية انزلهم اليه .

ب - الوجودية :

تقوم الوجودية على دعرة خادعة ، وهي أن يجد الانسان نفسه بالتحلل من كل ما يربطه بالمجتمع من نظم وقواعد وعادات وتقاليد وأن يطلق نفسه على هواها ، تهيم في كل واد ، وترعى كل ما يصادفها على طريقها من غير وعى أو تفكير أو تقدير لما يأخذ أو يدع من أمور ومن غير تقيد بشئ ما ، فلا دين ولا بيت ولا زوجة ولا وطن .

ان الوجودية - في الواقع - اخر تيار فكرى أوجدته المادية الحديثة ، فهي دعوة الى عزل الانسان عن عالمه الروحي ، وجعله جسدا حيوانيا ، لا يجد في كيانه شيئا من العواطف والمشاعر الانسانية . يقول بول سارتر زعيم الوجودية المعاصرة

« ان ما ينبغي أن تكون عليه حياة الوجودى هو توديع ما يسميه الجبناء وجدانا وضميرا والاستجابة الى داعى الحيوانية وتلبية كل ما تدعو اليه شهواته ، ونبد كل التقاليد والتعاليم الاجتماعية وتحطيم القيود التي ابتدعتها الأديان » (١) .

ان الوجودية تفسد طبيعة الانسان ، وتدمر عقله وقلبه وروحه ، وتحوله الى حيوان بلا عقل ولا قلب ولا روح ، فهي دعوة خبيثة انتشرت في ربوع أوروبا وأمريكا ، نتيجة لموجة الأنحلال والانسلاخ عن المسيحية التي انتابت هذه البلاد . وقد حركت أصابع الصهيونية تلك الدعوة وأخذ اليهود يروجونها ، لاشاعة الانحلال والفوضى في المجتمعات الأوروبية والأمريكية ، ثم حاولوا تصديرها الى بلاد المسلمين بواسطة

(١) وليم جيمس : ارادة الاعتقاد ص ١٢١ ترجمة الدكتور محمود حب الله .

شباب المسلمين الذين يذهبون الى بلاد الغرب طلبا للعلم ، وهم يوهمون شبابنا بأنها دعوة الى التحرر ، ويلعب المستشرقون دورا كبيرا في تضليل شباب المسلمين بهذه الدعوة ليتحرروا من الدين ومن العقل ومن الانسانية وليصيروا كالأنعام أضل فلا يخشى خطرهم على الاستعمار في أى شكل من أشكاله ، فتتحقق بذلك أهداف الاستعمار والاستشراق في محاربة الاسلام والتشويش على دعوته .

فيجب أن نحذر شباب المسلمين من هذه الدعوة الخطيرة ، ونزودهم دائما بزيادة كاف من العلم بأمور دينهم ليعصمهم هذا الزاد من الزلل والتأثر بما يروجه أعداء الاسلام من دعوات ضالة مضللة ، يتخذونها وسيلة لمحاربة الاسلام ودعوته التي تخرج الناس من الظلمات الى النور ، وتجعل الانسان أفضل المخلوقات .

ج - العلمانية :

ومن الوسائل التي يشوش بها الاستشراق على الدعوة الاسلامية افهام بعض أدياء العلم من الذين ينتسبون الى الاسلام بانه يجب الفصل بين العلم والدين وهو ما يسمونه « العلمانية » وهي دعوة من الدعوات الخادعة المضللة لأنها مشتقة من العلم .

والحقيقة أن العلمانية التي يدعو اليها المستشرقون - ويعنون بها العلم المنعزل عن الدين - حركة ظهرت في أوروبا نتيجة للصراع العنيف الذي نشب بين رجال العلم والكنيسة التي كانت بسلطانها القوي في القرون الوسطى متحكمة في العقل الأوربي فلا يقبل فكر أو رأى لا يكون مصدره الكنيسة ورجال الدين فيها ، وكان من السلطان الديني للكنيسة أنها تملك حق الغفران للعصاة ومرتكبي الكبائر من المسيحيين ، كما أن لها ، - في أتباعها - حق الحرمان والطرده من ملكوت الله ومن ساحة رحمته .

وقد انتهى هذا الصراع بين العلم والكنيسة بانفصال كل منهما عن الآخر ، فالعلم له رجاله ، ولهم في مجال العلم أن يقولوا ما يشاءون دون أن يكون للكنيسة حق مؤاخذتهم ، وللكنيسة رجالها الذين يقولون ما يشاءون في أمور الدين ، دون أن يكون للعلم وعلمائه موقف معهم .

وإذا قام هذا الصراع بين العلم والدين في المسيحية ، لأن الكنيسة صادرت كل كلمة يقولها العلم ، وعزلت الدين عن الدنيا فأخذ العلم وجهة غير وجهة الدين ، فانه لا مجال أبدا لأن يقوم مثل هذا الصراع بين العلم والدين في رحاب الاسلام ،

لأن الاسلام يؤاخى بين العلم والدين ، ويجعل للدين علما ، والعلم رائدا هاديا الى الدين ، وكلمة العلم وما يشتق منها من أكثر الكلمات دورانا في القرآن الكريم ، فقد ورد ذكر العلم ومشتقاته أكثر من ثمانمائة وعشرين مرة في الكتاب الكريم .

فالعلم هو رسالة الاسلام ، وبالعلم يعرف الانسان ربه وخالقه ، وما يجب عليه من ولاء لله ، واستقامة على أوامره ، واجتناب لنواهيه ، حيث لا يكون عمل الا عن علم ولهذا كانت دعوة الاسلام الى طلب العلم ، والى الاجتهاد الدائب في طلبه ، يقول الله جل جلاله : « هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون » (١) ويقول سبحانه وتعالى « يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات » (٢) ويقول عز وجل لنبيه الكريم « وقل رب زدني علما » (٣)

فالدعوة الى العلم دعوة كريمة مستحبة من كل ذى عقل ، لأن العلم سبيل الانسان الى الكمال العقلي والسمو الروحي حيث يميز به الحق من الباطل والهدى من الضلال والخير من الشر والنافع من الضار .

أما العلمانية التي يروج لها المستشرقون فتدعوا الى العلم الذي ينزل عن الدين فلا مجال لها في الاسلام ، ولا ينبغي أن تظهر في المجتمع الاسلامي ، . لأن الاسلام جامعة العلم والمعرفة الأمر الذي لا يمكن أن تقوم معه جفوة بين العلم والدين أبدا فلا ينبغي أن يقبل مسلم دعوة الى الفصل بين العلم والدين لأن من يقبل هذه الدعوة يكون جاهلا بحقائق الاسلام ، فلا يكون مسلما ولا علما .

فينبغي أن نحذر المثقفين من شباب المسلمين من الانقياد الأعمى لمثل هذه الدعوات الضالة المضللة ، ومن الغرق في التيارات الفكرية التي يحاول الاستشراق اغراق المسلمين بها ، للتشويش على عقيدتهم ، وابعادهم عن دينهم الذي به صلاحهم وعزتهم « و« والله العزة ولرسوله وللمؤمنين » .

٣ - محاربة اللغة العربية :

من الوسائل التي يحارب الاستشراق بها الاسلام ، ويشوش بها على دعوته محاربة

(١) سورة الزمر ٩

(٢) سورة المائدة : آية ١١

(٣) سورة طه : آية ١١٤

اللغة العربية التي نزل بها القرآن ، وقد لجأ المستشرقون الى هذه الوسيلة بعد عجزهم عن النيل من القرآن الكريم ، فأخذوا يروجون بين المثقفين من المسلمين من تلاميذهم أن اللغة العربية في حاجة الى تطور وتجديد ، وهم يهدفون من وراء دعوتهم هذه الى إضعاف اللغة العربية ، لنبصرف المسلمون عنها فتنقطع الصلة بينهم وبين كتاب الله وسنة خاتم الأنبياء والمرسلين عليه الصلاة والسلام .

ان المستشرقين يتهمون اللغة العربية بالعجز عن مسايرة ركب الحضارة الحديثة ويزعمون أن اللغة العربية تعجز بقاموسها اللغوي عن حمل العلوم الفنون التي جاء بها العصر الحديث ، وأن التخلف الذي أصاب المجتمع الاسلامي سببه قصور اللغة العربية وعجزها عن نقل ما جاءت به العقول والقرائح عند الأمم الغربية ، لهذا يجب على أهل العربية - في زعمهم - أن يتركوا هذه اللغة ، ويبحثوا عن لغة أخرى حتى يلحقوا بركب الحضارة ، ويعيشوا مع أهل العصر .

وهذه دعوى باطلة من أساسها ، فاللغة العربية أوسع اللغات وأقدرها على توليد الألفاظ الجديدة ، والدليل على هذا أنها حين خرجت الى ما وراء موطنها العربي - الى دولتي الفرس والروم - استوعبت بألفاظها - من مفردات وتراكيب - كل ما وجدته من حضارات ثم أنها مدت ذراعها الى حضارتي اليونان والرومان القديمتين ، فترجمت كل ما أنتجته عقول حكمائها وعلمائها . وكان للتراث العلمي المشرق الذي أنتجته العربية أثره البعيد في تنوير اوربا ، واخراجها من ظلام القرون الوسطى ، وادخالها الى هذا العصر الحديث الذي تفخر به ، فلا يعقل - بعد هذا - أن تعجز اللغة العربية عن نقل العلوم والفنون التي جاء بها العصر .

وقد لقن المستشرقون بعض تلاميذهم من المسلمين الدعوة الى العدول عن الكتابة بالحروف العربية الى الحروف اللاتينية بحجة أن عملية الطباعة بالحروف العربية شاقة بطيئة لأن لكل حرف صوراً عديدة بحسب موقع الحرف في الكلمة أما كتابة الكلمات العربية بالحروف اللاتينية فأنها لا تحتاج الى جهد ووقت لأن الحروف تكتب متفرقة على صورة واحدة مهما اختلف موقع الحرف في الكلمة .

وهذه دعوة خبيثة ، تهدف الى قطع الصلة بيننا وبين تراثنا القديم اذا طال الزمن وأصبحت الكتابة الافرنجية هي التي تعلمتها الأجيال المتعاقبة ، وصارت هي طريقها الى القراءة والكتابة فاذا رجع واحد من أبنائنا الى كتاب مكتوب بالحروف العربية

لا يحسن قراءته ، وبذلك تطوى صفحة مكتبتنا العربية التي تضم موروثنا من العلوم
والمعارف في الدين واللغة وفنون العلم المختلفة .

كما أن في اللغة العربية حروفا لا مثل لها في الحروف اللاتينية مثل الناء والحاء
والطاء والعين والقاف ، وهذه الحروف لا يتيسر النطق بها نطقا سليما بالحروف
اللاتينية ، فالدعوة الى العدول عن الكتابة بالحروف العربية الى الحروف اللاتينية
تهدف في الحقيقة الى إضعاف العربية لغة القرآن ، ومحاربة الإسلام بهذه الوسيلة .

كما لقن المستشرقون بعض تلاميذهم من العرب الدعوة الى استعمال اللغة العامية
بدل الفصحى بحجة أن الفصحى لا تستعمل في الحياة العامة حتى بين المثقفين أنفسهم
فهى في واد والحياة في واد آخر ، وهى دعوة ظاهرة البطلان ، لأن اللغة الفصحى
هى التى يفهمها من يتكلمون العربية جميعا من مثقفين وغير مثقفين فالعامية حين
يستمعون الى آيات القرآن يفهمون دلالتها ، وما تحمل من أوامر وزواجر وقصص
ومواعظ ، أما اللغة العربية العامية فلا تفهم الا في نطاق ضيق بين المتحدثين بها
في اقليم بعينه . وليس عجيبا أن تختلف العامية في بلد عنها في بلد آخر من بلاد اللغة
الواحدة فالانجليزية تختلف عاميتها في انجلترا عنها في أمريكا وهكذا . . وهذه الدعوة
لا تهدف في الحقيقة الا الى محاربة الاسلام ، لأن اللغة العربية الفصحى هى لغة القرآن
الكريم ، كتاب هذا الدين الذى يربط بين أتباعه برباط متين ، كما أنها اللغة الوحيدة
التى يلتقى عنها أهل العربية في جميع أقطارهم في مجال العلوم والآداب والفنون ،
وفي أخذهم من تراثهم الرائع في فروع المعرفة المختلفة .

وقد لقن المستشرقون - أيضا - بعض تلاميذهم من العرب الدعوة الى ترك
الاعراب وتسكين أواخر الكلمات العربية تسكينا لازما في جميع الأحوال شأنها
في ذلك شأن اللغات الأوروبية بحجة أن هذا الأمر ييسر تعلمها ، ويجعل متعلمها
في مأمن من الخطأ .

وهذا دعاء باطل يراد به هدم اللغة من أساسها ، ومحاربة الاسلام ، اذ كيف
يقرأ كتاب الله جل جلاله وتقرأ أحاديث الرسول صلوات الله وسلامه عليه ؟ !

ان الاعراب في اللغة العربية هو أعظم مميزاتها عن اللغات الأخرى ، ويكفى
اللغة العربية شرفا أنها حملت المعجزة التى عجز الانس والجن عن تحديدها ، وبهذا

استحقت هذا الوصف الكريم من الله تعالى في قوله جل شأنه : « نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربي مبين » (١) .
 فليس هناك شك في أن محاربة الاستشراق للغة العربية ومحاولاته العديدة للقضاء عليها أو إضعافها إنما هي محاربة للإسلام وتشويش على دعوته .
 وينبغي على الدعاة أن يدافعوا عن دينهم وعن اللغة التي يتعلمون بها أمور هذا الدين الخفيف حتى يردوا سهام المستشرقين إلى نحورهم « والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون » (٢)

رابعاً : العوامل التي تساعد الاستشراق في محاربة الإسلام

يستفيد الاستشراق في محاربته للإسلام وتشويشه على دعوته من مختلف الأسلحة والوسائل التي تمكنه من بلوغ أهدافه التي أهمها صرف المسلمين عن دينهم حتى لا تقوم لهم قائمة ، ويستغل الاستشراق ما يجده في المسلمين من عوامل الضعف ، فيستفيد من هذه العوامل ويتخذ منها أسلحة يحارب الإسلام بها ، ويشنع بها على دعوته وسأحاول هنا - بعون الله - أن أبين أهم تلك العوامل الموجودة في الأمة الإسلامية - الآن - والتي تشبه الثغرات في صفوف المسلمين بحيث يستطيع المستشرقون أعداء الإسلام والمسلمين وورثة الصليبيين أن ينفذوا منها ، ويستفيدوا منها في التشويش على الدعوة الإسلامية :

٢ - الدعوات المضللة التي قامت تحت راية الإسلام :

يستغل المستشرقون ما يبدو من قول أو فعل من بعض الدعوات المضللة . التي تنتسب إلى الإسلام . في الإساءة إلى الإسلام والتشويش على دعوته ، ومن هذه الدعوات المارقة المضللة التي قامت تحت راية الإسلام ، وأسوأ أتباعها بمقولاتهم وسلوكهم إليه الصوفية والبهائية والقاديانية .

أما الصوفية فقد زعموا أنهم يريدون سلوك الطريق إلى الله عز وجل ولكنهم بدل أن يسلكوا طريق الكتاب والسنة - الذي لا طريق غيره - راحوا يشرعون لأنفسهم من الدين ما لم يأذن به الله تعالى ، ويصنعون لأنفسهم قواعد للسلوك ،

(٢) سورة يوسف : آية ٢١ - ١٩٣ - ١٩٥

(١) سورة الشعراء : آية

تقوم على الزهد والحرمان ورياضة النفس ومجاهدة الشهوات ، ولما وجدوا أن المنهج الاسلامى القائم على الاعتدال والتكامل ومحاربة الغلو والتطرف لا يشبع نزعاتهم السلبية الغالية ، اقتبسوا من الديانات والمذاهب الأخرى وادعوا لأنفسهم أحوالاً وواردات ومواجد وأذواقا لا يعرفها الدين وما زال الشيطان بهم يصور لهم من الخيالات مالا حقيقة له حتى أوقعهم في القول بالخالسول ووحدة الوجود وأفضى بهم الى القول بالجبر وبطلان التكليف والتسوية بين الطاعات والمعاصي ، والايان والكفر ، بدعوى شهود الربوبية في كل موجود (١) .

أما البهائية فقد ظهرت في ايران في القرن الماضى نابعة من الفكر الشيعى فقد بشر الشيرازى الملقب بالباب بقرب ظهور الامام الثاني عشر محمد بن الحسن العسكرى الذى ينتظر الشيعة الامامية الاثنا عشرية ظهوره، ثم ظهر كذب الباب عند الشيعة حينما قال إن الامام الغائب سيظهر في تبريز بأذربيجان ، والشيعة يعتقدون أنه سيظهر في مشرق ايران عند جبل يسمى « كوه خدا » أى « جبل الله » فقبضت السلطة على الباب وحوكم ، وأعدم ، وأعان قبل اعدامه ، أن الامام الذى يقصده هو تلميذه حسين صبح أزل الملقب ببهاء الله ، فسميت الدعوة البهائية نسبة الى بهاء الله هذا ، الذى خرج هاربا من ايران ، وزعم أنه نبي أرسل بدين جديد ، مجدد للاسلام ، كما زعم أن كتابا نزل عليه ، وأخذ يدعو لهذه الدعوة المارقة المضللة حتى مات ودفن في فلسطين وقبره في الجزء المحتل منها .

ودعوة البهائية شبيهة بالشيوعية ، فهى تدعو الى التحلل من الدين وترك الحرية للمرأة تفعل ما تشاء ، وتقسم السنة الى تسعة عشر شهرا ، فهى في الحقيقة انسلاخ عن الاسلام وطمس لمعالمه .

وقد ساند الاستعمار وأعوانه من المستشرقين هذه الدعوة ، ليستعينوا بها في تزييف حقائق الاسلام فألفوا كتباً بلغات مختلفة لشرح عقيدة البهائية . (٢)

وأما القاديانية فهى دعوة مارقة مضللة ظهرت في بلاد الهند في أواخر القرن الماضى ، وهى تقوم تحت راية الاسلام ، وقد دعا إليها ميرزا غلام أحمد وكان

(١) يمكن الرجوع الى كتابفصوص الحكم لابن عربى وهومن القائلين بوحدة الوجود لتبين ما انتهى اليه أمر الصوفية من الضلال والالحاد
(٢) ابو الحسن الندوى : القاديانى والقاديانية ، ص ١٩ وما بعدها .

مركزها الهند ، وأتباعها من مسلمى الهند ، ثم امتدت الى خارج الهند ، فظهرت في بعض الدول الآسيوية والافريقية وساندها الاستعمار والاستشراق .

وقد ظهرت هذه الحركة في وسط جو فكري وسياسي عاصف اجتاحت بلاد الهند في أعقاب ثورتها على الاستعمار الانجليزي في سنة ١٨٥٧ ، فقد أصابت المسلمين بعد اخفاق هذه الثورة وحشة الفتح ونكبة الهزيمة ، وعانوا وطأة الاستعمار السياسي ووطأة الاستعمار الثقافي ، وقامت الدولة الانجليزية المنتصرة بنشر ثقافتها وحضارتها في محاولة لزعزعة العقيدة الاسلامية ، واضعاف الثقة بأسس العقيدة ومصادر الشريعة (١) لأن الدين الاسلامي هو الدين الوحيد في الهند الذي كان يدعو الى الجهاد في سبيل الدفاع عن الدين والوطن والعرض والمال .

وقد أستغل الاستعمار - أيضا - المحترفين للتصوف في نشر شطحاتهم وخرافاتهم فاستولى على مسلمى الهند اليأس والقلق ، ثم استساموا للأوضاع الفاسدة ، وأخذوا يتطلعون الى متقد ينقذهم من الحيرة واليأس ولو بالخرافات والأباطيل .

وفي وسط هذا الجو الفكري العاصف دعا ميرزا غلام احمد الى القاديانية ، وكان غلام أحمد هذا من امارة البنجاب ، وكان والده من أصحاب الاقطاعات ، ومن ذوى . . النفوذ في قومه ، كما كان من صنائع الانجليز ومن أخلص الدعاة لهم .

وقد عرف عن غلام احمد أنه كان في مطلع شبابه متصوفا ، ثم ترك العزلة ، ودخل في معترك الحياة ، ونصب نفسه للمناظرات والمجادلات في أمور الدين ، فلفت الانظار اليه فاجتمع كثير من العامة عليه ، وأكسب شهرة وصيتا ذائعا في أوساط المسلمين ، فسولت له نفسه انه ملهم من الله ، فأخذ يتحدث للناس بما زعم أنه ينزل عليه من الهامات ، ويذكر لهم آيات قرآنية وأخرى محرفة ، يحسبها من لا يحفظ القرآن قرآنا ، وفي هذا تلبيس وتدليس وكيد عظيم ، لتحريف القرآن الكريم .

ولم يقف غلام احمد عند هذا الحد بل ادعى أنه نبي يوحى اليه ، وأخذ ينشر مفترياته (٢) متخذا الدين مدخلا يدخل به الى قلوب أتباعه ، ليخدم بذلك أغراضا

(٢) توجد كتب في شرح البهائية بالانجليزية والفرنسية والفارسية والعربية .
(٢) من يريد مزيدا من المعلومات فليرجع الى كتاب الندوى المذكور

سياسية ، وينفذ خططا رسمها له المستعمرون ، فالى جانب ما تركه هذه الدعوة المجرمة من افساد للعتيدة الاسلامية في عقول من يصيهم شررها ، فانها حملت في ثناياها دعوة الى ابطال الجهاد الذى هو فرض على المسلمين ، حين تدعو دواعيه وتقوم أسبابه وبهذا مكن للاستعمار ، ودفع عنه كل ما كان يتهدده من ثورة المسلمين في الهند على وجوده .

« يقول غلام احمد في كتاب نشره على الناس تحت عنوان « ترياق القلوب » :
لقد قضيت معظم عمرى في تأييد الحكومة الانجليزية ونصرتها ، ولقد الفت في منع الجهاد ووجوب طاعة أولى الأمر (الانجليز) من الكتب والاعلانات والنشرات ما لو جمع بعضها الى بعض لملا خمسين خزانة وقد نشرت هذه الكتب في البلاد العربية ومصر والشام وتركيا وكان هدفي دائما أن يصبح المسلمون مخلصين لهذه الحكومة « الانجليزية » وتمحى من قلوبهم قصص المهدي السفاك والمسيح السفاح والأحكام التى تبعث فيهم عاطفة الجهاد ، وتفسد قلوب الحمقى »

وهذا يدل على أن غلام احمد كان يتخذ دعوة القاديانية وسيلة لتثبيط عزائم المسلمين في الهند حتى لا يثوروا على المستعمرين وحتى يرضوا بالذل والعبودية ، أى أن . . القاديانية منذ نشأتها صنيعة للاستعمار وأعوانه ، وهذا هو سر بقائها بعد وفاة غلام احمد في عام ١٩٠٨ فمازال خلفاء غلام احمد ينشرون دعوتهم بين المسلمين في حركة نشيطة يغذيها أعداء الاسلام بالمال والأفكار ، ويفتحون لها الفروع في اوربا وآسيا وافريقية على أنها داخل اطار الدعوة الاسلامية ، ويتعاون في نشرها الاستعمار والاستشراق والصهيونية .

ان القاديانية ، وهى تنتسب زورا الى الاسلام ، وهى أخطر سلاح يوجه الى صدر الاسلام ، حيث يتخذ منها أعداء الاسلام دعاة لهم ، يضعون على أفواههم ما يريدون وما يدبرون من كيد للاسلام والمسلمين ، بالتشويش على دعوة الاسلام والله من ورائهم محيط .

٢ - وسائل الاعلام تشارك الاستعمار فى محاربة لاسلام :

ان وسائل الاعلام بصورتها الحالية في الاقطار الاسلامية تتعاون مع الاستشراق في محاربة الاسلام والتشويش على دعوته ، فقد أصبح المجتمع الاسلامى يواجه

غزوا رهيبا - محملا بعوامل الافساد للمسلمين - من وسائل الاعلام من جرائم ومجلات واذاعة مسموعة ومرئية وأفلام سينمائية ومسرحيات وغيرها ، وخطورة هذا الغزو أنه يدخل الى العقول والقلوب دون أن يلتفت الكثير من المسلمين الى ما قد دخل عليه من أفكار قد يكون بعضها مسموما مما يروجه المستشرقون أعوان الاستعمار ضد الاسلام ، محاربة له وتشوشيشا على دعوته .

ان وسائل الاعلام عدو خفى يحارب المسلمين بالكلمة والصورة والفكرة ، وهي أسلحة أشد خطورة من الجيوش الزاحفة ، والمدافع المنطلقة ، التي يعرف المسلمون منها وجه العدو الذي يغزوهم .

والشيء المؤسف حقا أن المسلمين في سائر أقطارهم لا ينتبهون الى خطورة وسائل الاعلام ، كما أن الدعاة لا ينبهون الى خطورتها تنبيهها كافيا لتحويلها الى أدوات بناء للمجتمع الاسلامي بدلا من كونها أدوات هدم وتدمير .

ان وسائل الاعلام تنشر كثيرا من الوان الفساد والانحلال والاحاد بما تنقله من صورة الحياة في الأقطار الأوروبية والأمريكية التي انتشر فيها الاحاد في العصر الحديث نتيجة لاستخفاف الناس بالدين ، بعد أن كشف الناس من متناقضات في المسيحية وفي اليهودية لا يقبلها عقل مستنير ، ولا يستريح اليها ضمير حي ، في حين أن الاسلام ليس فيه متناقضات فمن نظر فيه بعقله وجاء اليه بجميع وسائل العلم ، وجد أنه الحق الذي يلتقى مع العقل التقاء مؤاخيا ، وهو يدعو المؤمنين به الى العزة والجهاد دفاعا عن دينهم وأوطانهم وأموالهم وأعراضهم ، الأمر الذي يشكل خطرا على الاستعمار وخططه ضد العالم الاسلامي ويجعله يستغل وسائل الاعلام في تصدير عوامل الافساد للأقطار الاسلامية لصرف المسلمين عن دينهم ، والتشويش على الدعوة الاسلامية .

٣ - الحط من شأن العرب الجاهليين :

ومن العوامل التي تساعد الاستشراق في محاربة الاسلام والتشويش على دعوته أن كثيرا من المثقفين من المسلمين أصبحوا يسايرون المستشرقين في الحط من شأن العرب الجاهليين ظنا منهم أن في هذا خدمة للاسلام ، وهم مخطئون كل الخطأ ، فلقد رمى المستشرقون العرب بتهم مائة ، فصوروا حياتهم في الجاهلية ، وكأنهم

وحوش ضارية ، تعيش في أرض قفر ، ومكان جديب ، فكانت قلوبهم أفقر من أرضهم ، ومشاعرهم أكثر جدبا منها . . هكذا يتحدث المستشرقون عن الأمة العربية في جاهليتها ، ليخلصوا الى القول بأن الاسلام دين بدادة ، لا يصلح في أحكامه وتشريعاته الا في تلك المناطق المتبدية المتوحشة المقفرة ، فهو — كما يزعمون — ليس الدين العالمي الذي يصلح عليه أمر الناس في البدو وفي الحضرة ، وفي الحاضر والمستقبل .

وقد خدع بهذا القول كثير من المسلمين الذين تصدوا للرد على هؤلاء المستشرقين فسلموا لهم بما قالوه في العرب الجاهليين ، وفي أن الأمة العربية لم تكن شيئا قبل الاسلام ، وهذا القوم فيه حق ولكن فيه باطلا — أيضا — أما الحق فيه فهو أن الاسلام قد ارتقى بالعرب الى درجات عالية في عالم الفضائل والكمالات ، وجعلهم في سنوات قليلة قادة الأمم وأساتذة الشعوب ، وبناء الحضارة في كل موقع نزلوا فيه .

وأما الباطل في ذلك القول فهو أن الأمة العربية لم تكن خلوا من الفضائل ، فقد كانت تحمل في كيانها أسلم القلوب ، ويكفيها فخرا أن الله تخيرها ، كما تخير موطنها ، وكما تخير بنيتها ، لتكون هذه الأمة مطلع شمس دين الاسلام ، وأفقها الذي يشع منه نوره على هذا العالم .

وقد وجد الاسلام في الأمة العربية كثيرا من الفضائل التي زكاها ، وأبقى عليها مثل حماية الجار واغاثة الملهوف ونصرة المظلوم ، واکرام الضيف والغيرة على الحرمات من أموال وديار وأعراض ، فكان ذلك ركيزة للأخلاق الفاضلة التي بنى الاسلام عليها دولته .

فوصف الأمة العربية بالسوء ، وتجريدها من كل فضيلة لا يتفق مع الحق ، وهو تقليد لما يقوله المستشرقون ليتخذوا منه سلاحا يحاربون به الاسلام ، ويشوشون به على دعوته ، وينبغي أن يتنبه المسلمون الى هذا جيدا ، وأن يحذروا التقليد والانخداع بأقوال المستشرقين أعداء الاسلام .

ومن الحق أن نقرر هنا أن الثقافة الاسلامية ، هي في صميمها ثقافة عربية ، برسولها العربي ، وعربية بلسانها الذي نزل به القرآن دستور شريعته ، وعربية

بعروبة من استقبلوا دعوتها ورفعوا رايتها ، وأذنوا بشريعتها في العالمين ، وعربية بالوطن العربي الذي طلعت فيه شمسها ، وتجلت فيه آياتها ، وذلك ما يشير اليه قول الله تعالى « الله أعلم حيث يجعل رسالته » (١) . ومن فضل الله على العرب أن جعل محمدا - صلى الله عليه وسلم - خاتم الأنبياء والمرسلين عربيا ، وجعل رسالة الاسلام خاتمة الرسالات وجعل أهلها الأمة العربية ، فكانت أكمل رسالة ، في يد أكمل الرسل في خير الأمم ، فكل محاولة للتهمين من شأن العرب ، والحط من قدر العرب الجاهليين مجارة للمستشرقين في محاربة الاسلام بكل وسيلة .

فينبغي على المسلمين في جميع أقطارهم أن يسدوا الثغرات التي تمزق صفوفهم وتمكن المستشرقين من اتخاذها وسيلة للتشويش على الدعوة الاسلامية .

وأختم هذا البحث ببيان الوسائل التي نحارب الاستشراق بها ، حتى نفسد خططهم ونرد كيدهم في نحورهم ، ونردهم على أعقابهم خائنين خاسرين ، وبالله التوفيق .



خامسا : الوسائل التي نحارب بها الاستشراق :

ان ما يقوم به الاستشراق من حرب سافرة وخفية ضد الاسلام لصرف المسلمين عن دينهم يجب أن يقابل بوسائل قادرة على دحر أعداء الاسلام ، وكشف زيفهم وأباطيلهم وفضحهم بها ولهذا كان من مهمة الدعوة الاسلامية اليوم أن يعمل دعايتها في ميدانين في وقت واحد أحدهما دفاعي والآخر تبليغي .

أما الميدان الدفاعي :

ففيه يرد الدعاة على حملات المستشرقين على الاسلام لمحاولة تشويه حقائقه ، والقاء ظلال مزيفة من التهم عليه ، والتشكيك فيه ، حتى ينصرف المسلمون عن دينهم ، وحتى يتوقف الذين يبحثون عن الاسلام لاتخاذهم دينا يملأ الفراغ الديني الذي خلّت نفوسهم منه .

ويحتاج هذا الميدان الى أجهزة متخصصة ، ودعاة متخصصين ذوي كفاءات عالية في العلم ، ومنازل كريمة في الخلق والسلوك ، دعاة ينذرون أنفسهم للدفاع

عن دين الله مهما كلفهم هذا الدفاع من تضحيات ، وان أولى العزم والايان هم وحدهم الذين يقفون هذه الوقفة لله .

ان العاملين في ميدان الدفاع عن دين الله يجب أن يكونوا على درجة عالية من الفقه في دينهم ، وعلى جانب كبير من العلم والاحاطة بما كتبه أعداء الاسلام من المستشرقين وأشباههم ، ولا تيسر لهم هذه الاحاطة الا اذا كانوا على قدر كبير من الالمام باللغات الأجنبية كالانجليزية والفرنسية والألمانية والروسية ، فيجب أن يتكون العاملون في ميدان الدفاع عن دين الله من جماعات ، تتقن كل جماعة منها لغة أجنبية الى جانب درجتها العالية من الفقه في الدين ، وبهذا يستطيع المدافعون عن دين الله أن يصرعوا أعداء الاسلام ، وأن يفضحوا أكاذيبهم ومفترياتهم وما لفقوا ويلفقون من أباطيل للتشويش على الدعوة الاسلامية .

أما الميدان التبليغي :

ففيه يقوم الدعاة بالدعوة الى دين الله في المواطن التي خلت من الدين ، وفي المواطن التي خف ميزان الدين فيها ، فالناس في هذه المواطن في ربوع العالم المختلفة يبحثون عن دين يجدون فيه الحق الذي يلتقى مع الفطرة الكامنة في كل نفس ، ومع العقل المتشوق الى الحق ، الباحث عن الحقيقة .

ويحتاج هذا الميدان الى دعاة يفقهون أمور دينهم بدرجة كبيرة ، ويكونون على جانب كبير من الفطنة والذكاء ، ويتكلمون من جماعات تتقن كل جماعة منها لغة أو أكثر من اللغات الرائجة في أوروبا وأمريكا وآسيا وافريقية كالانجليزية والفرنسية والفارسية والاردية ، حتى يحقق العاملون في هذا الميدان الغاية المرجوة ويصلوا الى الهدف المنشود .

ان العلم والفقه في الدين والذكاء والفطنة وسائل لا غنى عنها في التصدي للاستشراق ومواجهة أعداء الاسلام أيا كانت أسماؤهم وصورهم وأشكالهم ، لأن الذي يعرض حقائق الاسلام ان لم يكن على مستوى عال من العلم والفقه والذكاء والفطنة كان ضرره أكثر من نفعه في هذا المقام .

فيجب أن نعد الدعاة الذين يفون بالمطلوب لدعوة الاسلام اليوم في ميدانها الدفاعي والتبليغي ، وهنا نتساءل : هل أدى المسلمون حق دينهم عليهم ، وهم

يعلمون أنه الحق من ربهم ؟ . الحق أن المسلمين مقصرون متهاونون في أداء هذا الواجب الذى يفرضه الدين عليهم . ان الدين دعوة ، ولا بد لهذه الدعوة من دعاة يبلغونها الى الناس ، ويكشفون لهم عن وجه الحقائق فيها ، وهذه هى الحكمة من ارسال رسل الله الى الناس مع ما يحملون اليهم من رسالات الله ، والا لوقف الرسول بمحتمته عند وضع الرسالة بين أيدي الناس دون أن يقطع عمره كله واقفا عليها ، مناعا عنها متحملا الاذى والضرر في سبيلها ، ثم كيف يكون هذا موقفنا والله قد اناط بنا حمل أمانة الدعوة الى دينه ، فقال جل وعلا : « ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون » (١) .

والدعوة الى دين الله أمر مطلوب من كل مسلم ، وذلك بسيرته المحمودة في الناس، وبخلقته الكريم ، وسلوكه الطيب الذى يراه غير المسلمين عنه ، في أقواله وأفعاله ، فان الدين بأمله ، والناس اما ينظرون الى الدين فيما يرون من آثاره في المتدينين به ، قبل أن ينظروا اليه في حقائقه ، فينبغى على أولى الأمر في الأقطار الاسلامية أن يحسنوا اختيار المبعوثين الى أوربا وأمريكا من الطلاب وغيرهم لانه كثيرا ما يسمى هؤلاء المبعوثون الى الاسلام بسوء سلوكهم ويصيرون أخطر على الاسلام من أعدائه .

أما الدعاة المتخصصةون العاملون في الميدانين الدفاعى والتبليغى فيجب عليهم أن يبينوا للناس حقائق الاسلام ، لأن بيان هذه الحقائق كاف لاختماد أصوات أعداء الاسلام مهما كانت مرتفعة ، كما أنه كاف لاجباط خطط هؤلاء الأعداء الذين يقف المستشرقون في مقدمتهم .

وينبغى أن يبين الدعاة للناس أن الاسلام دين الفطرة ، وأنه هو المثل الأعلى للانسانية ، لانه حرر العتق وأطلقه من عقاله اطلاقا يعود على الانسانية بكل خير ، ودفع ادغال دغعا ليتفكر في الكون ليسموا الجانب الروحى ، وليفكر في تسخير الأشياء للانسان ليرتقى الجانب المادى .

ويجب أن يبين الدعاة للناس أن الاسلام حرر الانسانية من ظلم البشرية وتناقضاتها ووحده لتروى الانسانية التى تقود العالمين الى السعادة القصوى ، ولذلك ختم الله به

الديانات السماوية ، وجعل نبي الاسلام صلوات الله عليه آخر لبنة في بيت النبوة العتيد ، فم بها بناؤه ، وكمل بها رواؤه .

وينبغي على الدعاة أن يبينوا للناس أن الاسلام هو النظام الالهي الكامل الذي لا يمكن للانسانية في سعيها المتصل لبلوغ الكمال الانساني أن نجد أرقى منه في جميع مجالات الرقي ، عقليا ونفسيا وخلقيا وعاطفيا وروحيا وماديا وفرديا واجتماعيا .

ويجب أن يبين الدعاة أن الدين كله لله الذي يتعبد عباده بما يشاء ، ويشرع لهم من الأحكام والحدود والفرائض والآداب ما اقتضته حكمته مما يعلم أن فيه صلاحهم وسعادتهم ، فلا يجوز لأحد أن يزيد في دين الله ما ليس منه ، أو ينقص منه ما هو منه . وأن دين الله واحد ، وهو الاسلام الذي بعث به رسله وأنزل به كتبه ، وأن الأنبياء كلهم أخوة دينهم واحد وأمهاتهم شتى ، وأن الواجب الايمان بهم وما أنزل اليهم جميعا ، قال الله تعالى : « آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا واطعنا غفرانك ربنا واليك المصير (١) .

ينبغي أن يبين الدعاة للناس أن العقيدة الاسلامية تقوم على الايمان بالله الها واحدا لا تنبغى الالهية الا له ، وعلى الايمان بأن له وحده الأسماء الحسنى والصفات العليا .

ويجب أن يبين الدعاة للناس أن الايمان باليوم الآخر وبالبعث والجزاء مما يقتضيه العقل ، تحقيقا لقاعدة العدل ، اذ ليس في المعقول ولا في الحكمة أن تكون هذه الحياه القصيرة هي الغاية من خلق هذا العالم الكبير ، وأن تكون نهاية المؤمن والكافر سواء ونهاية الظالم والمظلوم سواء ، ونهاية البر والفاجر سواء ، قال الله تعالى : « وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما باطلا ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الأرض أم نجعل المتقين كالفجار » (٢) .

١ - سورة البقرة : آية ٢٨٥

٢ - سورة هـ آية ٢٧ - ٢٨

وقال سبحانه : « أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون » (١) .

فاذا علم كل انسان انه مسئول عما قدم وأن سعيه سوف يرى ثم يجزاه الجزاء الأوفى « فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره » (٢) . سلك في حياته سبيل الجادة وحاسب نفسه بنفسه ، فلا يمكن أن يصبر على ذنب ارتكبه ، ولا أن يقصر في أداء ما وجب عليه ، وبهذا تستقيم الأمور في هذه الحياة .

فاذا بين الدعاة أن العقيدة الاسلامية تركز على أسس ثابتة من الفطرة الانسانية العامة ، والمنطق العقلي المستقيم والنصوص الدينية الصريحة ما استطاع عدو للاسلام من المستشرقين وأشباههم أن يقف في وجهه ، أو يشوش على دعوته .

وهذه هي الوسائل التي يستطيع المسلمون أن يواجهوا بها أساليب الاستشراق ويحبطوا بها جهودهم في محاربة الاسلام والتشويش على دعوته ، ويحولوا بينه وبين الوصول الى أهدافه التي أهمها اضعاف المسلمين بصرفهم عن دينهم .



١ - سورة الجاثية : آية ٢١
٢ - سورة الزلزلة : آية ٧ - ٨

خاتمة

ان كشف الجهود التي يبذلها الاستشراق في محاربة الاسلام بكل سلاح وبأية وسيلة أمر لازم لتوجيه الدعوة واعداد الدعاة .

وإذا كان الاسلام قد واجه في جميع أزماته - منذ مطلع الدعوة حتى اليوم - كثيرا من القوى المعادية له ، حتى دخل معارك ضارية متصاة باللسان مرة وباللسان مرة أخرى فان ما يواجهه الاسلام في العصر الحديث من القوى المعادية له أشد ضراوة ، وأبلغ كيدا مما واجهه من قبل ، ويعد الاستشراق أخطر القوى التي تحارب الاسلام وتشوش على دعوته لأنه يستعين بالعلم في محاربته للاسلام فيستعمل أسلحة كثيرة متنوعة ، ويستفيد من كل وسيلة يمكن أن تصل به الى أهدافه ، وتمكنه من اضعاف المسلمين بصرفهم عن دينهم .

لهذا ينبغي على المسلمين في جميع أقطارهم أن يحاربوا الاستشراق بالعلم والخلق

وأن يحسنوا اعداد الدعاة الذين يتصدون للدعوة في ميدانها الدفاعي والتبليغي حتى يتمكنوا من اخراس السنة أعداء الاسلام الخاقدة بتوضيح حقائق دينهم القويم للناس أجمعين ، وبذلك يندحر المستشرقون الذين أرادوا أن يطفثوا نور الله رب العالمين « يريدون أن يطفثوا نور الله بأفواههم ويأبي الله الا أن يتم نوره ولو كره الكافرون ، هو الذي أرسل رسوله بالهدى والحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون » (١) .

والله يقول الحق ويهدي السبيل ، وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين .

الشيوعية الميزان

لفضيلة الشيخ محمد علي عبد السميج
كلية الدعوة وأصول الدين

الإنسان متدين بطبعه :

لقد خلق الله هذا الكون لغاية فاضله وحكمة سامية فلم يخلقه لهوا ولا عبثا وإنما خلقه للدلالة على ذاته وعنوانا على قدرته وإحكامه ثم اقتضت حكمته تعالى أن أرسل من لدنه رسل لينقلوا الناس من دياجير الجهل والظلام ومهانه الأفك والضلال إلى نور العلم والعرفان حتى لا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل قال تعالى : « وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا » .

الإنسانية هو أن الديانات السماوية وإن أجمعت على أن إله الكون هو الله تعالى الذي لا إله إلا هو إلا أن كثيرا ما كان ينحرف الناس عن تعاليم تلك الديانات فيرمزون إليه بكونك تارة أو بحيوان تارة أخرى أو غير ذلك من الأشياء التي يرون فيها القوة الخارقة والقدرة الفائقة لاستشعارهم أن الإله لا بد أن يكون ذا جبروت لا يبارى واقتدار لا يجارى وفي بعض الأوقات يرمزون إليه بشئ يجدون احتياجهم إليه شديدا وأن حياتهم متوقفة عليه وليس بلازم

وإن الناظر في هذا الكون العجيب ليرى الأدلة ناطقة على حكمة خالقه والبراهين ساطعة على قدرة موجدته ولقد درج الإنسان من مبدأ الخليفة على التدين والإقرار بأن للوجود إلها هو مسير أمره ومدبر شأنه والجماعات الإنسانية على مدى العصور والدهور وإن لم تتفق على من هو ذلك الإله إلا أن الشعور من قرارة نفس كل فرد يناديه بأن قوة قاهرة هي المسيطرة على الوجود وبالتالي يسميها الإنسان بالإله ومرد ذلك الاختلاف بين الجماعة

الحكم وبالقساوسة رجال الدين وقد كان الناس ينتنون من بشاعة حكم هؤلاء وتسلط أولئك فوجدوا الفرصة سانحة لأن ينفصوا عن أنفسهم غبارا طال ماتراكم عليهم وكم أنفاس التخلص تغلى في صدورهم فقرروا أنه لا بد من التخلص منهما معا لأن كلا منهما ظهر بصورة حطت من شأنه وهونت من احترامه في نفوس الناس .

تبديل وتغيير :

فقام يتزعّم الناس رجل يقال له (ماركس) مناديا بسقوط القياصرة فتهلل الناس لندائه واستجابوا له مندفعين ثائرين غير عابئين بما يترتب على ذلك من نتائج وحتى لا يقوم معارض لتلك الجماعات الثائرة يقف في سبيلهم باسم للدين نادى ماركس وأتباعه بأن الدين خرافة وأن كل منتم إليه مفتر كذاب ولكي يذيعوا الرعب في نفوس الناس أعملوا المناصل في رقاب رجال الدين إسكاتا للمعارضين ودحرًا للمُحتجّين على قتل من قتل من الحاكمين وحتى لا يوجد بعد ذلك من يناصر هؤلاء أو هؤلاء غيرَ وا نظام البلاد السياسي إلى نظم أخرى سموها بأسماء خلافة ووضعوا عليها لافتات بّراقة لتستهوى الناس وتستميل

أن يكون ذا بأس وقوة كل هذه المعاني وتلك الاتجاهات من الإنسان تدل على اقتناعه في قراره نفسه على أن للوجود إله هو الذى إليه يرجع الوجود في كل أمر من أموره استمر الأمر على ذلك قرونا وقرونا وأجيالا وأجيالا يستطيع نور الحق حاملا مشعله رسول يرسل أو نبي يبشر ويخبره نوره تارة أخرى عندما تمتد الفترة بين الرسل فتتكس عقائد الناس ويركسون في الضلالة من جديد حتى أرسل الله محمدا صلى الله عليه وسلم بشيرا ونذيرا ورسولا إلى الخلق كافة فملأ هداه الخائفين وانتشر نبا رسالته في المشرقين وهناك في أوربا وآسيا كانت المسيحية ضارية شرسة في القرون الوسطى وكان لرجالها سلطان قوى وكان للقياصرة في روسيا بأس شديد فتسلل أحد قساوسة اليهود إلى صفوف هؤلاء القياصرة وكان داعرا منحلا فأشاع الدّعر والعهر بين صفوف هؤلاء القياصرة من حكام روسيا فشوه بذلك صورتهم ولطّخ بهذا الضنّيع سمعتهم فظهروا في أعين الناس بمظهر منبوذ كريبه كما ظهر بهذا المظهر ذلك القسيس وهنا أصبح رجال الدين والحكم في نظر العامة عنوانا على الفساد الخلقى والانحلال السلوكى فتبرّم الناس بالقياصرة رجال

البائسين والمحرومين والحديث عنها يطول وليس هذا مجاله أما الدين فلم يغيروه بل أنكروه مدّعين أن الدين لن يصلح نفوسا ولن يربي أرواحا إذ لو كان كذلك لظهر أثره في رجاله الآثمين الذين تحالفوا مع القياصرة وأباحوا لهم ولأنفسهم ضروبا من الفساد تقشعرّ لذكرها الجلود وتتقرز لسماعها النفوس .

إنكار وإفتراء :

وحتى لا يحاول بعد ذلك إنسان ما أن يردّد صوت الدين أو نعمة التدين أنكروا وجود الله وبفريتهم هذه اضطروا إلى القول بأن العالم الذى هو صنعة الله موجود بالصدفة (تلقائيا أى بدون حكمة أو تدبير) أو بالتفاعل أى بتأثير جزئياته بعضها في البعض بمعنى أن الشئ مؤثر ومتأثر وبذلك نخلص إلى أن مبادئ الشيوعية من حيث العقيدة تتلخص في شيئين اثنين :

(١) إنكار وجود الله - تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً .

(٢) أن وجود العالم بطريق الصدفة أو التفاعل .

تدليل باطل :

ولقد سلك ماركس عليه اللعنة في

التدليل على دعواه الباطلة مسلكا عجيبا وتبعه في ذلك (لينين) ومن نحاً نحوه فيرى ماركس أن كل موجود لابد وأن يرى وحيث إن الله لا تراه عيوننا في دار الدنيا فاستنتج من ذلك أنه غير موجود وكأنه جعل الإقرار بوجود الله كالتسليم بنتيجة نظرية من النظريات الطبيعية المادية لأن المادة عنده مكونة من عناصر وكل عنصر مغاير للآخر فله خصائصه ومميزاته وكل عنصر مركب من جزئيات وكل جزئية لها خصائصها ومميزاتها إذن كل هذه الأشياء متميزة متغايرة ولا يمكن معرفة تمايزها وتغايرها إلا برؤيتها بالعين أو إحساسها بأحدى الحواس الأخرى التى بها تميّز الأشياء ويفرق بينها عند الإدراك وكأنه يريد بذلك أن يقول (لا بل قال) إن الله فرد من أفراد المادة يخضع لقوانينها ويقاس بمقاييسها ويوزن بموازينها (تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً) ولو أنه تريث هنيهة أو تعقل قليلا لوجد الفطرة من أعماقه تناديه إنّ للعالم إلها إليه تهرع في الملمات وتلجأ الى رحمته عند النكبات وهو مغاير لذلك العالم في ذاته وصفاته وإلا ما كان للجوء إليه دون غيره معنى أو مدلولاً وما صرخة ذلك المهندس الشيوعيّ مستغيثاً بالله

عندما هوى ابنه من جانبه من أعلى الصرح الا تعبيراً صادقاً ودليلاً قاطعاً على أن الفطرة مهما طمسها الضلال وطغى عليها الكذب والبهتان لا بد وأن يشعّ وميضها بين تلك الجحافل الآثمة ويلمع بريقها من خبايا تلك الافتراءات الملحدة معلنا أن للوجود إلها خلقه بقدرته وسيرّ أمره بإرادته ولو أن الملحدَيْن الخبيثين ماركس ولينين استجابا لنداء الفطرة لأيقنا بأن للعالم إلها ولكن كيف يكون منهما ذلك وقد أغرقا في الكذب والافتراء والإلحاد والكفران ولندع اعتقادهما فذلك لا يعنينا وناقش الفكرة والدليل فهي التي في الأمر تهمننا وتعنينا .

ففكرتهم أو مبدؤهم هو أنه لا وجود لله وديلهم أن الله لم تره أعيننا وحيث إن الأمر كذلك فهو غير موجود

نقاش وإبطال :

إننا إذ ناقش هذا الدليل نجد أن بطلانه أهون من أن يوجه إليه طعن وأن انهياره ليس بمحتاج لعناء .

فنتقول اذا كان لا بد من رؤية كل موجود وأن الشيء الذي لا يرى لا يكون موجوداً فماذا تقوون في الروح التي بها حياة الفرد هل هي موجودة مع كونها لم تر أم أنها ليست

موجودة ؟ إن قلمم بالأول فقد غايرتم بين الموجودات في صفة هي مردّ الحكم وإن قلمم بالثاني فقد ادّعيتم افكاو زور لأنها موجودة بالضرورة إذ بها تكون حياة الفرد والعقل الذي به نفكر وندرك هل موجود أو معدوم ؟

إن قلمم إنه معدوم فقد افترتكم كذبا وقلمم بهتاناً وإدّاءً وان قلمم إنه موجود ولا مناص لعاقل أن يقول غير ذلك فهل ثبتت لديكم رؤيته أم أنكم تقولون بوجوده والحال أنكم لم تروه فإن قلمم بالأول فالواقع يصفع عقولكم ويبطل دليلكم وإن قلمم بالثاني فقد أقررتم بوجود شيء لا نستطيع رؤيته وإذا كان الأمر كذلك فلماذا تعرفون بحكم بالنسبة لأمر وتتكرونه بالنسبة لآخر وهو أن بعض الموجودات لا تمكن رؤيتها وبذلك يكون الله تعالى موجوداً ومع ذلك لا تراه الأبصار « لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير » .

تعصب ممقوت :

ان ماركس وأتباعه الذين اتخذوا الشيوعية لهم عقيدة ومبدءاً لا يواكبون مسار العلم والعقل بل يشايعون التعصب للباطل ومظاهرة الضلال والجهل اذ من القواعد العامة والأمور الثابتة التي

لا تقبل نقاشا ولا جدلا أن الأشياء إذا كانت لها صفة توقرت فيها جميعها يكون الحكم عليها باعتبار تلك الصفة واحدا وتخصيص فرد منها بحكم دون الآخر تعصب ممقوت وتحيّز مردود من هذا ننتهي إلى أن العقل والروح كل منهما موجود ولم يثبت أن انسانا ما في الوجود رآهما أو رأى واحدا منهما ولا يوجد إنسان ما ينكر وجودهما وحيث ان الأمر كذلك فإذا تقرر البديهية أن الشيء يكون موجودا ومع ذلك لا يرى إذ أن عدم رؤيته لا تطعن في وجوده وقد ثبت ذلك بالنسبة للروح والعقل إذا عدم رؤية الله تعالى لا تطعن في وجوده إذا فالله موجود وإن لم تره العيون وإن العقول السليمة تقرر في جلاء ووضوح ودون شك أو ريب أن الله تعالى موجود لأنها تدرك البرهان على ذلك في كل شيء دالا على قدرته شاهدا بعلمه وحكمته ناطقا في كل وقت وحين تبارك الله أحسن الخالقين ، وفي أنفسكم أفلا تبصرون أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت وإلى السماء كيف رفعت وإلى الجبال كيف نصبت وإلى الأرض كيف سطحت »

زيادة إيضاح :

إن الأدلة كثيرة ناطقة وعديدة واضحة

وجميعها تدل على وجود الله تعالى فهذا النظام البديع الذي يسير عليه الكون وهذا الإبداع المعجز الذي وجد عليه العالم يدل على أن لاكون إلهما بقدرته خلق الوجود وبحكمته أبداع كل مخلوق ووجود تلك الأنواع المتعددة وكثرة تلك الخصائص المتباينة أصدق دليل على وجوده تعالى وقولهم إن العالم وجد بطريق الصدفة فهذا أمر لا يسلم به عاقل إذ كيف تنتج الصدفة هذا النظام البديع والمعلوم أن السمع لا يهبه لفرد إلا عالم بقانون السمع وكذلك كل صفة من الصفات التي يسعد بها الإنسان والتي لا بد لوجودها من تدخل وقدرة عالمة حكيمة مدبرة ولا يمكن القول بأن تلك القدرة من جنس تلك الموجودات وإلا لأمكن غيرها أن يناعها أو يبطل عملها إذ المفروض أن الجميع متساوون في كل شيء وإن قانون التأثير والتأثر يحتم تقدم المؤثر على المتأثر والمفروض أن كلا منهما يساوى الآخر تماما فإذا يكون الشيء على هذا موجوداً ليوحد ومعدوما ليوحد وهذا باطل كما وأنه لا بد من كون تلك القوة المؤثرة مغايرة لما عداها في كل شيء في ذاتها وفي صفاتها حتى تكون قادرة على الخلق والإيجاد ولا يصح أن تأخذ تلك الصفات عن غيرها

وإلا لكان غيرها مؤثرا فيها وبذلك يكون شأنها شأن غيرها من المخلوقات ومعنى هذا أنه لا بد وأن يكون وجودها من ذاتها حتى تتم المغايرة بينها وبين ما توجد وتخلق .

أما قولهم إن العالم وجد بطريق التفاعل فنقول لهم مبطلين ما يدعون إن المادة التي سيتم التفاعل بين جزيئاتها من الذي أوجدها من الذي جعلها قابلة للتفاعل ومن الذي غاير بينها في الصفات والخصائص لا بد من قوة مدبرة حكيمة عالمة بقوانين التفاعل والتغاير حتى يمكنها أن تعطى ذلك العنصر من الصفات ما يجعله يتفاعل مع ذلك العنصر خاصة بكيفية خاصة لينتج عن تفاعلها شئ خاص وإلا لو كان التفاعل راجعا إلى عنصرية محضة دون تغاير أو تمايز بين العناصر لكانت نتيجة التفاعل واحدة ولجاء العالم صورة واحدة متماثلة كما ينادى بذلك قانون التفاعل في علم الكيمياء لأننا لو وضعنا في مخبر مادتين فتفاعلتا ثم أحضرنا بعد ذلك آلاف المخابر ووضعنا في كل منها مقدارا من المادتين اللتين وضعنا في المخبر الأول لكانت النتيجة واحدة ونحن إذا نظرنا إلى العالم وجدنا التغاير بين أفراده وعناصره واضحا ملموسا فلو كان موجودا بالتفاعل بين جزيئاته

لما وجد ذلك التغاير بين أفراداه في خصائصه ومميزاته فهذا معتم وهذا مضى وهذا حساس تام وذلك جامد لا ينمو وهذا يعيش في الماء ويموت في اليابس وهذا على العكس من ذلك إلى غير هذا مما تراه العين ولا ينكر التغاير بينه وبين غيره إلا مكابر أفاك ومدع كذاب والله درّ القائل رداً على منكري وجوده تعالى :

رباه مالى في الكروب سواك
فهرعت ربي أحتمى بحمـاك
رباه إني قد نشدت سعادتي
فوجدتها مقرونة بتقـاك
يارب أنت الخالق البارى ومن
ينكر وجودك يصبح الأفاك
يا مؤمنا قل للذى زعم الطبيعة
موجدا من ذا الذى سواك
يا من تخط في الضلالة سادرا
من أبدع الإيجاد في دنيـاك
إن كنت تسعى للحققة صادقا
متطلعا للخير في أخـراك
فدع التعصب جانبا وانظر معى
مندبراً اثم احتكم لنهـاك
من ذا الذى قد شق سمعك محكما
ومن الذى بالنطق قد حلاك
والعين من أعطاك فيها مقلـة
ومن الذى بالحسن قد أولاك

والنجم للسفن المواخر مرشد
 والبدر يؤنس في الدجى مسراك
 والعقل ينتج للأنام حضارة
 وبدونه لن تستبين خطاك
 والروح سرّ في الجسوم وعلمه
 عند الذى من فضله أحياء
 والقلب ينبض في المنام ونبضه
 للحق والإيمان قد ناداك
 تلك العجائب لا تنظم صدفه
 لكنها صنع الذى يرعاك
 وجميعها فيها الدليل مؤيِّدا
 قولى فماذا يا عيند دهاك
 والعقل يدمغ ما تقول بداهة
 وعن الغواية يا شقى نهاك
 والكون يلهج بالثناء جميعه
 لله تقديساً وماجارك
 لكنك الغاوى الأثيم ومن غوى
 نبد الورود وفضل الأشواك
 عطلت عقلك ياغوى حماقة
 وتجنّبت صوت الهدى أذناك
 وركبت من بحر الضلالة لجة
 وتسابقت نحو الردى قدماك
 أما التفاعل إن نقل هو موجد
 أو مبدع شيئاً فما أغواك
 إن التفاعل في النتائج واحد
 والكون فاض تغاير أخزاك

ومن الذى يعل الجبال رواسيا
 وأقام في شتى السهول رباك
 ومن الذى رفع السماوات العلا
 من غير أعمدة ترى عيناك
 مزدانة بكواكب تجرى على
 طول المدى لا تخطئ الأفلاك
 هو خالق الأكوان جل جلاله
 بالخير والإنعام قد ربّاك
 يا منكر الله إنك مغرق
 في الإفك بل والله ما أشقاك
 إن العجائب في الوجود كثيرة
 وإلى المهيمن ترشد الإدراك
 فالسّم في الأفعى يصون حياتها
 وإذا أصابك بعضه أرداك
 والنحل في زهر الرياض غداؤه
 والشهد من عاني السقام شفاك
 بالماء نجيا والحياة رغيّدة
 وإذا طغى يوماً يصير ملاكا
 والحوت يسبح في الخضم موحداً
 واليبس يفتى الحوت والأسماك
 في الصخر يحيا الدود غير منغص
 والطير في كبد السما أشجاك
 والشمس ترسل في النهار شعاعها
 ينمى الزروع ويقتل الفتاك
 والليل يمسح بالنعاس عناءنا
 وبدونه لن نستطيع حراكا

هذا التغير في الخصائص مثبت
 فعل الإله ومبطل دعواك
 فارجع عن الإنكار إنك مفتر
 والجهل بالبهتان قد أغراك
 وانهض لربك بالقداسة هاتفا
 سبحانك اللهم جل علاك
 ذات الإله عن المثل تقدست
 لا يشبه القدوس ذا أو ذاك
 ودع المآثم تائباً مستغفراً
 فالله في جنح الظلام يراك
 خطرات نفسك في الظلام أو الضحى
 ليست بخافية على مولاك
 لك خالقي كل الكمال منزلها
 عما يفيد النقص والإشراك
 تعطى وتمنع من تشاء بحكمة
 والكون يا رحمان في يمينك
 فاحفظ إلهي القلب من زلاته
 وجعله ربي مشرقاً بسناك
 هذا بيان مجمل عن الشيوعية وما تنادى
 به والمؤسف المؤلم أن بعض دول العالم
 العربي وهم يدينون بدين الإسلام ينادون
 بالاشتراكية بل اتخذوها لهم شعاراً
 ومبدأً ونحن نتساءل من أى لون هذه
 الاشتراكية هل هي اشتراكية علمية
 أم اشتراكية ديمقراطية بمعنى هل هي
 عقيدة أم مذهب إن كانت عقيدة فهي

تساوى الماركسية تماماً في أهدافها
 وغاياتها ولا تختلف عنها إلا في الاسم
 فقط وهذا الذى نقوله بناء على تعريفها
 وبيان كنهها عند الماركسيين أنفسهم
 حتى ولو سمو الماركسية بالاشتراكية
 لأنهم جعلوا من ضمن مبادئهم الشيوعية
 أنه لا مانع من التضليل والكذب
 والبهتان ووضع أسماء على غير مسمياتها
 ما دام يؤدي ذلك الخداع والكذب
 إلى الهدف المنشود أما إن كانت
 اشتراكية ديمقراطية أى إنها مذهب
 اقتصادى فقط لا شأن له بالعقيدة والخلق
 فما أغنانا عنه بما عندنا من تراث إسلامى
 عريق نهض بالعرب من الخضيض إلى
 أوج السعادة والرقى البشرى يوم أن
 قاد جماعة المسلمين رسول الله محمد
 صلى الله عليه وسلم وهذا التراث
 الإسلامى العظيم ممثل في الفقه الإسلامى
 وإن أولئك الذين ينادون بالاشتراكية
 مذهباً اقتصادياً ويرهقون أنفسهم في
 الدعوة له والدعاية إليه لو أنهم اطلعوا
 على الفقه الإسلامى لأغناهم ذلك عن
 كل هذا العناء يا قومنا أجبوا داعى
 الله وأحكموا بما أنزل على نبيه ومن
 لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون
 إن الإسلام دستور كامل أسعد البشرية
 يوم أن استظلت بظلاله ويسعدنا اليوم
 إن هي التزمت أحكامه وارتضت

قضاءه ففيه السياسة والاقتصاد والحرب
والسلم والسلوك والاجتماع والروح
والمادة وجميع ما يحتاج إليه بنو الإنسان
في حياتهم إن الإسلام من وضع خالق
البشر العليم بما يصلح شأنهم ويقوم
معوجهم ويسعد جماعتهم وينهض بهم
إلى أسمى درجات السعادة والرفي
لذلك أودعه كل ما يحتاجون إليه في
معاشهم ومعادهم قال تعالى : (ما فرطنا
في الكتاب من شيء)

ولله در القائل :

بالمصطفى الهادي تألق صبحنا
وتبددت بجيوشها الظلماء
قد جاء والإخاد في طغيانه
وعلى الأمور يسيطر الجهلاء
فأقام بالتوحيد أعظم ملة
فيها لمن يبغى العلاج شفاء
وهي للحياة سدادًا ورشادها
هي للوجود الكوكب الوضاء
هي للشعوب بلاسم لجراحها
هي في الهجير الروضة الغناء
دستورها القرآن فاض هداية
وبغيثه جذب الحياة رخاء
في هرم الزمان ولم يزل في هديه
للمسلمين العزة الشماء
يا قومنا اضربوا على أيدي المتطرفين الملحدين

الذين يدينون بالشيوعية فإنهم في جسم الأمة
الإسلامية كالسرطان يهدمون كيائها
ويقوضون كل مقوماتها ولا تربطهم
بفرد فيها رابطة من خلق أو دين إذ
الرابطة بينهم هي مبادئ الشيوعية فقط
دون غيرها من روابط اجتماعية أو
أسرية أو روحية أو قومية أو وطنية
بمعنى أن الشيوعي في مشرق الأرض
أولى بالشيوعي في مغربها من أمه وأبيه
أو ابنه وأخيه فكل القيم منهارة في
نظر الشيوعي أمام عقيدته التي يبذل
في سبيلها كل شيء فهل يصح ونحن
نؤمن بالله وبرسوله أن ندع الخطر
يستشري ونحن سكوت زاعمين أننا
لن نمكنهم من الوصول إلى مركز
القيادة والسلطة فهذا لا يعفينا من
المسؤولية وإلا كان مثلنا كمثل من
أرادوا خرق السفينة ليصلوا إلى الماء
دون عناء فإن تركهم من هم في
أعلاها غرقوا جميعا وإن منعوهم سلموا
جميعا فنحن إن وقفنا عند هذا الوضع
السلبى كان ذلك أخذًا للأمور الخطرة
بسهولة لا توأم بعض ما يجب أن
تؤخذ به من الاهتمام والجدّ يا قومنا
إن الأمر جدّ خطير فالشيوعية بلاء
وحنة وهي كما سبق أن قلت كالسرطان
يعايش الإنسان زمنا طويلا ولا يظهر
له خطر ولا يبدر منه أذى حتى إذا

الإبن لأبيه والزوجة لزوجها بالتلصص
عليهما سلوكا ومنهجا ثم أى سعادة
في هذا النظام الذى يسلب الفرد قسرا
ما امتلاك بحجة التأميم لصالح الدولة
لأنها هى التى يجب أن تملك وسائل
الانتاج ورأس المال أليس ذلك قتلا
لغريزة حب الاقتناء التى هى جزء
من مقومات الانسان التى تدفعه إلى
العمل راضيا بما يجد من مشقة وعناء
ثم هذا الانتاج الذى هو ثمار شقاء
الطبقات الكادحة المحرومة إلى أين
يذهب ومن الذى في خيره ونعيمه
يتقلب أليست تلك الفئة الباغية الحاكمة
التي تقبض على نواصي الأمور بقبضة
من حديد ولا ترى الشعوب إلا سوط
الإرهاب تلوح به في الفضاء بدا ليفي
والاستعباد لابسة قفازا من الحرير
تخدع الشعوب بملامسه وهى لا تعرف
ما بداخله من ظلم وفساد وعتو واستبداد
لا تصح المقارنة :

إنه لا تصح المقارنة بين نظام هذا
طابعه وتلك المذكورة آنفا أهدافه
وغاياته وبين الإسلام الذى هو في
أسمى درجات الرقي بين النظم الاجتماعية
التي سعد بها بنو الإنسان فلا استغلال
فيه ولا عسر في العمل والإنتاج إنما
عن اقتناع وإيمان يعمل الإنسان في

ما اكتملت قدرته على الهجوم وشرست
استطاعته على الفتك انقض عاتيا لا يرحم
جباراً لا يتفاهم كل همه الوصول
إلى غايته والحصول على مأربه مهما
شرد أو قتل أو هدم أو دمر لأن الغاية
عنده تبرر الوسيلة وهل يوجد أخطأ
مستوى ممن يبيح لنفسه الخداع والكذب
والتضليل والتمويه بل يجعلها من مبادئه
وأخلاقه ما دامت تصل به إلى مقاصده
وأهدافه يا قوم إن الشيوعية في تقديرها
لبعض الأمور وخاصة المعنوية منها
أخطر من بعض فضايل الحيوان وإن
ادعى معتقوها سمو إحساسهم ورقة
وجدانهم وإن تباكوا على الإنسانية
المعذبة التي يدعون أنهم يريدون
إسعادها وتخليصها من نير الذل والاستعباد
وتحكم الإقطاع والاستغلال وجموح
رأس المال المستبد الذي لا يعرف
رحمة ولا شفقة في نظرهم إلى غير
ذلك من العبارات الخادعة الخلابة التي
يخدعون بها الشعوب ويغشون بها
الجماعات حتى إذا ما وقعت في الفخ
الذى نصبوه واحتواها الشرك الذى
حاكوه ذاقوا من الذل ألوانا يشيب
لها الولدان وتضطرب لذكرها الأبدان .

أى سعادة في نظام يجعل إنكار الإله
عقيدة والتناحر بين الطبقات مبدأ
وإشاعة الملح بين الأفراد طابعا وخيانة

الإسلام لأن له ثمرة ما يعمل وهو مع ذلك يؤدي ما عليه من واجبات يسهم بها في بناء المجتمع الإسلامي السعيد الذى هو حلية نافعة في جسمه الكبير وبهذا يعلن الإسلام بين بنيه ما استحق الحياة من عاش لنفسه فقط فهو بذلك يحقق الخير لنفسه ولغيره فالإسلام بذلك نظام محكم فليس أنانية محضة كما هي الرأسمالية المستقلة وليس حرمانا محضا كما هي الشيوعية الملحدة بل هو وسط بين نقيضين فحرم الربا وحث على الإنفاق والصدقة بعد تأدية فرض الزكاة « لا يؤمن من بات شعبان وجاره جائع » قال تعالى : « واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين إحسانا وبذى القربى واليتامى والمساكين والجار ذى القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل وما ملكت أيمانكم »

فهل يداني هذا النظام قانون ما من القوانين التى تستنها الدول تخفيفا لآلام الفقراء والعاجزين ثم هو لا يجرد الإنسان من الامتلاك بل جعل له ذلك الحق بشرط ألا يعتدى على حق غيره أو يسلبه ماله فإن فعل ذلك فله في الدنيا خزى وعار وفضيحة ونكال « والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله » .

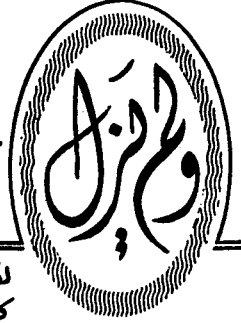
إن الإسلام عالج مسألة الاقتصاد علاجاً لم يسبق إليه ولن تستطيع دولة ما أن تصل إلى ما وصل إليه من علاج يحقق الرفاهية لأهله والمساواة الصحيحة بين ذويه فنظام الزكاة والكفارات والمغانم وغير ذلك من وجوه البذل يجعل من المسلمين أمة متكافلة بالمعنى الصحيح وفي الوقت نفسه لا يعوق الإنسان عن الكسب الكريم الشريف بل يشجعه ويحث عليه « ما أكل أحد طعاما قط خيرا من أن يأكل من عمل يده وإن نبي الله داود كان يأكل من عمل يده » فلا تواكل في الإسلام ولا تعطيل للطاقت ولا مصادرة للأموال والممتلكات لأن كل نظام فيه أقيم على أساس سليم فكل فرد في الدولة الإسلامية عضو من أعضائها تحمس به ويحس بها وترعاه ويعمل من أجلها بل يتفاني بحق في سبيلها مدفوعا لذلك بشعور صادق وإيمان عميق لأنه يراها الأم الحانية والراعى الذى لا يدخر وسعا في سبيل سعادته بخلاف الشيوعى فهو يعمل ولكن على مضض يعمل وهو ينتج ولكنه من وجل ينتج بل في وسط الالهيى وعلى القنا يسير لأنه يرى أن يد البطش القاسية مسلطة عليه والجانسوسية القذرة متربصة به فهو لا يأمن على نفسه وليس بمستريح

ضميره طول حياته لأنه خدع بألفاظ لم يجد لها مدلولات وبعبارات لم يلمس لها مفهوما فهو على يأس يعيش متمنيا ساعة الخلاص ولكن هيهات هيهات أن تمكنه مما يريد تلك الشرذمة الطاغية المتسلطة عليه فهي لن تدع له فرصة يتمكن فيها من الفرار من ميدان الذل والاستعباد والتسخير والاستقلال لأنهم يرون ذله عزاهم واستعباده سيادة لجماعتهم ولذلك كثيرا ما نسمع أن أفرادا غافلوا الحراس وفرّوا من المعسكر الشرقي إلى المعسكر الغربي لأن الحرمان استبد بهم واليأس قد سدّ كل طريق أمامهم فوجدوا الأخلاص إلا بركوب المخاطر والتعرض للهلاك باقتحامهم الأسوار هذا من الناحية الاقتصادية التي هي الشغل الشاغل للعالم أجمع أما ما عدا الناحية الاقتصادية فإن نظاما يقوم على مبدأ الروح والمادة اللذين هما العنصر المكوّن للإنسان لاشك أنه

يسعد المرء في دنياه وفي آخره ولهذا ما حققه الإسلام لمعتنقيه بخلاف نظام يقوم على نكران الروح ويجعل الحياة مادة صرفة وأن الشيوعي ما هو إلا قطعة من آلة ما دام تسير فيها الوقود فهي تعمل ولا تفكر وتسير وحذار أن تتلفت حولها أو تسأل عن شيء بداها فنظام هذا طابعه لاشك يشقى معتنقيه ويجعلهم يرزحون طول حياتهم تحت عبء المهجبة الداعرة والفضوية التي لا تقرّ نظاما مهذبًا أو دستورًا كريمًا ساميًا يرتقى بنى الانسان عن مستوى الهوام والحيوان وبذلك اتضح الأمر لدى عينين وأميط اللثام عن نظامين ومنهجين أحدهما في أسمى درجات الرفعة والعلو وهو الإسلام والثاني من أحط دركات الحضيض والامتهان وهو الشيوعية وتلكم ما هي إلا نظام الإلحاد والكفران .



أعداء الأمة يمكرون



لفضيلة الدكتور محي الدين رمضان
كلية الآداب بجامعة اللاذقية

إن في عالم فكرنا المعاصر ظاهرة لا تخفى على أحد ، تلك هي اضطراب المفاهيم الإسلامية لدى أغلب فئات الأمة ، حتى كأنها مبتدعات الأفراد والجماعات . فلا تكاد هذه المفاهيم تستقل بذاتها ولا بمضمونها ، ولا تكاد تأتلف في جزئياتها ، ولا تلتئم في أساليبها . وهكذا هي سواء في أمور العقيدة والعبادات التي يرثها المسلم دون مناقشة ولا تمحيص أم في أمور العلاقات فيما بين الفرد والجماعة أم في أمور الحكم والتشريع أم في أمور المعاملات وغير ذلك

وأسباب ذلك كثيرة تلخص في فوضى مناهج التربية وتضارب أفكارها ومبادئها ، وهو شيء مُهْد له منذ أمد ، وأنفق الممهدون له جهدا ووقتا طويلا ، ولم يكن ارتجالا أو خبط عشواء ، وإنما هو النافذة التي فاجأ هؤلاء المتربصون منها هذه الأمة ، بعد أن أعيت عليهم المذاهب مدى قرون عديدة . وكانت هذه النافذة هي الثقافة والفكر والتربية ومناهجها والتعليم وأساليبه ، فأجدى هذا أي جدوى بعد أن قُلّ السيف وأخرس المدفع ودحرت الجيوش .

فكل ما يتصل بالثقافة والفكر وأسباب نشرهما والحرص على إذاعتها والعناية بهما وما يستوجب هذا كله كانت مفاتيح بأيدي هؤلاء الناس الذين وجهوا العقول ، واستمالوا القلوب ، حتى أذلوا الرقاب ، وخلصوا إلى النفوس ، وامتلكوا كل زمام دون أن يتكبدوا ما تكبده أسلافهم جيوشا وعتادا وجهودا وأمالات ثم لم يفلحوا . واتخذت هذه الجهود الماكرة صورا شتى بدأت برجال الثقافة والبعثات العلمية

والمعونات الطبية ثم المعاهد التبشيرية تناثرت هنا وهناك ، وانتهت إلى صور أخرى يراها البصر ، ولا تدركها البصيرة . وقد كثرت وسائل الإعلام من صحف ومجلات ونشرات وسينما ورائ (١) وتطورت أساليب التوجيه والتأثير ، وأنجزت هذه كلها مراحل من المخططات العديدة التي كان همها الأكبر هو تنشئة شخصية ليس لها طابع مميز إلا أن يكون تبعا لجمعة ، تتنكر لأمتها وماضيها ، وتستهيئ بآرائها ، وتنعى عليه ، وتتعلق بالأجانب ، وبما أتوا به ، ويقلدونهم ، ويرون فيهم أئمة يقتدون بهم ، ويحرصون على القول بآرائهم واعتقادها ، والتسليم بها . وهؤلاء الذين استطاعت تلك المعاهد والبعثات أن تحتويهم وتربيهم وتعلمهم ، وكانوا طلائع فئات من الشباب والرجال ، صاروا إلى مناصب في طول البلاد وعرضها ، وقاموا ، بما نشئوا عليه وعلموه ، بما عوّل عليهم معلومهم ومربوهم ، فأدوا عنهم ما كان موكولا إلى هؤلاء من الحديد الخطر تربية وفكرا وثقافة ؛ ونابوا عنهم في مهمتهم ، وبهذا تواروا عن الأنظار كغرباء ، يمكن أن يبعث ظهورهم عند الأمة على الاستيقاظ والانتباه ، وهذا من مكرهم وغفلة الأمة عما يدبر لها . وليس هذا كله من هؤلاء المكيدين بدعا ولكنه صورة متجددة الشكل متفحة المضمون . وهو شيء تشرحه الآية الكريمة وتدل عليه قوله تعالى :

(ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفارا حسدا من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق) « البقرة ١٠٩ » . وهذه الرغبة العارمة عند هؤلاء هي الدافع لهم إلى كل محاولة لصرف المجتمع المؤمن عن الجادة بكل وسيلة ودون توان ، ورغبة الإفساد سببها الحسد الذي ذكر في الآية ، وهذا الحسد إنما هو لخير ما أوحى به تعالى من كتابه العزيز إلى رسوله الكريم صلى الله عليه وسلم ، وهو ما تقدم ذكره في آية هي قوله عز وجل : (ما يودّ الذين كفروا من أهل الكتاب ولا المشركين أن ينزل عليكم من خير من ربكم) « البقرة ١٠٥ »

ولا يتحقق هؤلاء ما يرغبون فيه ويسعون إليه إلا بنشر الفساد بين الناس . ولا يتم لهم الفساد ، ولا يتأتى إلا بأسباب وأساليب ، ولا بد لهم من سعي وجهد . وأيسر

أسباب الفساد وأجدى أساليبه تزيين المعاصي والمباعدة بين الدين وأهله ، وتهوين أمر الكفر والعصيان ، وهو ما حرص عليه أهل الكتاب من بني إسرائيل بعد أن كفروا وطغوا فقال فيهم عزّ من قائل : « ويسعون في الأرض فسادا والله لا يحب المفسدين » (المائدة ٦٤) .

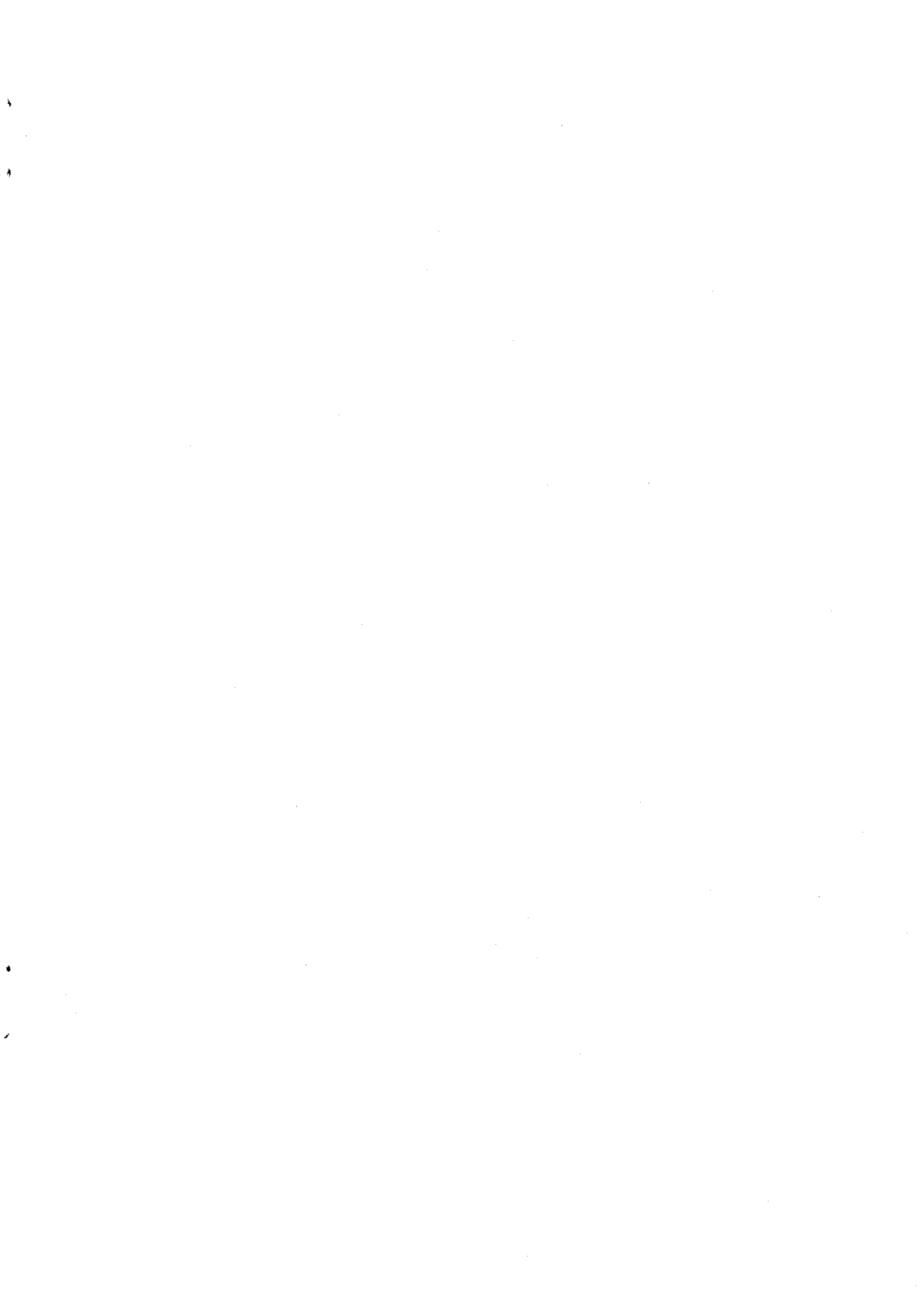
وكذلك إشاعة الفاحشة بين المؤمنين ، وهي إحدى الطوامم القواصم التي تحلق الدين ، وتوهي أواصر المجتمع ، وقد قال سبحانه فيها : (إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الدين آمنوا لهم عذاب أليم في الدنيا والآخرة والله يعلم وأنتم لا تعلمون) « النور ١٩ » .

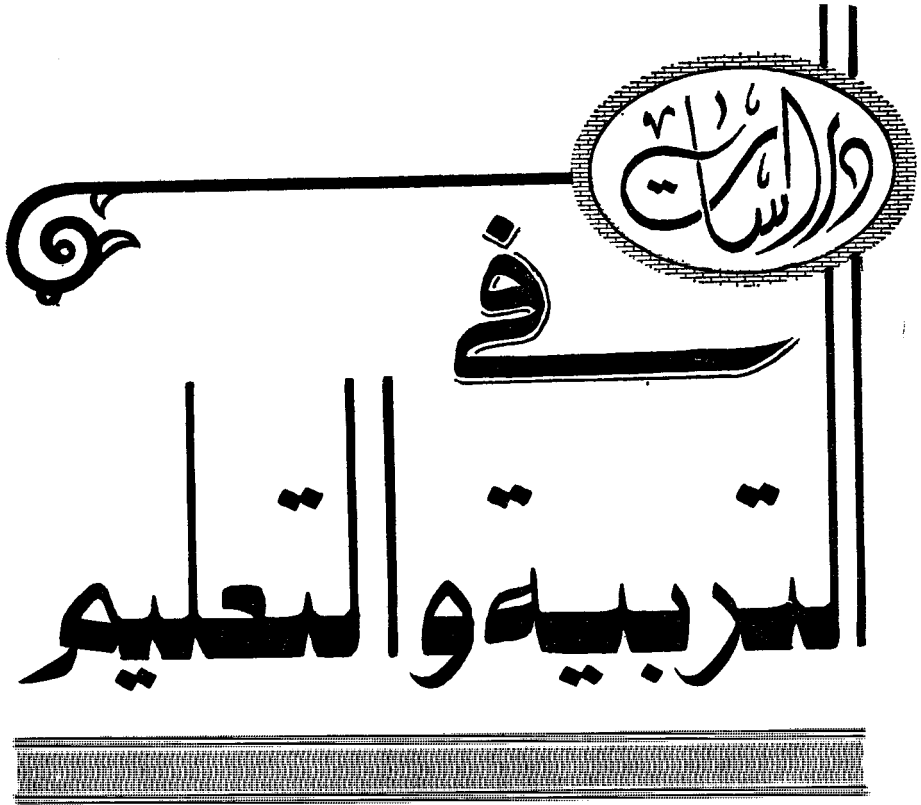
وتكفي الملاحظة الحافظة إلى ما يتصل بهذه الظاهرة من عناية مصممي الأزياء وثياب الجنسين وأشياءهما ، وما يتعاق بالرجل والمرأة جنسين متميزين وما ينشأ من تأثير أحدهما في الآخر لإغراء وإثارة ، فذلك يكفي في الكشف عن غرض هؤلاء الناس .

وهناك ظواهر كثيرة يجدر بأهل الغيرة من علماء وباحثين وكتاب أن يولوها عنايتهم في رصدتها والكشف عنها وتحليلها بما يقف جمهور الأمة على وجهها وينبه أولي الأمر كيما يوجهوا بما يناسب ويحول دون هؤلاء المتربصين وكيدهم .

وينبغي أن يقترن هذا بالتوجيه والتربية الكفيلين بحماية الفرد والجماعة من هذه الأشرار الخفية . ويتم هذا التوجيه وتلك التربية في كل بيئة من بيئات المجتمع : الأسرة والعمل والطريق والمدرسة ، وذلك أن هذه البيئات متكافلة متواشجة الصلة جدا .

اللاذقية الدكتور محي الدين رمضان

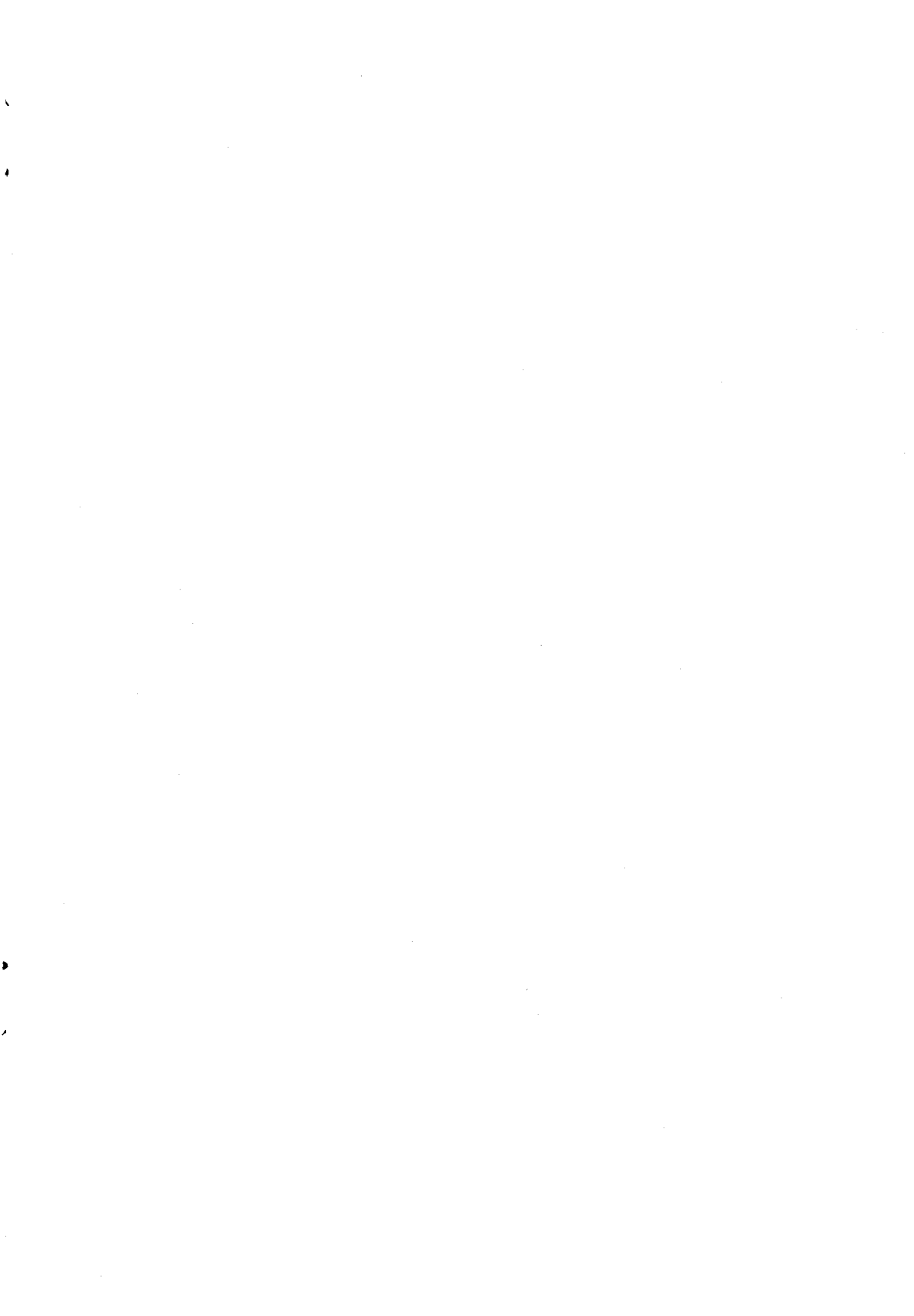




والله اعلم

ف

التربية والتعليم



عن التربية الإسلامية

لمحة

لفضيلة الدكتور محمد نخش - كلية الشريعة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على محمد النبي الأمين وأشهد
ألا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صلى الله
عليه وعلى آله وصحبه أجمعين ، أما بعد .

فالتربية الإسلامية هي الوسيلة للمساعدة في الدارين الأولى والآخرة بها تتكون
شخصية المسلم المؤمن بربه ، والمطيع لأوامره ، والمتجنب لنواهيه ، المتمسك
بدينه ، الذي يؤدي رسالته في الحياة بأمانة ويعمل للآخرة متبعاً الكتاب والسنة
محراباً كل بدعة ، مطيعاً لربه العالمين (وما آتاكم الرسول فخذوه ، وما نهاكم
عنه فانتهوا) (١) ومتمتدياً بسنة نبيه الكريم ، صلى الله عليه وسلم (لقد كان
لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر) . (٢)

على تربية الرجال والنساء ، والأولاد ،
مثلاً جاء في الأحاديث الثلاثة التالية ،
« أوقفوا أنفسكم وأهلكم بتقوى الله
وأدبواهم » (٥) و « أكرموا أولادكم
وأحسنوا أدبهم » (٦) .
« ومروا أبناءكم بالصلاة وهم أبناء
سبع سنين ، واضربوهم عليها وهم
أبناء عشر سنين ، وفرقوا بينهم في
المضايح » (٧) .

والتربية معناها التنمية للقوى العقلية
والخلقية والجسدية ، وكلمة الأدب
الواردة في قول الرسول صلى الله عليه
وسلم « أدبني ربي فأحسن تأديبي » (٣)
معناها أن الله سبحانه وتعالى هو الذي
ربى نبيه ليكون خير قدوة للبشرية ،
وقد منحه سبحانه هذه الشهادة الممتازة ،
« وانك لعلى خلق عظيم » (٤) .
وقد حرص النبي صلى الله عليه وسلم

١ - سورة الحشر الآية ٧

٢ - النهاية - غريب الحديث والادب لابن الاثير ج ١ ص ٣٠٠

٣ - سورة الملقم الآية ٤

٤ - روه ابن ماجه

٥ - روه ابو داود والحاكم واحمد فى مسنده

٦ - روه ابن ماجه

الأدب الحسن الذى يسيطر على النوازع
والرغبات .

وبه يتحقق هذه الأمنية الغالية « ربنا
هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين
واجعلنا للمتقين اماما » (٢)

والذى يعلم ولده فيحسن تعليمه ،
ويؤدبه فيحسن تأديبه فقد عمل أفي
ولده عملا حسنا « ومن يعمل من
الصالحات من ذكر أو أنثى أو هو
مؤمن فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون
شئرا » (٣) .

وهذا الواجب يتقاسمه الوالدان بصفتيهما
الأبوية ، ويشاركهما في هذا الواجب
أب روجى وهو المدرس ، فاذا شعر
بمسئولته تجاه الله والمجتمع ، عرف
أن التربية أمانة في عنقه ، وأن جزاءها
تضعيف الأجر « من ذا الذى يقرض
الله قرضا حسنا فيضاعفه له أضعافا
كثيرة » (٤)

فالآباء هم القدوة للأبناء ، اذ يقلدونهم
في سلوكهم الحسن منه أو الردى ،
فليكن الأب لابنه مصباح هداية ،
وليحذر أن يكون مفتاح غواية .

ان هذا تقسيم تدريجى محكم الحلقات
في أصول التربية الأبوية الاسلامية ،
وضعه خير البرية ، ليساير أرقى
النظريات التربوية الحديثة ، فمعظم
ما يقوم به الانسان مرجعه الى العادات
والعقوبات الوسيلة الناجحة لمعالجة
الانحرافات ، وكلما كانت في سن
مبكرة أثمرت ثمرة طيبة ، والتفرقة
بين الآباء والأبناء في المضاجع منذ
العاشرة ، يجعل لهم شخصية مستقلة .

ولنستمع الى قوله تعالى « واذا بلغ
الأطفال منكم الحلم فليستأذنوا كما
استأذن الذين من قبلهم » (١)

هذا الاستئذان رمز لكل الآداب
الأخرى ، صغيرة كانت أو كبيرة ،
فيه توجيه حسن للسلوك الفردى ،
وتهيئة للسلوك الجماعى اللازم في
مواجهة الحياة ، وهو أعظم هبة يهبها
الله ورسوله المؤمنين في تعليم تلك البراعم
الصغيرة ، وهو شرع يتوارثه الأخلاف
عن الأسلاف ، وتقليد فيه خير لكافة
الأجيال فيه يعرف الفرد ما له من
حقوق وما عليه من واجبات . وهو

٣ - سورة النساء الآية ١٢٤

٤ - سورة النساء الآية ١٢٤

١ - سورة النور الآية ٥٩

٢ - سورة الفرقان الآية ٤٤

فالله خلق الانسان وأنشأ له الارادة ،
فعلية الاختيار اما أن يفعل الخير فيصير
من الأبرار ، واما أن يفعل الشر فيصبح
من الأشرار ، والجزاء معروف فلهذا
الجنة ولذلك النار .

ولذا يحرص الآباء المسلمون على تعليم
أبنائهم تعاليم الدين ويبدؤون بحفظ القرآن
الكريم ، لتتحد البواعث الدينية في
نفوسهم مع البواعث الشخصية منذ
نعومة أظافرهم .

وهذه هي الوسيلة السليمة لتنشئتهم
النشأة القويمية التي تؤتي ثمارها الطيبة
باذن ربها .

التربية المدرسية :

والمدرسة من أكبر العوامل في تكوين
الشخصية ، خصوصا في المرحلة الأولى
حيث يتصل الطفل بغيره من الصبيان
ممن هم في مثل سنه أو ممن يكبرونه
أو يقلون عنه قليلا ، ويتصل أيضا
بالمدرس الذي يعده التلاميذ قدوتهم
ويقلدونه في سكناته وحركاته ،
فمحاكاة الحركات والأعمال أسبق
من محاكاة المعاني والآراء .

ففي المرحلة الأولى من حياة الصبي يقع

وللموعظة الحسنة أثرها بجانب السلوك
السوى ، وخير ما تلقته للأبناء وصايا
الرحمن على لسان لقمان لابنه ، فهي
تجمع بين الايمان والتوحيد ، والدعوة
الى الخلق القويم ، « واذ قال لقمان
لابنه وهو يعظه : يا بني لا تشرك بالله
ان الشرك لظلم عظيم . . يا بني أقم
الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر
واصبر على ما أصابك ان ذلك من
عزم الأمور ، ولا تصغر خدك للناس
ولا تمش في الأرض مرحا ان الله لا
يحب كل مختال فخور » (٢) .

ولرسول الله صلى الله عليه وسلم وصايا
عديدة ، من اقتدى بها حصل على
مزايا جليلة (٣) .

يقول الله صلوات الله وسلامه عليه
في وصية له : اضمنوا لى ستاً أضمن
لكم الجنة ، اصدقوا اذا حدثتم ،
وأدوا الأمانات اذا أئتمنتم وأوفوا
بالعهد اذا وعدتم ، غضوا أبصاركم ،
واحفظوا فروجكم وكفوا أيديكم (٤)

ان هذه الوصية الجليلة من جوامع
الكلم ، تجمع آداب السلوك الاجتماعية
اللازمة لسعادة البشرية .

٣ - سورة لقمان الاية ١٣ : ١٨

٢ - سورة البقرة الاية ٢٤٥

٤ - من وصايا الرسول لطفه عفيفي (عشرة أجزاء)
٥ - أخرجه أحمد في مسندهما وابن حبان في صحيحه

سلوكه في دائرة تأثير المعلم ، وتأثير الصبيان الذين يختلط بهم ، وتأثير آباءه في المنزل ، فان صلحت هذه الدائرة نما الطفل وترعرع بين الفضيلة وان فسدت انغمس الصبي في متهاتات الرذيلة ولهذا يجب الحرص على أن يتنفس أبناءنا فلذات أكبادنا في جو اسلامي صحي .

فمن الخير للانسان المبادرة بتكوين العادات الفاضلة في الأبناء حتى تتأصل فيهم ، وتنزل منزلة الطبع ، لأن الاقلاع عن العادات المرذولة اذا تمكنت يكون شاقا عسيرا .

من هذه الصفات الخلقية التي يجب أن يتحلى بها الصبيان الطاعة لله ورسوله أولا وقبل كل شيء ثم لأولي الأمر . وفي القرآن آيات كثيرة تحث على الطاعة بل تأمر بها . فقد أمر الله المرأة أن تطيع زوجها ، والابن أن يطيع أباه ، والمعلم يحل محل الوالد ، ومنزلته هي نفس منزلته ، ولذلك تجب طاعة الصبيان له .

ومن الصفات الخلقية التي يجب أن يتعودها الصبيان النظام لأن الفوضى مفسدة للمجتمع ، ومضیعة للتعاون الضروري للحياة الانسانية .

ويجب أن يكون للاشراف الاجتماعي والرياضي دوره الفعال في الاستعلاء بالغريزة الجنسية عندهم ، وقد حذر القابسي الفقيه السني من خطورة الاختلاط بين الطلبة بقوله :

« وانه لينبغي للمعلم أن يجرس بعضهم من بعض ، اذا كان فيهم من يخشي فساده ، يناهز الاحتلام ، أو يكون له جرأة » .

وهو أسلوب وجيز العبارة ، لطيف الاشارة ، يدل على عفة في نفس المؤلف ، تحمله على الابتعاد عن الاطالة في مواطن الفحشاء والمنكر . (١)

والاعلاء بالغريزة الجنسية والتسامي بها يأتي من استغراق الجهد واستنفاد الطاقة وتحويلها الى عمل نافع للفرد والمجتمع وليكن قولُ الله رائدنا « فاذا فرغت فانصب والى ربك فارغب » . (٢)

فالعبادة وبخاصة الصوم وقاية للمؤمن ، فهي تملأ قلبه بالطمأنينة ، وتذهب عنه وساوس الشيطان اذ يتقن أن ما يفعله هو استجابة لأمر الرحمن حين يقول : « وليستعفف الذين لا يجدون نكاحا حتى يغنيهم الله من فضله » (٣) .

١ - الدكتور احمد فؤاد الامواني : التعليم في راي القابسي ص ١١٨

٢ - سورة النور الآية ٣٣ .

٣ - سورة الانشراح الآية ٧ ، ٨

وبهذا الأسلوب تنتصر الإرادة علي الهوى ، والانسانية على الحيوانية ، وان لنا في قصة يوسف لعبرة .

تربية الدعاة :

ولتخريج الدعاة الي الله يستلزم الأمر تهيئة بيئة اسلامية سليمة يعيش العاملون فيها و نفوسهم مفهمة بحب الرحمن ، الذي خلق الانسان علمه البيان ، وقلوبهم مؤمنة بخلود رسالة الاسلام وصلاحيتها لكل زمان ومكان .

يجب أن تكون عقيدة المعلم والمتعلم مبنية على التوحيد لله رب العالمين وفهم القرآن فهما دقيقا . فعلى الانسان أن يعيش مع آياته الكريمة ، حتي يكون خلقه القرآن . فهو الكتاب الوحيد الذي يرافقه في رحلته طيلة حياته ، يحل به كل مشكلة ، وينتصر به على كل معارضة ، ويفوز به في الدنيا والآخرة ، انه مفتاح السعادة ، وباب الرحمة .

ويجب أن تدرّس السنة المحمّدية ، فيها ينتظم المجتمع على أسس قويمه ، فهي تركية للنفوس الانسانية ، وهي هادية لفهم الآيات السماوية ، انها الوحي الثاني من رب البرية .

وأن يهتم الدارسون بالكشف عن جوانب العظمة في حياة الرسول صلي الله عليه وسلم ، وصلاحية هذه الشخصية الكريمة لتكون قدوة لجميع الأجيال ، وأسوة حسنة لجميع طبقاتها وافرادها ، انها الشخصية التي لا تسعد البشرية ، ولا تنزن الحياة ولا يقوم المجتمع الصالح الا بالافتداء بها واتخاذها اماما ورائدا(١) ويتفرع من هذين الأصلين ، الثابتين كتاب الله وسنة رسوله علوم الدنيا والدين ، فلننظر مثلا في فرع كالشريعة الاسلامية ولنطبق ما فيها من حكمة بالغة ، ومقاصد نبيلة ، مع مراعاة تطور العصر الحديث ، وما جدّ فيه من نظريات وأفكار شملت الحياة بأسرها ، وتناولت العلوم كلها .

ولنأخذ بعين الاعتبار أن تكون علوم اللغة العربية أدوات لمعرفة ما في هذين المصدرين من كنوز وضعها الله لعباده رحمة بهم وجعلها خيرا وشفاء لما في صدورهم .

وكما نعلم أن كتاب الله لم يغادر صغيرة ولا كبيرة الا أحصاها فعلم البشر النظرية أو العقلية ضئيلة ، وهي مستمدة من علم الله الذي لا حدود له

ولا يمكن الاحاطة به ، فلنتخذ القرآن
سراجنا الى السعادة .

فالله يرشد عباده في كثير من آياته الى
الحيلة الاجتماعية الفاضلة فيحثهم على
الزواج وينفهم من الزنا ، وينظم
الحياة الأسرية على المحبة والمودة المتبادلة
والأواصر المتينة المبنية على أسس سليمة

ولا قيمة للعبادات اذا لم تكن لصالح
الجماعات المحتاجة الى الاعانات كما
في قوله تعالى : « فويل للمصلين الذين
هم عن صلاتهم ساهون الذين هم
يراءون ويمنعون الماعون » (١) .

ولما كان المال عصب الحياة ، فقد
ورد في القرآن الكريم الحث على الانفاق
في صور شتى ، كالصدقة ، والزكاة
وعتق العبد واطعام المسكين ، والعناية
باليتم .

وقرن سبحانه وتعالى الاحسان بالوالدين
بعبادته الحقمة ، فقال : « وقضى ربك
ألا تعبدوا إلا آياه وبالوالدين احسانا . » ٣
والله يعلم أعمالنا كبرت أم صغرت
« وما يغزب عن ربك من مثقال ذرة
في الأرض ولا في السماء ولا أصغر

من ذلك ولا أكبر الا في كتاب
مبين » (٤) ، وهو معكم أينما كنتم
والله بما تعملون بصير » (٤) بل أكثر
من ذلك « ولقد خلقنا الانسان ونعلم
ما توسوس به نفسه » (٥) .

والهدف من وراء ذلك ، هو ألا
يعمل الانسان الا الخير ، ولا يفكر
الا في الخير « واعلموا أن الله يعلم
ما في أنفسكم فاحذروه » (٦) .

أن يعلم كل فرد أن الله رقيب عليه ،
وأنة أقرب اليه من حبل الوريد ،
وأنة يحاسبه بالعدل الذي هو أساس
ملكه ، سبحانه وتعالى لا يظلم أحدا «
فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن
يعمل مثقال ذرة شرا يره » (٧) .

يا أخى أعبد الله كأنك تراه ، فان لم
تكن تراه فانه يراك ، فالإيمان بالله وحده ،
والتزام عبادته ، والاعتصام به سبحانه ،
هي الوسائل الفعالة في التربية المؤدية
الى حياة الضمير وبقظته . والعبادة
العملية هي الطريق الصحيحة الى تثبيت
ذلك وتدعيمه .

٢ - سورة الاسراء الاية ٢٣

٤ - سورة الحديد الاية ٤

٦ - سورة البقرة الاية ٢٣٥

١ - سورة الماعون الاية ٧

٣ - سورة يونس الاية ٦١

٥ - سورة ق الاية ١٦

٧ - سورة التزلزل الاية ٧ ، ٨

مبادئ الإسلام والمسلمين . لعلمه سبحانه بالطبيعة الانسانية التي فيها التفكير والتدبير ، وفيها المحبة والكراهية وسلوك الفرد يتحرك بدافع من الرأى والنظر ، ويتحرك بقوة الخوف والغضب وقد وصف الله الجنة في محكم آياته ، ليكون الناس علي بصر بما يلقون من ثواب هو النعيم الذي اليه يشاقون .

وفي نفس الوقت صور الجحيم ، وما فيها من عذاب أليم ، ليكون المجرمون على علم بما ينتظرهم يوم الدين .

وهكذا يرسم الدين الاسلامى للناس قواعد التربوية السليمة التي ينبغي أن يسيروا عليها ، ولن يضل الناس طالما تنسكوا بالقرآن والسنة علي الرغم مما يسود العالم من فساد رأى يدعى بالحرية ووقاحة فكر تنعت بالجرأة ، وفلسفة مادية ملحدة تحاول تفسير كل شيء علي هواها ، انها مضللة مفسدة .

ان الدين الاسلامي ينظم أفعال المرء مع نفسه ، وأفعال المرء مع غيره ، فالله سبحانه ينصح الانسان بالاقتصاد في المال ، كما يقتصد في تناول الطعام

« فالصلاة وهي الركن الركين في الاسلام ، عبادة الغرض منها معرفة الله ، وذكره في كل وقت ، ودوام الذكر هو السبيل الي يقظة الضمير ، لهذا السبب نص الفقهاء على وجوب انصراف المرء في الصلاة الي ذكر الله ، مع عدم الانشغال بأى أمر من أمور الدنيا ، والصلاة المفروضة على المسلمين يؤدونها في خمسة أوقات متفرقة من كل يوم لدوام الذكر (١) ، » (وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين » (٢) .

ولا تصح الصلاة بغير وضوء ، لأنه شرط للصلاة والوضوء غسل وطهارة ونظافة ، والنظافة من الفضائل الشخصية للعظيمة الأثر في الصحة ، كما تنتقل فائدتها الي النفس فتطهرها ، ذلك أن الشعور بالنظافة الظاهرة يهيب الانسان الي النظر في المعاني بنفس الأسلوب فيعف اللسان ويظهر الفكر .

فالانسان مطالب بطهارة الجسم ، كما هو مطالب بطهارة القلب والنفس ، لذلك ينبغي أن يكون صادقا عقيفا ، أميناً ، حافظاً للعهد . (٣) .
وأسلوب القرآن حكيم في الترغيب في الدين ، والترهيب من الخروج على

١ - الدكتور احمد فؤاد الاهواني : التعليم في راي القابسي ص ١٠٢

٢ - سورة الذاريات الاية ٥٥

٣ - الدكتور احمد فؤاد الاهواني التعليم في راي القابسي ص ١١٥

والشراب لصلاح حاله وصلاح جسده
فيقول : « ولا تجعل يدك مغلولة الي
عنقك ، ولا تبسطها كل البسط » (١)
ويقول « وكلوا واشربوا ولا تسرفوا »
(٢) هذه فضيلة الوسط بين الافراط
والتفريط ، التي تتلائم مع الحياة الواقعية .

ويرى جولد زهر : « أنه اذا أردنا
الانصاف ، ينبغي أن نؤمن أن في مذهب
الاسلام قوة صالحة توجه الانسان نحو
الخير ، وأن الحياة المتفقة مع التعاليم
الاسلامية حياة أخلاقية لا غبار عليها
ذلك أنها تتطلب الرحمة نحو جميع
مخلوقات الله ، والوفاء بالعهود ، والمحبة
والاخلاص وكيف غرائز الأنانية » (٣)
فالاسلام شريعة سمحة تدعو الانسان
الى الخير والرحمة ، وتحثه على الاخلاص
والمحبة ، وتقضى على الانانية التي
هي آفة البشرية .

وإذا كان أصحاب الكهف مثلا
للشباب المستبصر الذي لم تطمس ظلمات
الكفر في بيئته شعاع فطرته ، ولم تشب
أوضاع الضلال صفاء استقامته ، فان
المجتمع الاسلامي لا يترك شبابه لهذه
المعاناة ، ولا يعرضهم لهول هذه المحن ،

فهو مجتمع يقوم على الايمان بالله وتحقيق
شريعته ، ومن هنا فهو حريص على أن
يحمي ناشئته من الفتنة ، ويقىهم سبل
الضلال والغواية ، فلا يكل توجيههم
الى قلوب مريضة ، ولا يترك زمامهم
بأيدي ملوثة ، بل يوفر لكل ناشئ في
جوا صالحا تزكو فيه الفطرة وتفتح
أزهارها .

فأمة الضلال حين يتولون التوجيه
والتنشئة يصغون الأجيال بصيغتهم ،
ويوجهون بها الي طريقهم ، فيضل
المجتمع ويشقى (١) وهذا مصداق
لقوله صلى الله عليه وسلم : « كل
مواد يولد علي الفطرة فأبواه يهودانه
أو ينصرانه أو يمجسانه » (٢) .

فاذا شب الفتيان على العقيدة السليمة ،
ورسخت في نفوسهم العادات الحميدة
استحقوا أن يوصفوا بما وصف به
أهل الكهف من قبلهم « أنهم فتية
آمنوا بربهم وزدناهم هدى » (٣) .

ان أهل الكهف قد راعهم ما تردى
فيه قومهم من الشرك بالله فاعتزلوا
بهتأهم ، ونجوا بأنفسهم حتي لا يصيبهم

٢ - سورة الاعراف الاية ٣١

١ - سورة الاسراء الاية ٢٩

٣ - د . احمد فؤاد الاهواني : التعليم في رأى القابسي ص ٩٦

١ - الدكتور مصطفى عبدالواحد : المجتمع الاسلامي ص ١٦٧ .

٣ - سورة الكهف الاية ١٣

٢ - اخرج الطبراني والبيهقي

والشباب المؤمن يملك القوة ، ولتحمل
المسئولية ، مستجيبا لأمر ربه ، ناشرا
رحمته وعدله .

وأملنا أن يحقق هذا الشباب رسالة
السماء ، ويكسب العالم الأمن والصفاء .
ويعيش الناس في سعادة وهناء في ظل
شريعة الاسلام السمحاء .

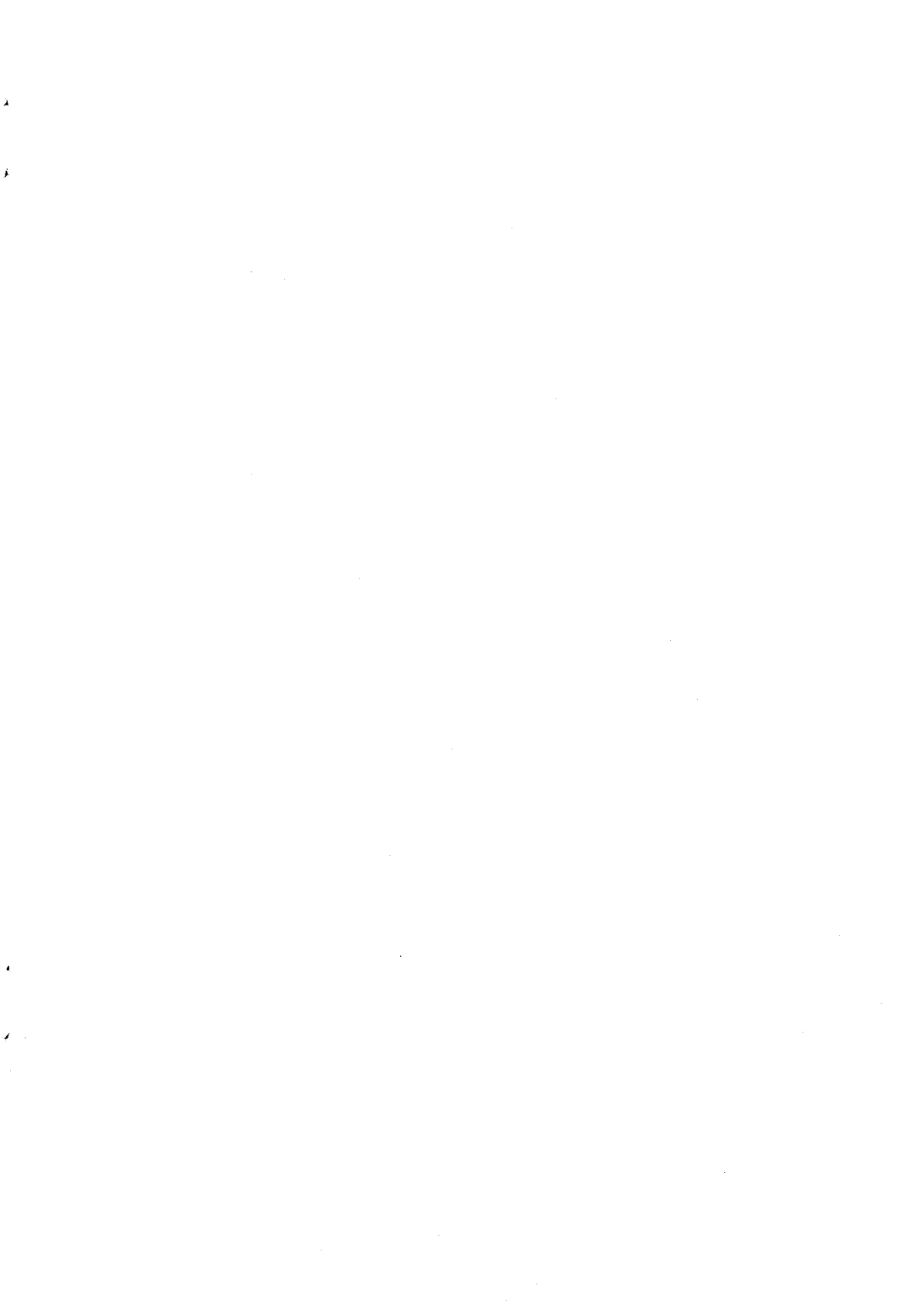
وأخيرا فهذه كلمة كتبتها موجزة ،
ولكن التربية الاسلامية تحتاج الي دراسة
مستفيضة ، أرجو الله تعالى أن يوفقني
الي القيام بها ، فالعالم في حاجة ملحّة
اليها ، وستكون ان شاء الله الهادية
له من الضلال والظلام والمنقذة له من
الغرق والآلام .

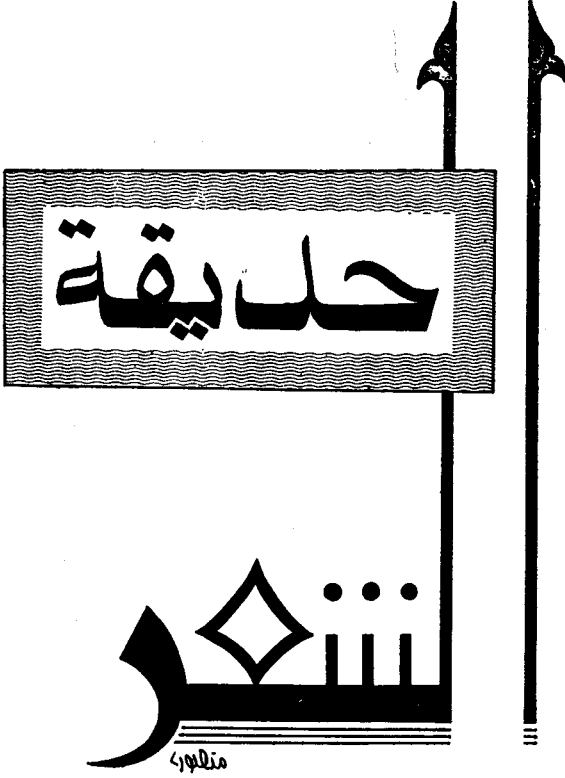
ذلك البلاء ، ولا تتسرب اليهم تلك
الأدواء .

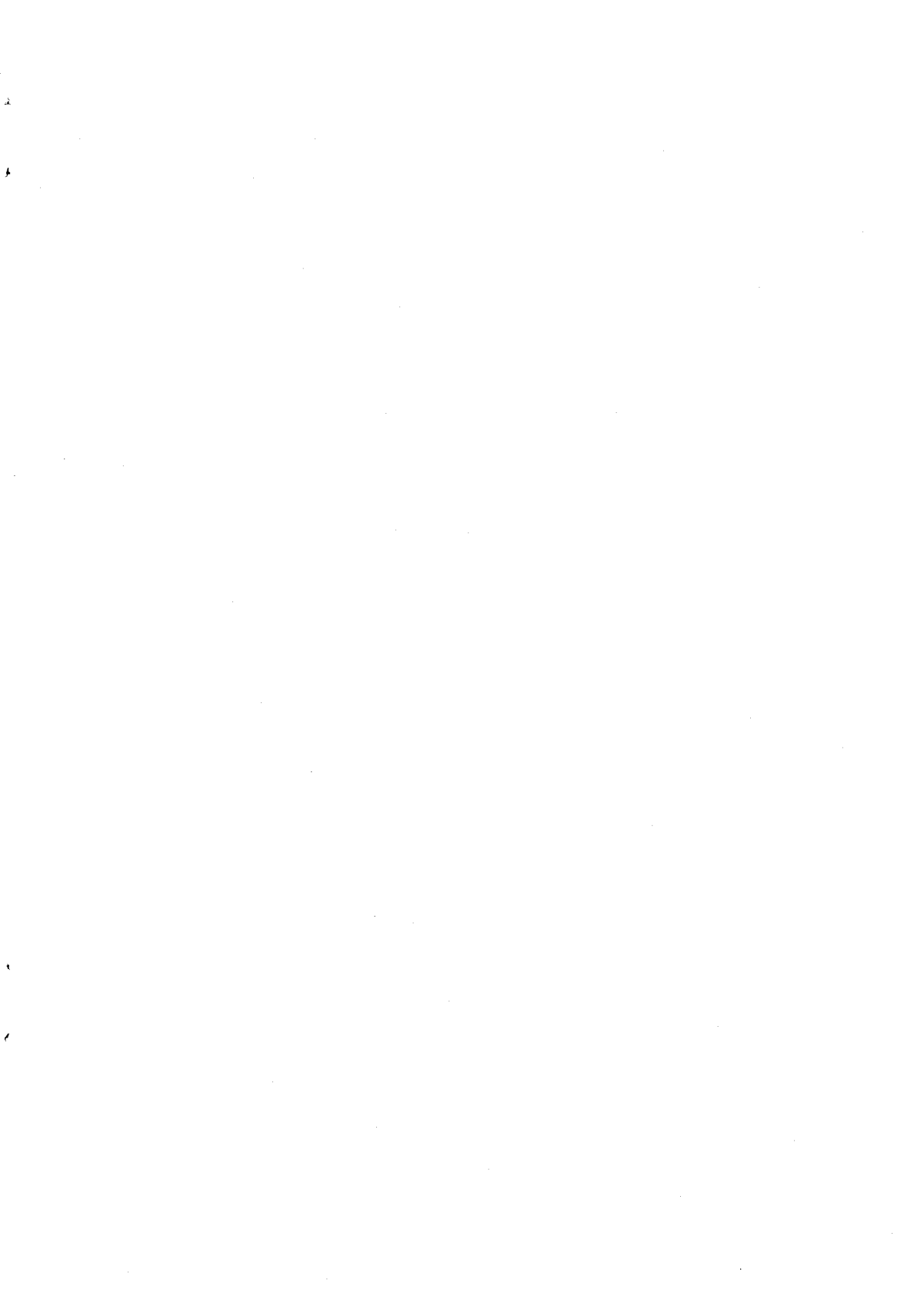
انهم لجأوا الي الكهف ينشدون من
الله الرحمة وأن يثبت قلوبهم على الايمان
به ، ويهديهم بنور الحقيقة ، ويفتح
لهم أبواب المعرفة ، ليبنوا بسواعدهم
الفتية ، وعزائمهم القوية مجتمعا جديدا
خالصا من أدران الوثنية ، والشرك
برب البرية .

والدعاة من الشباب المسلم يصنعون باذن
الله الخير للناس كلهم ، فينقذون العالم
من الظلام الذي يعميهم ، ومن المفاسد
التي سرت بينهم الي حد بعيد حتى أصبح
الناس منها في كرب عظيم .









قال لي صاحبي ..

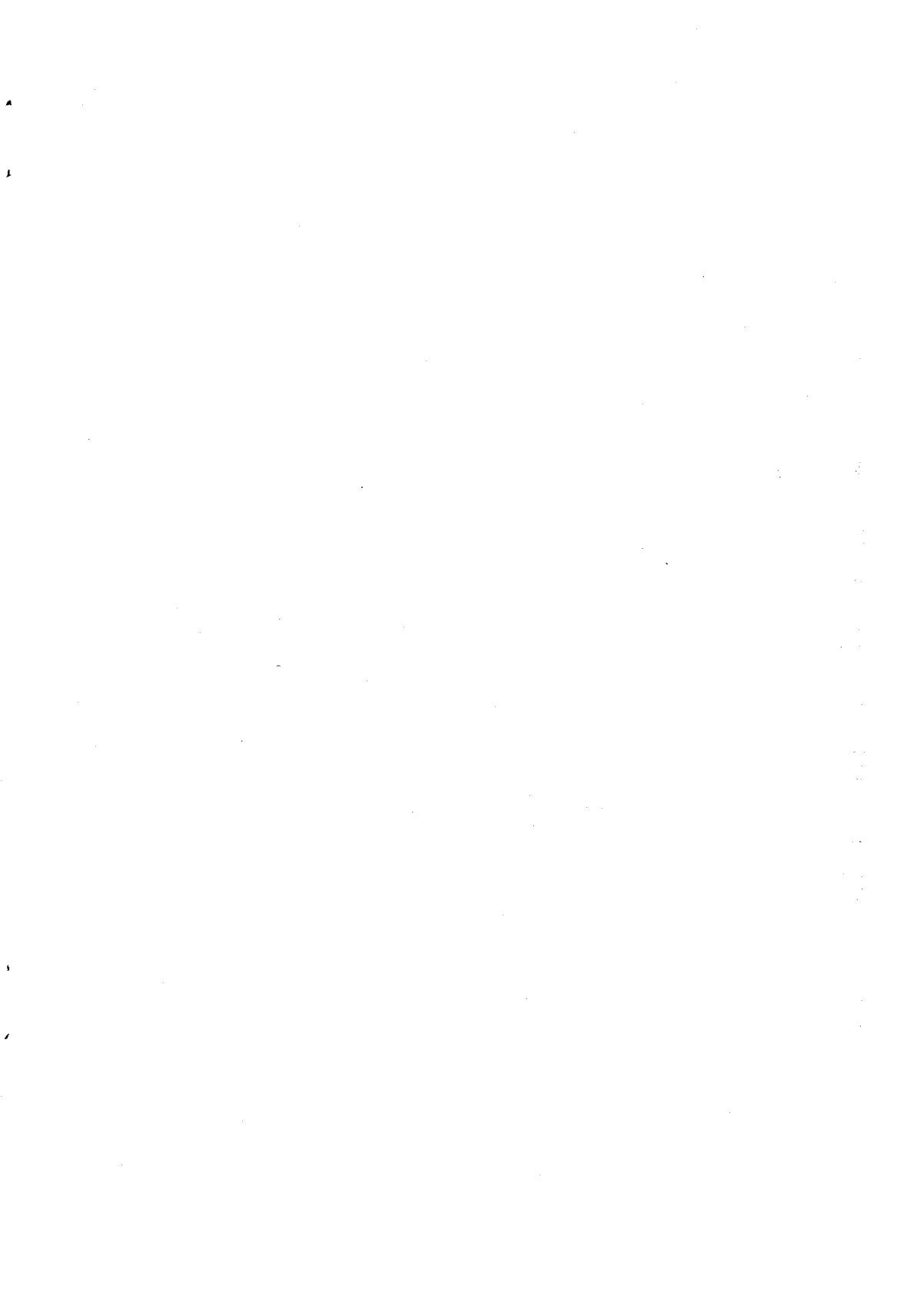
لفضيلة الشيخ معوض عوض إبراهيم
كلية الشريعة وأصول الدين

قال لي صاحبي ، وإني لَرَادٍ
أترى القوم يمدون مقالِي
أم تراهم كما أراهم أسارى
قلت حَدِيثٍ فما أظنك إلا
قال : إن الكثير قد صرفتهم
واستباهم فكرٌ جديد دَخِيلٌ
وهو لو فكروا سرابٌ وزيف
وَيَحَ من يترك الآتي . ويرضى
والآتي ماذا تكون من القرآ

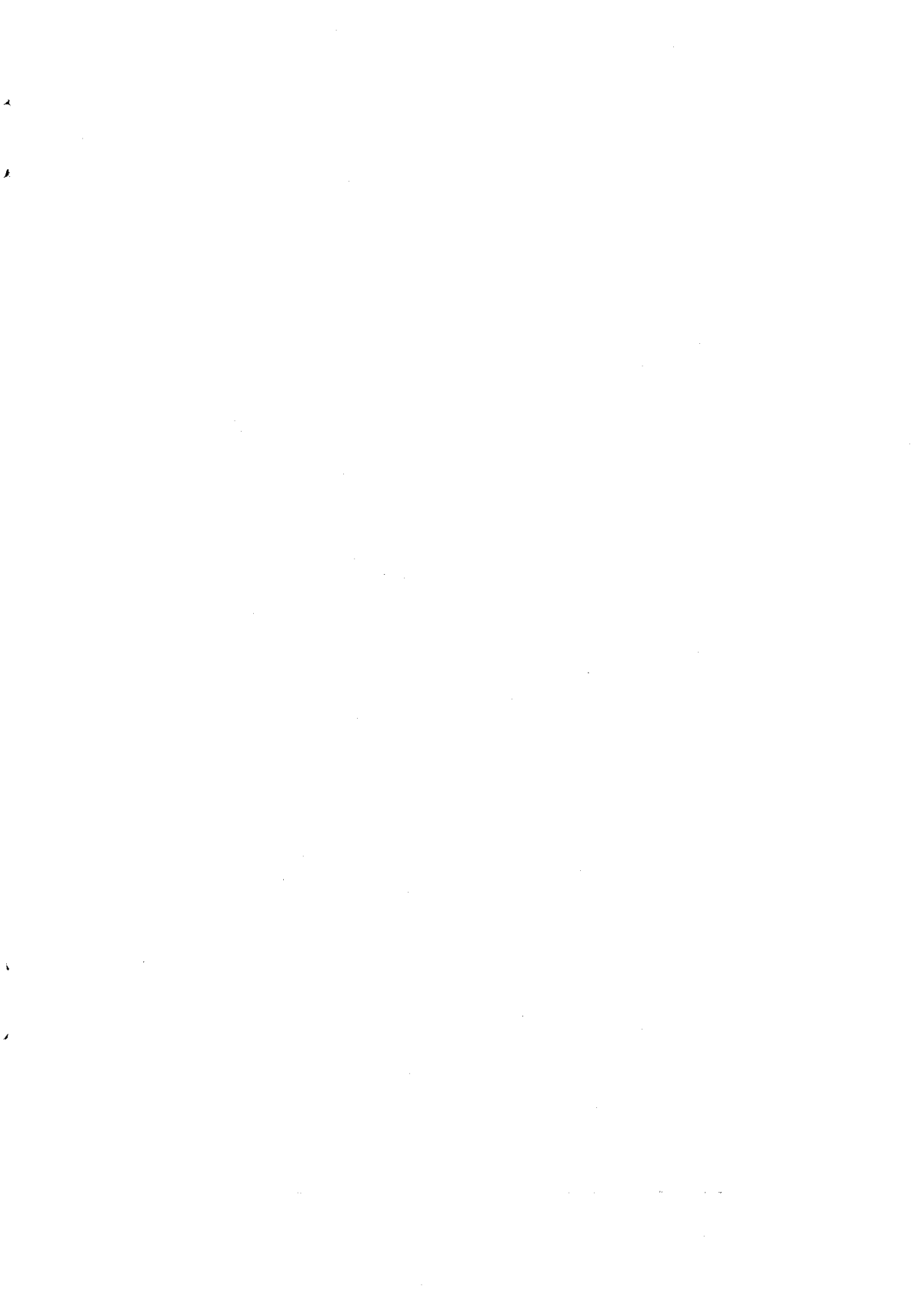
لك ما قصتة من الأبناء
ويجيبون في ارتياح دعائي
شهوآت ، لا يسمعون ندائي
نا صحا للعِدا وللأصدقاء
فِتَنُ العيش عن حياة النقاء
حَسْبُهُ أنه من الأعداء
ليس يزكو في نور وحى السماء
دونها بالحجارة الصمَّاء
ن أو هَدْيِي سيُد الأنبياء ؟ !

قلت هذا مصابنا في أناس
لست ألقى الرجال منهم رجالا
فادعهم جاهدا ، فأني سَادَعُو
علنا أن نكون لله جُنُوداً
ويقيم الحياة في كنف الإسلام

أمعنوا في الجهالة الجهلاء
كالأوالى ، ولا النَّسَا كالنساء
كى يعودوا من عالم الأهواء
يقتدى الدين في دواعى الفداء
م نهج السلام والعلباء



المكتبة الإسلامية



نشر الدكتور عبد الحليم محمود شيخ الجامع الأزهر أخيرا كتابا تحت عنوان « الحمد لله هذه حياتي سجل فيه جزء ١ من الأحداث التي مرت به منذ ولادته إلى حصوله على درجة الدكتوراه وذكر في نهاية الكتاب أن جزءا ثانيا من الكتاب سيصدر في المستقبل وقد تلوه أجزاء أخرى على حسب الأحداث التي مرت بحياته فضيلته التي تجاوزت ثلثي قرن من الزمان .

وأحب أن أقول إن قيام شخص بكتابة تاريخ حياته عمل لا يمكن أن يتم بصراحة وحيدة وتنزه عن المبالغة ، لأن الإنسان مهما تجرى الدقة والأمانة لا يمكن أن يتخلى عن عواطفه وبخاصة نحو نفسه ، فالإنسان يحب نفسه جدا مفرطا يجعله لا يرى عيوبه ويدفعه إلى مداراة هذه العيوب إذا استطاع إلى ذلك سبيلا ، والإفراط في ذكر المحاسن والمزايا ، فلا يعقل أن ينقد إنسان نفسه أو يذكر عيوبه ونواقصه ، ولذلك لم نر كتابا يتحدث عن نفسه وذكر عيبا خطيرا فيه أو منقصة تخل بالشرف أو تقوض دعائم الخلق القويم ، وكثيرا ما تنشر المذكرات الخاصة بشخص بعد وفاته فإذا هي تناقض ما كتبه في كتاب نشره على الناس في حياته ، وهذه هي طبيعة الإنسان في كل عصر وأوان ، لا يرى عيوب نفسه ، وإذا رأى بعضها لا يذكر عيبه أمام الناس حتى ولو ذكره في مذكراته الخاصة التي يعلم أنها لن تنشر في أثناء حياته ، فإن نشر شيئا من مذكراته في أثناء حياته حذف منه ما سجله من عيوب نفسه .

وهذا ما نلاحظه في كتاب الدكتور عبد الحليم محمود « الحمد لله هذه حياتي » فهو في هذا الكتاب الذي يعد من قبيل الكتابة الذاتية لا يذكر شيئا يعيبه ، لا في خلقته ولا في خلقه وسلوكه ، ولا في حياته في داخل مصر وخارجها ، وحتى

الأحداث التي ذكرها ، وبدا فيها عيب لم ينتبه الشيخ إليه حين ذكره ، وظن أن في ذكره نوعا من الظرف أو التظرف وشيئا من الدعاية التي يمتع بها القارئ ويسرى بها عن الفارق في الاطلاع على تاريخ حياة الشيخ وما جرى فيه من أحداث كلها طيبة في رأيه بدرجة جعلته يحمد الله على حدوثها في الصورة التي حدثت بها .

وفي رأبي أن شيخ الجامع الأزهر كان ينبغي عليه أن يعف عن مثل هذه الكتابات الذاتية التي لا تحمل غير معنى الدعاية لنفسه ، والتباهي بماضيه وحاضره ، وأن يستعمل قلمه ومواهبه في الدعوة إلى دين الله ، وفي إرشاد الحيارى الضالين من أبناء المسلمين ، وفي محاربة الفساد والانحراف ، وفي إخراص صوت الشيوخ ، وفي دعوة الناس إلى عبادة الله إله واحد لا شريك له ، وترك عبادة غير الله .

ولكن شيخ الجامع الأزهر آثر أن يدعو لنفسه ، ويعرف بشخصيته ويظهر نفسه في صورة لم يكن يتمنى لنفسه أفضل منها ، ويتحدث عن فرنسا حديثا يشبه ما كتبه طه حسين في كتابه الأيام وما كتبه كل مبهور بالغرب ، مشيد بما فيه من حضارة مادية زائفة ممسك عن الحديث عن الإلحاد والفساد الخلقى ومحاربة للإسلام والحضارة الإسلامية وتلفيق الأباطيل والإلقاء بها في ساحة الشريعة الإسلامية الغراء - برغم أن شيخ الجامع الأزهر كتب ما كتب ونشره على الناس في كتابه « الحمد لله هذه حياتي » وهو في موقع المسئولية مسئولية حمل أمانة الدعوة إلى دين الله ، ورد كيد أعدائه وبيان حقيقة الإسلام ، وحاجة البشرية إلى دين الحق .

وسأعرض نماذج مما جاء في كتاب شيخ الجامع الأزهر أرجو أن تكون كافية لبيان ما فيه وبالله التوفيق .

يقول الشيخ في كتابه المذكور ص ٣٩ « وكان يوما مشهودا ذلك اليوم الذي ختمت فيه القرآن الكريم . لقد كان والدي في فرح غامر وكان البيت كله في بهجة وسرور شاملين ، وكانت حفلة حافلة بأطياب اللحم والزبد ختمت بالذكر شكرا لله تعالى » .

ويقول في ص ١١٣ حين ذهب لأداء امتحان العالمية : « أما والدى فإنه قد أسرع إلى ضريح العارف بالله الإمام أحمد الدرديري واعتكف بمنزله بمسجده - يقرأ من القرآن ما تيسر وبخاصة سورة يس ويتضرع إلى الله أن يوفقني ويكتب لي النجاح » .

فهو في أكثر من مناسبة يبين تعلقه بالفرق الصوفية وبالأضرحة وهو يعلم علم اليقين أن الفرق الصوفية روجت كثيرا من البدع والخرافات ونشرت التواكل بين كثير من المسلمين وصرفتهم عن العمل الجاد الذي دعا إليه الدين ، كما يعلم الشيخ أن الرسول صلى الله عليه وسلم نهى عن اتخاذ القبور مساجد وبناء المساجد عليها .

والعجيب أن الشيخ يقرر بعد هذا أنه هو الذي صمم على السفر إلى فرنسا برغم معارضة والده في هذا الأمر ، فهو يقول في ص ١١٣ - ١١٤ من الكتاب : « كان والدى - عليه رحمة الله - يحب أن يراني مدرسا بالأزهر ، لقد كان ذلك يسعده كل السعادة ولكنه فوجيء برغبتي الملحة في السفر إلى فرنسا لإتمام دراستي في جامعاتها ، إنه لم يكن يتوقع ذلك ، ولا يدور شيء منه في خلدته ، وأخذ يثني عن عزمي بشئ الوسائل ولكن محاولاته لم تفلح ، وأعلنت في عزم مصمم التمسك برأيي في السفر ، ولو لم يكن بيدي شيء من المال وأخيرا رضى والدى بعد لأي »

ثم يصف الشيخ نزوله إلى مارسيليا بفرنسا فيقول في ص ١١٧ - ١١٩ « ويبدو أن الوقت الذي نزلنا فيه كان وقت إنصراف العمال للغداء ، لقد رأيت السرعة في كل اتجاه ، ونشاط الحركة في كل ناحية ، ورأيت النساء والفتيات وكأنهن يقفزن في سيرة من السرعة ، كما كن يتحدثن في سرعة أيضا ، وهن فرحات مستبشرات سعيدات يضحكن في سرور وبشاشة ولست أدري لماذا - وارتدت على ذهني صور من الشعر العربي تصور الجمال في النساء العربيات . وثب إلى ذاكرتي قول ذلك الشاعر الذي يعبر عن المثل الأعلى في جمال المرأة بقوله :

« مشى القطة ونطقها إيماء ؟ »

إن المرأة - هنا - لا تمشي مشى القطة وليس نطقها - كما يقول الشاعر - إيماء
فأين إذن نؤوم الضحى «

ثم يقول الشيخ : « ورأيت في مارسيليا أمرا آخر — نحن أشد ما نكون حاجة إلى الانتباه له ، وإلى الالتزام به ، لأنه من شعب الإيمان — ذلك هو النظافة ، نظافة الشوارع ، ونظافة المحال ، ونظافة الناس جميعا ذكورا وإناثا ، صغارا وكبارا ، وتجتمع النظافة مع التنسيق والتناسق ، فيبدو الجو كله فتنة للناظرين » .

هذا ما كتبه شيخ الجامع الأزهر بالحرف الواحد ، وهو غنى عن التعليق ، فتمجيده للغرب واضح وكأن الأمر نظافة ظاهرية شكلية أما نظافة الباطن ، وطهارة العقيدة ، وعدم الإضرار بالشعوب الإسلامية ، والإساءة إلى الإسلام من جانب الغرب فكل هذه أمور لا تهم الشيخ ولا تلفت نظره في البداية ، وإنما الذي لفت نظره فور وصوله الجمال والنظافة الظاهرية .

ومن عجب أن الشيخ بعد حديثه بإعجاب عن هذه النظافة الظاهرية يقول : « ولكن الأمر الهام الذي أحب أن يتنبه إليه الجميع ويفكروا فيه هو أننا — وكنا مجموعة قضى بعضنا سنوات في فرنسا من قبل — بمجرد أن نزلنا إلى مارسيليا ، وأخذنا نطوف هنا وهناك ننظر إلى واجهات المحال التجارية ، وإذا ببعضنا يصل وبسرعة إلى إقامة علاقات ببعض الفتيات » .

ثم يقول في ص ١٢٠ « إن الطالب ينزلق إلى الشراب وإلى الصلة الآثمة في مجال الجنس وإلى التحلى عن كل الفروض الدينية والأخضر من ذلك سفر الفتيات إلى فرنسا » إلى أن يقول « ولا ريب أن الفتاة ستقاوم لأول مرة رعاية بدينها وخلقتها وشرفها ولكن الجو الذي تعيش فيه سيدفعها حتما إلى الصلة الجنسية » ثم يقول : « إنني هنا لا أتحدث بالمنطق ، وإنما أتحدث عن واقع محسوس ، وما دام الأمر كذلك فإن كل نقاش فيه سيتهافت أمام الواقع » .

وكلام الشيخ ليس في حاجة إلى شرح وتفسير كما أنه ليس في حاجة إلى تعليق ، فكيف يطلب علما في مثل هذه البيئة الفاجرة ، وبخاصة إذا كان العلم الذي يطلبه دينياً ؟ ! . . .

وقد تحدث الشيخ عن دراسته في هذه البيئة الفاجرة المملحة ، فقال إنه بعد حصوله على الليسانس فكر في رسالة الدكتوراه ، وأراد اختيار موضوع يتصل بفن الجمال غير أن الموضوع رفض ففكر في موضوع يتصل بمناهج البحث ولكنه رفض أيضا ، واخيرا اتصل بالأستاذ مسينون واتفق على أن يكتب عن التصوف الاسلامي من خلال دراسة الحارث بن أسد المحاسبي .

يقول الشيخ في ص ١٧١ من كتابه المذكور : « ونعمت في اللحظات الأولى من وصولي بهذا الذوق الراقى في كل شيء وهذه النظافة التي تجدها أينما تسير » إلى أن يقول : « وبهرتني الحضارة لأوربية في مظهرها هذا الخارجي الذي يتمثل في النشاط والنظافة والذوق » .

ثم يقول في ص ١٧٢ « ودخلت الجامعة وبدأت الدراسة في علم الاجتماع ومادة الأخلاق وتاريخ الأديان وكانت هذه المواد يترجم دراستها وتدريسها الأساتذة اليهود ، الذين تتلمذوا على الأساتذة اليهود ! . . . وكانت هذه المواد كلها تسير في تيار محدد هو أنها علوم مجتمع » أي أنها لا تتقيد بوحى السماء ، ولا تتقيد بالدين على أنه وضع إلهي فهي تدرس في موضوعاتها على أنها مظاهر اجتماعية ومظاهر إنسانية » .

ثم يقول في ص ١٧٣ « ودراسة الدين والأخلاق إذن تتجه إلى النشأة والمظاهر وعوامل التطور ، وظواهر التطور وليس للسماء في الدراسة من نصيب ، إلا وصف الظاهرة نشأت في المجتمع ! . . »

ويقول في ص ١٧٤ : « ومن هنا كانت الظاهرة التي تجدها في طلبة الجامعات في أوروبا من الاستخفاف بكثير من العقائد وبكثير من القيم وينتهي الطالب بالإلحاد » ثم يقول في ص ١٧٦ : « إن اليهود يهدفون من وراء كل ذلك إلى السيطرة على العالم وألا يقف في وجههم قوة من إيمان أو قوة من خلق » .

ويقول الشيخ في ص ١٧٧ : « ولم يكن من السهل علىّ في أثناء هذه الدراسة الاستمسك الواثق بالقيم والمثل التي نشأت عليها ، ولولا عون من الله سبحانه وتوفيق

منه لصرت كواحد من هؤلاء الآلاف الذين يدرسون في الجامعات الأوروبية ، ثم يخرجون منها ، وقد تحطمت في نفوسهم المثل الدينية الكريمة »

هذا ما كتبه الشيخ عن الدراسة في فرنسا بل في الجامعات الأوروبية بعامة ، والواقع أن ما كتبه ليس جديدا فهو معروف منذ عاد طه حسين من فرنسا وبدأت ظاهرة التشكيك تظهر في كتاباته وفي كتابات كل من درس في أوروبا قبل سفر الدكتور عبد الحلیم محمود في تصميم وإصرار على الدراسة في فرنسا برغم معارضة والده .

صحيح أن الشيخ يؤكد أنه لم يتأثر بموجة الإلحاد ويزهو بشياته وتمسكه بمبادئ دينه الحنيف ، ولا يثبت لنفسه إلا كل فضيلة على طريقة من يكتبون كتباً عن أنفسهم بأسلوب الكتابة الذاتية كما يسمونها - ولكن الشيخ لم يحاول وهو في موقع المسئولية أن يمنع سفر الطلاب والفتيات للدراسة في أوروبا مع علمه بأن الكثيرين منهم يذهبون لدراسة العلوم الإسلامية في هذه البلاد التي تظنى فيها موجة الإلحاد .

أنا لا أنكر أن الشيخ تحدث عن بعض جوانب الإسلام ضمن حديثه عن نفسه: واستعراضه لتاريخ حيته وانتقد وجود كليات الحقوق التي تخصص عشرين ساعة في الأسبوع للقوانين الأوروبية ، أي للفكر الأوربي في التشريع أي أنها تعرض على الطالب أن يستعمر فكره لأوروبيون في مجال التشريع ، وأن يلغى ذاتيته الإسلامية في هذا المجال بينما تخصص هذه الكليات ساعتين فقط للتشريع الإسلامي وقال إن منهج الاتباع هو الطريق الذي ينبغي أن يسلكه المسلم في حياته ، وإذا سار المسلم فيه قردا أو سار فيه المسلمون مجتمعا فإن الله سبحانه وتعالى " يكتب له الهدوء والطمأنينة والسعادة ، ومن يعتصم بالله فقد هدى إلى صراط مستقيم » .

لا أنكر على الشيخ حديثه عن الإسلام ضمن حديثه عن نفسه في كتابه « الحمد لله هذه حياتي » ولكن الذي أنكره عليه في هذا الكتاب أنه لا يليق به وهو يشغل منصب شيخ الجامع الأزهر أن يتحدث عن نفسه بهذه الصورة وأن يباهى بكل ما يصدر عن الصوفية وما يدعو إليه التصوف ، وأن يشغل الناس بالحديث عن نفسه في وقت

يتبغى أن يصرف فيه جهده في الدعوة إلى دين الله والحكم بما أنزل الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ومحاربة البدع والخرافات ، ومقاومة موجة الإلحاد ، ورد كيد أعداء الإسلام الذين يجارونه بكل وسيلة ممكنة ويستغلون وسائل الإعلام المختلفة في حربهم السافرة ضد الإسلام وحقائقه الناصحة .

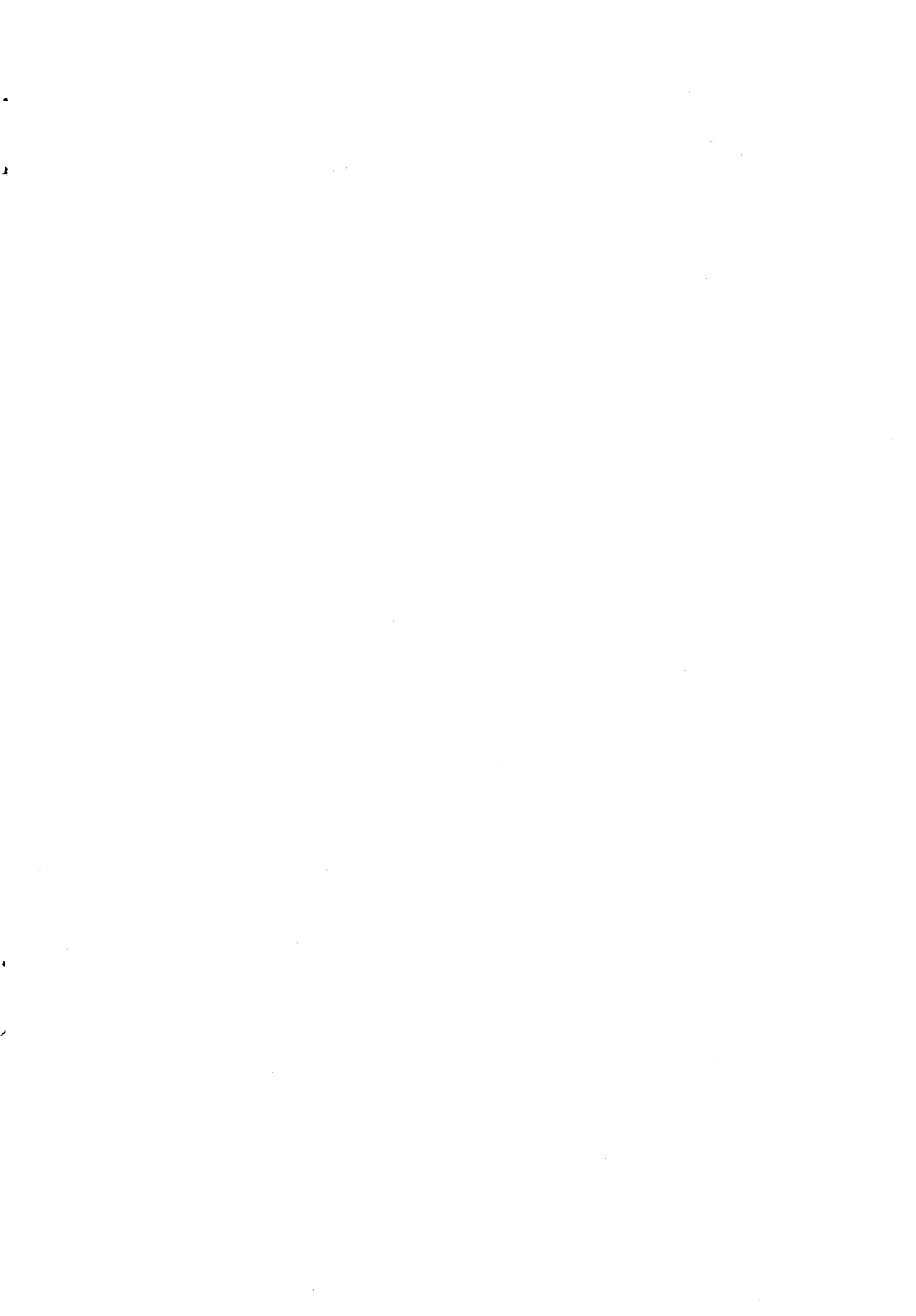
ولعل شيخ الجامع الأزهر يقلع عن إصدار مثل هذه الكتب ، ويصدر كتاباً توضح حقائق الإسلام وترشد الحيارى الضالين إلى الدين الحق الذى يتفق مع الفطرة فطرة الله التى فطر الناس عليها .

والله يقول الحق ويهدى السبيل وبالله التوفيق ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوى عزيز .

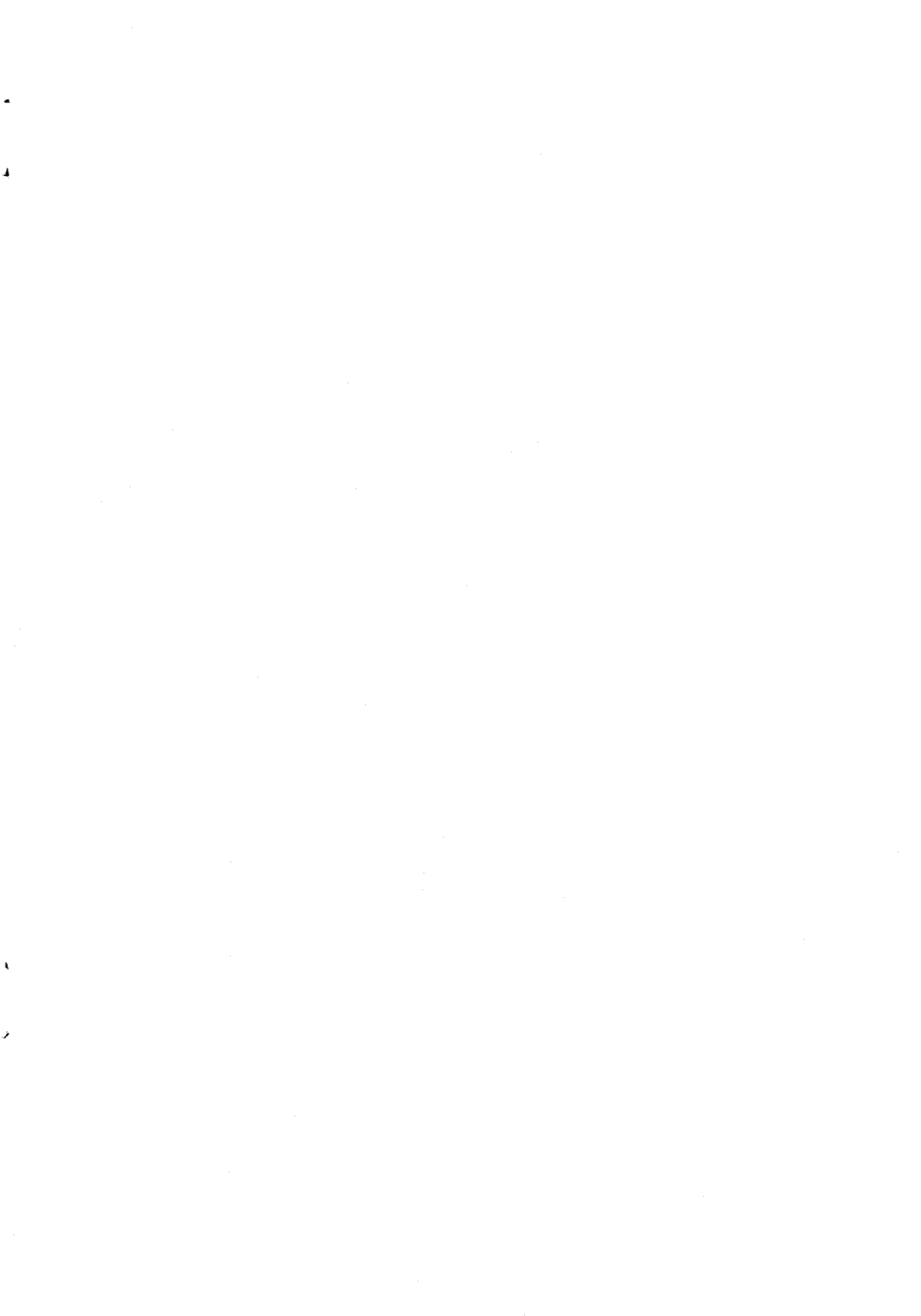
وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين .

الدكتور / عبد المنعم محمد حسنين
الأستاذ بكلية الدعوة









يسخر من القرآن وأهله



لسماحة الشيخ عبدالعزيز بن عبد الله بن باز

الحمد لله . . والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه :

أما بعد : فقد اطلعت على ما نشرته مجلة الدعوة في عددها الصادر في يوم الاثنين الموافق ٢٧ - ١ - ١٣٩٧ هـ تحت عنوان « عكاظ تسخر من القرآن وأهله » ثم ذكرت تحت هذا العنوان ما نصه : وطلعت علينا عكاظ في عددها الصادر بتاريخ

٤ - ١٣٩٦ هـ لتسخر من القرآن وأهله ولتقول ما نصه :

« والرجال يعتقدون أن المرأة كائن آخر . والمرأة في تعبيرهم ناقصة عقل ودين وهم يعتقدون أن الرجال قوامون على النساء انتهى ما نقلته مجلة الدعوة .

ولقد دهشت لهذا المقال الشنيع واستغربت جدا صدور ذلك في مهبط الوحي وتحت سمع وبصر دولة اسلامية تحكم الشريعة وتدعو إليها ، وعجبت كثيرا من جرأة القائمين على هذه الجريدة حتى نشروا هذا المقال الذي هو غاية في الكفر والضلال والاستهزاء بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم والطعن فيهما ، وليس هذا ببدع من القائمين على صحيفة عكاظ ، فقد عرفت بنشر المقالات الداعية الى الفساد والاحاد والضرر العظيم على المجتمع . كما عرفت بالحدق على علماء الاسلام والاستطالة في أعراضهم والكذب عليهم ، لانه ليس لدى القائمين عليها وازع ايماني ولم تردع بوازع سلطاني فلماذا اقدمت على ما اقدمت عليه من الكفر والضلال في هذا المقال الذي لا يقوله ولا ينشره من يؤمن بالله واليوم الآخر . ولا يقوله وينشره من يحترم كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم .

ولزيد التثبيت والرغبة في الوقوف على أصل المقال ومعرفة من قاله ، طلبت الصحيفة المذكورة المنشور فيها هذا المقال ، فأحضرت لي . فألفيتها قد نشرت

ما نقلته عنها مجلة الدعوة حرفيا ونسبت ذلك الى من سمت نفسها (أهل عبد الله) ولم تعلق الصحيفة شيئا في انكار هذا المقال فعلم بذلك رضاها به وموافقتها عليه . ومعلوم ان الذى جعل الرجال قواهم على النساء هو الله عز وجل في قوله تعالى في سورة النساء : « الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم » الآية . فالطعن في قوامة الرجال على النساء اعتراض على الله سبحانه وطعن في كتابه الكريم وفي شريعته الحكيمه وذلك كفر أكبر باجماع علماء الاسلام كما نص على ذلك غير واحد من أهل العلم منهم القاضي عياض في كتابه (الشفاء) كما أن الذى وصف النساء بنقصان العقل والدين هو النبى صلى الله عليه وسلم وذكر عليه الصلاة والسلام أن من نقصان عقلها ان شهادة المرأتين تعدل شهادة الرجل الواحد وذكر أن من نقص دينها أنها تمكث الليالى والايام لا تصلى وتفطر في رمضان بسبب الحيض ، وان كان هذا النقصان ليس عليها فيه اثم .

ولكنه نقصان ثابت معقول لا شك فيه ولا اعتراض على الرسول صلى الله عليه وسلم في ذلك لأنه أصدق الناس فيما يقول وأعادهم بشرع الله وأحوال عبادته . فالطاعن عليه في ذلك طاعن في نبوته ورسالته ومعترض على الله سبحانه في تشريع ذلك كفر وضلال لا ينازع فيه أحد من أهل العلم والايمان ، والأدلة النقاية والعقلية والشواهد من الواقع ومن معرفة ما جبل الله عليه المرأة وميزها به عن الرجل ، كل ذلك يؤيد ما أخبر الله به سبحانه من قوامة الرجال على النساء ونصاهم عابهن ، وما أخبر به النبى صلى الله عليه وسلم من نقصان عقل المرأة ودينها بالنسبة الى الرجل . ولكن لا يلزم من ذلك أن يكون كل فرد من أفراد الرجال أفضل ولا أدقل من كل فرد من أفراد النساء ، وكم لله من امرأة أفضل وأعم وأدقل من بعض الرجال ، وانما المراد تفضيل الجنس على الجنس وبيان أن هذا أكمل من هذا والأدلة القطعية شاهدة بذلك كما سبق . وقد اتضح من كلام صاحبة المقال - أهل عبد الله - أنها أرادت من طعنها على قوامة الرجال على النساء ومن اعتراضها على نقصانها في العقل والدين ان ذلك يسبب أنقسام المجتمع وعدم ترابطه وتعاونه وذلك يؤيد ما ذكرنا آنفا من كون المقصود بالمقال المذكور هو الطعن في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم واتهامها بأنهما سبب التخلف وانقسام المجتمع وعدم تعاونه . ولاشك أن هذا من أوضح الكذب وأبطل الباطل . وليس في اعتقاد ما دل عليه

كتاب الله عز وجل وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم في قوامة الرجال على النساء ونقص عقول النساء ودينهن ما يوجب الضرر على المجتمع الاسلامى وانقسامه وعدم ترابطه وتعاونه ، بل ذلك من تزيين الشيطان وايحائه الى اوليائه من الجهال والمشركين ومن سار في ركابهم ، كما أنه لا يلزم من ذلك أهدار المرأة من حساب المجتمع ولا اعفاؤها من المشاركة فيما يصلح المجتمع من النصيحة لله ولعباده والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر والدعوة الى الحق وغير ذلك من الأمور الواجبة على الجميع بل هى مأمورة بذلك ومفروض عليها القيام بما تستطيع في هذا السبيل كما قال الله عز وجل « والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر » الآية . قال سبحانه : « ان المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات والقانتين والقانتات والصادقين والصادقات والصابرين والصابرات والخاشعين والخاشعات والمتصدقين والمتصدقات والصائمين والصائمات والحافظين فروجهم والحافظات والذاكرين الله كثيرا والذاكرات أعد الله لهم مغفرة وأجرا عظيما » والآيات في هذا المعنى كثيرة ، وقد قبل النبي صلى الله عليه وسلم مشورة أم سلمة يوم الحديبية وحصل بذلك نفع كبير . وقصة خديجة رضى الله عنها في بدء الوحي وما حصل بها من الخير الكثير والتفريج عن النبي صلى الله عليه وسلم معروفة لدى أهل العلم والوقائع من هذا النوع في التاريخ الاسلامى كثيرة .

وأنه لعجب عظيم ان يجترىء أصحاب هذه الصحيفة على نشر هذا المقال مع انتسابهم للاسلام وقبضهم المعونات السخية من دولة الاسلام لتشجيع صحيفتهم واستمرار صدورها . ولكن لا عجب في الحقيقة فقد صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الاولى اذا لم تستح فاصنع ما شئت » وفي الأمثال السائرة المتداولة : من أن العقاب أساء الأدب . وقد روى عن عمر وعثمان رضى الله عنهما أنهما قالوا « ان الله يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن » وأن هذه الصحيفة قد تجاوزت الحدود واجترأت على محاربة الدين والطعن فيه بهذا المقال الشنيع جرأة لا يجوز السكوت عنها ، ولا يحل لوزارة الاعلام ولا

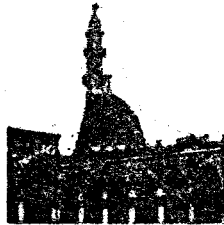
للحكومة الاغضاء عنها بل يجب قطعاً معاقبتها معاقبة ظاهرة بأيقافها عن الصدور
ومحاكمة صاحب المقال والمستول عن تحرير الصحيفة وتأديبهما تأديباً رادعاً واستتابتهما
عما حصل منهما لان هذا المقال يعتبر من نواقض الاسلام ويوجب كفر وردة من
قاله أو اعتقده أو رضى به لقول الله سبحانه « قل أبا الله وآياته ورسوله كنتم تستهزؤن
لا تعتذروا قد كفرتم بعد ايمانكم » الآية . فان تابا والا وجب قتلهما لكفرهما
وردتهما . ولا يخفى على ذوى العلم والايمان ان هذا الأجراء من أهم الواجبات
لما فيه من الحماية لكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وشريعة الله الكاملة
ولما في ذلك أيضا من ردع كل من تسول له نفسه أن يفعل ما فعلته صحيفة عكاظ
ويجتريء على ما اجترأت عليه .

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه .

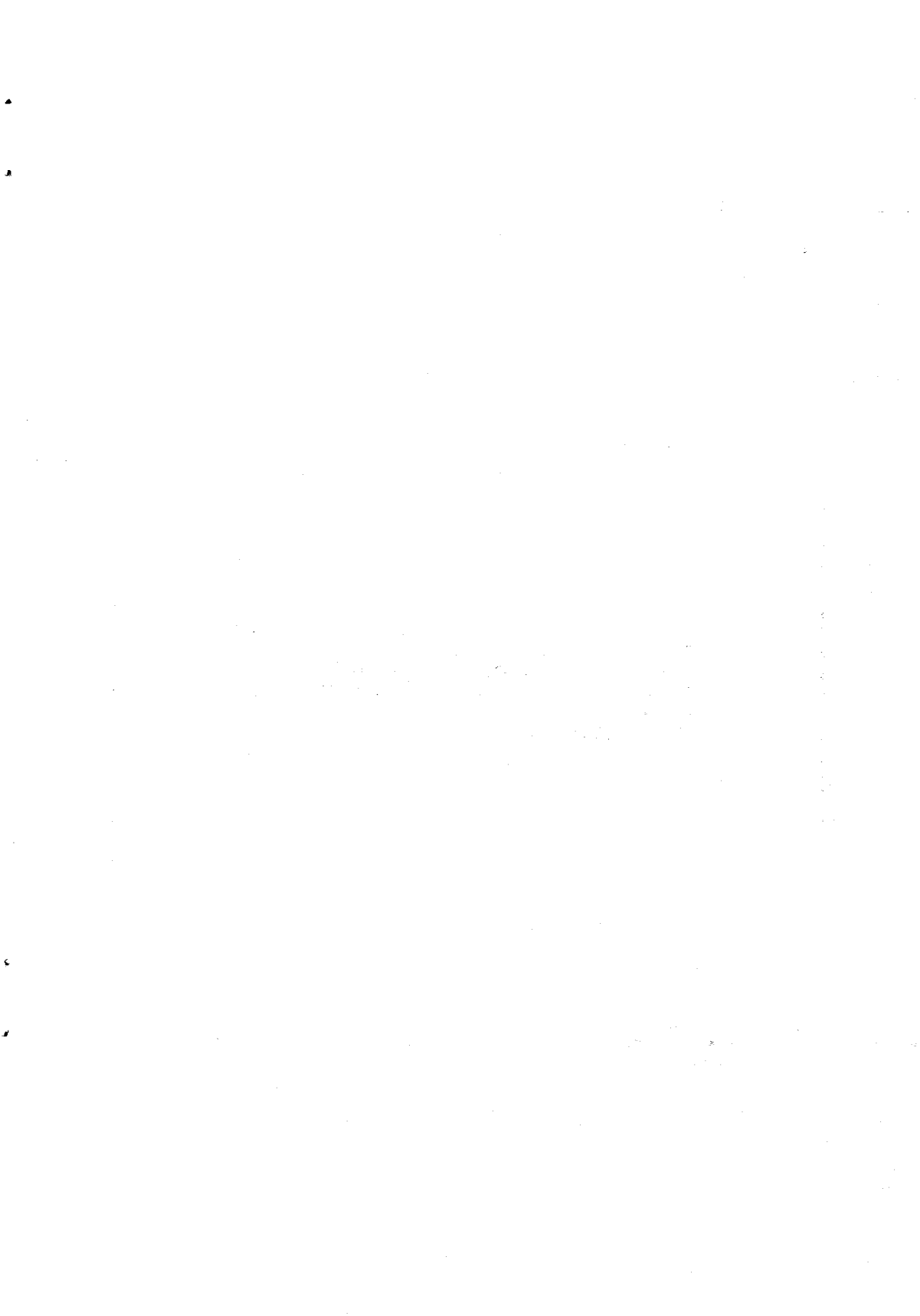
الرئيس العام لادارات البحوث العلمية

والافتاء والدعوة والارشاد

عبد العزيز بن عبد الله بن باز



أخبار الجامعة



مجلس الجامعة

« من أخبار الجامعة »

الدورة الرابعة للمجلس الأعلى للجامعة :

عقد المجلس الأعلى للجامعة دورته الرابعة برياسة صاحب السمو الملكي الامير فهد بن عبد العزيز ولي العهد ونائب رئيس مجلس الوزراء ، والرئيس الأعلى للجامعة - حفظه الله - في المدة من ١٦ الى ١٨ من رجب ١٣٩٧ هـ بمقر الجامعة بالمدينة المنورة : وافتتح سموه هذه الدورة بكلمة قال فيها :

بسم الله الرحمن الرحيم ، والصلاة والسلام على اشرف المرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه اجمعين . .

من دواعي سرورى في هذا اليوم أن أفتتح أنا وزملائي أعضاء المجلس الدورة الرابعة للمجلس الأعلى للجامعة ويسرنى في هذه المناسبة أن أنقل تحيات جلالة الملك خالد لأعضاء المجلس وتمنياته الطيبة لهم بالتوفيق والنجاح في هذا العمل المثمر .

ومما يشرفنى أن أساهم في شد أزر هذه الجامعة من جميع النواحي سواء ادارية أو مالية أو اجتماعية - واني لأرجو من صميم قلبي أن تستمر هذه الجامعة في حالة تطور مستمر ، وأن تكون قدوة ان شاء الله لجميع الاقطار الاسلامية وأن تمتد الى جميع النواحي في مشارق الأرض ومغاربها في كافة البلاد الاسلامية ، وأن المملكة العربية السعودية ملكا وحكومة وشعبا سوف تبذل ما تستطيع من جهد لدعم هذه الجامعة التي بنيت على أسس سليمة . . وختاما أرجو لكم التوفيق ، وارجو أن نبتدى عملنا في هذا اليوم بالخير والبركة ان شاء الله ، واشكرا لكم .

ومن أهم قرارات المجلس الأعلى في هذه الدورة ما يلي :

اقترح افتتاح فرعين للجامعة :

أيد المجلس الأعلى اقترح الجامعة افتتاح فرع لها في كل من « اندونيسيا » و « نيجيريا » على أن تقوم الجامعة باجراء الدراسات التمهيدية لذلك ، وعرض النتيجة في الدورة التالية -

تعيين أعضاء هيئة التدريس بالجامعة :-

- وافق المجلس الاعلى على تعيين كل من :-
- فضيلة الشيخ محمد حماد الانصارى
 - فضيلة الشيخ محمد المختار الشنقيطى
 - هيئة التدريس بالجامعة .
 - فضيلة الشيخ عمر محمد فلاته
- استاذاً مشاركاً
استاذاً مساعداً
استاذاً مساعداً



اللائحة التنفيذية ، ولائحة المتعاقدين :

أقر المجلس اللائحة التنفيذية للجامعة ، وكادر المتعاقدين من أعضاء هيئة التدريس والمدرسين المساعدين (المحاضرين) والمعيدين بالجامعة .



وفود الدعوة في الخارج :

أوفدت الجامعة في العطلة الصيفية هذا العام ٩٦ / ١٣٩٧ هـ وفوداً للدعوة الاسلامية الى كل من : اندونيسيا ، نيجيريا ، غانا ، تونس ، وموريتانيا ، وفرنسا ، المانيا الغربية ، سويسرا ، ماليزيا .



تعيين عمداء لبعض الكليات :

- تم تعيين كل من :
- فضيلة الدكتور محمد بن حمود الوائلى
 - الشيخ عبد العزيز محمد القويقل
 - الشيخ محمد امان على جامى
- عميدا لكلية الشريعة .
عميدا لكلية القرآن الكريم
والدراسات الاسلامية .
عميدا لكلية الحديث الشريف
والدراسات الاسلامية .

محاضرات الجامعة في موسمها الثقافي هذا العام :

القيت في هذا الموسم ١٥ محاضرة من اساتذة الجامعة ، ويجرى طبع هذه المحاضرات في كتاب مستقل لتوزيعه تعميماً للفائدة .

معسكر الجامعة في « بلجرشي » :

أقامت الجامعة في العطلة الصيفية هذا العام معسكراً لطلاب الجامعة الذين لم يسافروا إلى بلادهم واشترك فيه عدد منهم من اقطار مختلفة واستمر مدة شهر في مدينة بلجرشي في المنطقة الجنوبية من المملكة ، ومن أهم أهدافه :

شغل أوقات فراغ الطلاب بوجوه النشاط العلمية والعملية التي تنمي معارفهم ، وتكشف عن مواهبهم ، وتهذب سلوكهم ، وتعمق التدين العملي في حياتهم . تقوية عناصر التعارف وأواصر التآخي والتآلف ، وتعزيز سبل التعاون فيما بينهم ، وتوثيق صلتهم باساتذتهم . تدريبهم على الدعوة إلى سبيل ربهم ، واكسابهم المهارات في هذا المجال . تعريف غير السعوديين ببعض مناطق المملكة التي يتوقون إلى معرفتها .

وقد امضى الطلبة أوقاتهم في هذا المعسكر في تنفيذ البرامج المعدة لهم من قبل إدارة المعسكر بإشراف بعض الاساتذة من الجامعة ، مع الاستجمام والاستمتاع بجو المنطقة .



حفل التخرج :

أقامت الجامعة بعد عصر يوم السبت ١٦ من رجب ١٣٩٧ هـ بقاعة المحاضرات بها الحفل السنوي لتكريم المتخرجين والمتفوقين في العام الدراسي ٩٦ / ١٣٩٧ هـ برعاية صاحب السمو الملكي الامير فهد بن عبد العزيز ولي العهد ونائب رئيس مجلس الوزراء ، والرئيس الاعلى للجامعة .

وقد تفضل سموه الكريم بحضور هذا الحفل ، والقاء كلمة فيه ، نشرت افتتاحية لهذا العدد من المجلة كما تفضل بتوزيع الشهادات على الخريجين .

والقى في هذا الحفل كل من فضيلة نائب رئيس الجامعة وفضيلة رئيس قسم الدراسات العليا ، واحد الخريجين كلمة بهذه المناسبة . وفيما يلي كلمة نائب رئيس الجامعة عبد المحسن بن حمد العباد .

« نص الكلمة »

الحمد لله رب العالمين وصلوات الله وسلامه وبركاته على المبعوث رحمة للعالمين نبينا محمد وعلى آله واصحابه ومن تبعهم باحسان الى يوم الدين ، أما بعد :

فإنها لفرصة طيبة ومناسبة عظيمة أن تحتفل أسرة الجامعة معبرة عن سرورها واعتباطها بتخرج الدفعة الثالثة عشرة من خريجي هذه الجامعة المباركة وقد زاد في السرور وضاعف البهجة أن يتم هذا الحفل برعاية صاحب السمو الملكي الأمير فهد بن عبد العزيز ولي العهد ونائب رئيس مجلس الوزراء والرئيس الأعلى للجامعة .

صاحب السمو الملكي الرئيس الأعلى للجامعة : يسرني أصالة عن نفسي ونيابة عن أسرة الجامعة أن أتقدم بالشكر لسموكم الكريم على العناية التامة والتشجيع المستمر الذي تلقاه هذه الجامعة من سموكم الكريم فبالرغم من كثرة أعمالكم قدمتم هذا اليوم الى المدينة لرئاسة المجلس الأعلى للجامعة في دورته الرابعة وفي العام الماضي قدمتم اليها لرئاسة المجلس في دورته الأولى وفي ذلك تعبيراً عملياً عن حرص سموكم على هذه الجامعة وتشجيع لهذه الجامعة يزيد في نشاطها ويشد من أزرها لتواصل مسيرتها الخيرة في سبيل تحقيق الأهداف السامية التي انشئت من أجلها .

ان الجامعة يسرها كثيراً أن تحتفل هذا اليوم بتخرج الدفعة الثالثة عشرة من كلية الشريعة وتخرج الدفعة الثامنة من كلية الدعوة وأصول الدين وفي العام القادم بمشيئة الله تحتفل بتخرج الدفعة الأولى من كلية القرآن الكريم والدراسات الإسلامية وفي العام الذي يليه يتخرج الدفعة الأولى من كلية اللغة العربية والآداب وفي العام التالي الذي يليه يتخرج الدفعة الأولى من كلية الحديث الشريف والدراسات الإسلامية ولقد بلغ عدد الخريجين في الدور الأول هذا العام مائة وثلاثة وثمانين جامعياً منهم مائة وثلاثة وخمسون من خارج المملكة وينتمون الى خمسة وثلاثين قطراً من أقطار العالم ثمانية عشر قطراً من آسيا وسبعة عشر قطراً من افريقيا وبإضافة خريجي هذه الدفعة الى المتخرجين في الأعوام الماضية وعددهم ألف ومائتان وسبعة وسبعون جامعياً يكون عدد الحاصلين على الشهادة العالية (اليسانس) من كليتي الشريعة والدعوة وأصول الدين في الجامعة حتى الآن ألفاً وأربعمائة وستين جامعياً ينتمون الى اثنين وستين قطراً من أقطار العالم .

صاحب السمو الملكي الرئيس الأعلى للجامعة :

ان حكومة المملكة وفقها الله تقدم للمسلمين في أنحاء العالم المساعدات المادية والمعنوية وإن أفضل شيء قدمته وتقدمه للعالم تعليم أبنائه ليقوموا بالدعوة الى الخير والتحذير من الشر فهؤلاء الحريجون هم في الحقيقة أنفس هدية تقدمها حكومة المملكة للعالم وأي هدية أنفس وأعلى من دعاة الى الجنة وهداة الى الصراط المستقيم (ومن أحسن قولاً ممن دعا الى الله وعمل صالحاً وقال انني من المسلمين) .

واني لأرجو أن يكتب الله لجلالة الملك خالد حفظه الله واسموكم الكريم ولكل من ساهم في تحقيق أهداف هذه الجامعة مثل اجورهم واجور من استفاد خيراً بسببهم فان من دل على خير فله مثل أجر فاعله ، ومن دعا الى هدى كان له من الأجر مثل اجور من تبعه لا ينقص ذلك من اجورهم شيئاً .

صاحب السمو الملكي الرئيس الأعلى للجامعة :

لعالمية هذه الجامعة وشمول نفعها وسمو أهدافها تلقى دائماً من حكومة المملكة وفقها الله كل تأييد ودعم مادي ومعنوي وتحظى بالعناية والرعاية ويتمثل الدعم المادي باعتماد المبالغ الكبيرة في ميزانيتها سنوياً أما التأييد المعنوي فلا حدود له وأبرز أمثلته أن جلالة الملك فيصل رحمه الله هو الرئيس الأعلى لهذه الجامعة ثم بعد تولى جلالة الملك خالد حفظه الله تفضل باسناد رئاستها لسموكم الكريم فانتقلت رئاستها العليا من يد قوية أمينة الى يد قوية أمينة وما قدوم سموكم الى المدينة هذا اليوم لرئاسة المجلس الأعلى للجامعة في دورته الرابعة وقدوم سموكم في العام الماضي لرئاسة الدورة الأولى الا نموذج مما تلقاه الجامعة من سموكم الكريم من رعاية وعناية - ومن آثار اهتمام حكومة المملكة أدام الله توفيقها - بهذه الجامعة وعنايتها بها وحرصها على تعميم نفعها ما حصل لها من توسع في مجال الدراسات العالية وفي مجال الدراسات العليا فحصل لها نمو أفقى يتمثل بافتتاح ثلاث كليات خلال ثلاث سنوات فقد افتتحت كلية القرآن الكريم والدراسات الاسلامية في عام ١٣٩٥ / ٩٤ هـ وافتتحت كلية اللغة العربية والآداب في عام ١٣٩٦ / ٩٥ هـ وافتتحت كلية الحديث

الشريف والدراسات الاسلامية في عام ٩٦ / ١٣٩٧ هـ وبحمد الله ان الجامعة الاسلامية
سبقت الى افتتاح كلية القرآن الكريم والدراسات الاسلامية وكلية الحديث الشريف
والدراسات الاسلامية - وهما أول كليتين من نوعهما في العالم ، وحصل للجامعة
نمو رأسي بافتتاح قسم الدراسات العليا لمنح درجة الماجستير ثم الدكتوراه وقد افتتح
هذا القسم في أول العام الدراسي ٩٥ / ١٣٩٦ هـ وخلال أشهر قليلة بمشيئة الله يبدأ
في هذه القاعة بمناقشة الرسائل المقدمة لينل درجة الماجستير .

أيها الأخوة الخريجون ، يسرني أن أهنيئكم بآتمام دراستكم العالية في هذه الجامعة
وبهذا التكريم الذي ظفرتم به وهو رعاية سمو الرئيس الأعلى للجامعة حفل تخرجكم
وتفضله بتسليم شهادتكم لكم وأحب أن ألفت انظاركم الى أن نيل هذه
الشهادة لا يعنى انتهاءكم من الدراسة وانما يعنى وصولكم الى بداية طريق العلم
ودخولكم ميدان العمل ودراستكم في هذه الجامعة انما هي وسيلة الى غاية نبيلة هي
الدعوة الى الخير والتحذير من الشر وأسأل الله تعالى أن يزيدكم علما وهدى وأن
يوفقكم لما فيه رضاه ونفع عباده .

وفي الختام اشكر الله على نعمه التي لا تعد ولا تحصى ثم اشكر لحكومة المملكة
وعلى رأسها جلالة الملك خالد بن عبد العزيز الرئيس الفخري لهذه الجامعة وسمو ولي
عهدده الأمير فهد بن عبد العزيز الرئيس الأعلى للجامعة على رعايتهما وعنايتهما بهذه
الجامعة العالمية ولا يفوتني أن أشكر سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز
الذي بدأت مسيرة هذه السفينة على يديه فقادها خلال خمسة عشر عاما الى بر النجاة
وشاطى السلامة وكان له الفضل بعد الله في ثباتها واستقرارها على طريق الحق والهدى

كما اشكر العاملين في هذه الجامعة من مسئولين وهيئة تدريس على الجهود الطيبة
التي بذلوها في صالح هذه الجامعة وأسأل الله تعالى أن يشيهم خيرا وان يبارك في
جهود الجميع انه سميع مجيب .

والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد وعلى
آله وأصحابه أجمعين .

نائج الامتحانات

كلية الشريعة

التقدير	الجنسية	اسم الخريج
ممتاز	قطري	محمد معصوم صادق المرأعي
ممتاز	حضرمي	صالح سعيد باقلاقل
ممتاز	يمني	علي محمد احمد عبدالله الزييري
ممتاز	باكستاني	مسعود عالم بن مولوى محمد
ممتاز	مصرى	عبدالقادر احمد عبدالقادر
ممتاز	باكستاني	محمد عبد الحميد بن فيض محمد
ممتاز	سورى	عبدالقادر منصور منصور
ممتاز	مغربي	ادريس عبدالقادر الدراوى
ممتاز	قطري	اسماعيل ابوبكر عبدالفتاح ال مصلح
ممتاز	هندي	فضل الرحمن دين محمد
ممتاز	ايراني	احمد بن ميرين سياد
ممتاز	مصرى	عبدالرحمن محمد عبدالفتاح
ممتاز	اردني	سلطان سئد عبدالمطلب العكايلة
ممتاز	لبناني	عبدالفتاح حسن عمار
ممتاز	مغربي	محمد عبدالسلام بن تحايكت
ممتاز	اردني	فيصل محمد حسن المحمد
ممتاز	سعودى	محمد بن يعقوب طالب
ممتاز	سوداني	محمد الحسن جعفر عمر
ممتاز	يمني	حسن محمد مقبولي الامل
ممتاز	اردني	فاروق سعد معوض الحربي
ممتاز	سعودى	طلال بن مصطفى احمد عرقسوس
ممتاز	سعودى	محمد مطر عثمان الزهراني
ممتاز	اردني	لطفى عليان عثمان شيبير
ممتاز	سعودى	عبدالله بن عبدالمحسن عبدالعزيز ابابطين
ممتاز	سعودى	محمد ايوب بن محمد يوسف بن علي بن سليمان

التقدير	الجنسية	اسم الخريج
ممتاز	اردني	جبر حماد سليمان ابوغليون
ممتاز	باكستاني	محمد اسحاق خان
ممتاز	سعودي	فيحان شالي عتيق المطيري
ممتاز	سعودي	عبدالله بن محمد الامين الشنقيطي
ممتاز	تايلندي	اسماعي على
جيد جدا	اردني	قاسم عبدالحليم صالح يوسف
جيد جدا	اردني	محمود صالح شريتح جابر
جيد جدا	اردني	محمد على على الاحمد العمري
جيد جدا	اردني	نصر ابراهيم فضل البنا
جيد جدا	سعودي	سعيد احمد سعيد جعوان
جيد جدا	سعودي	سعيد سالم سعيد الصفراني الجهني
جيد جدا	سعودي	فاز بن فزاع عطية المحمادي
جيد جدا	سعودي	محمد المختار بن محمد الامين الشنقيطي
جيد جدا	اردني	راشد سعيد بوسف شهران
جيد جدا	موريتاني	محمد محمود احمد سيداباب
جيد جدا	سعودي	عبدالرزاق على خليل الفحل
جيد جدا	اردني	عيسى زكي عيسى محمد شقرة
جيد جدا	مغربي	التماري عقي
جيد جدا	سعودي	نائف نافع ضيف الله العمري
جيد جدا	هندي	عبدالعزیز عبدالله رحمانی
جيد جدا	سعودي	سليمان بن على بن محمد السعود
جيد جدا	اردني	وليد احمد محمد سليمان
جيد جدا	سوداني	سليمان سعيد محمد
جيد جدا	لبناني	احمد محمد حمود عبيد
جيد جدا	اردني	ابراهيم حسن حسين السكجي
جيد جدا	سعودي	مبروك معوض حمدان الجهني
جيد جدا	سوري	محمد على بن عبدالفتاح القاري
جيد جدا	اردني	سليم ساكت سليمان المعاني
جيد جدا	باكستاني	شهير على شاه مولانا قدرت شاه
جيد جدا	عراقي	احمد فقي محمد رسول
جيد جدا	سوداني	بشير حسان حامد
جيد جدا	صومالي	عبدالله ديرية ايتدون
جيد جدا	سوداني	فضل الله الامين فضل الله

التقدير	الجنسية	اسم الخريج
جيد جدا	سوري	عبدالمنان بن عثمان جولحة
جيد جدا	سوداني	فضل المولي بخيت ابراهيم
جيد جدا	يمني	احمد بن حسن هادي طيب السروحي
جيد جدا	سعودي	عبدالرحمن عبدالعزيز بن صالح الصالح
جيد جدا	يوغندي	محمد احمد كلنزي
جيد جدا	مالي	اسماعيل دكوري
جيد جدا	ايراني	محمد اسحاق بير محمد جاكري
جيد جدا	برماوي	محمد ابوالبشر رفيع الدين
جيد جدا	اردني	يونس حسين عيد جاموس
جيد جدا	اردني	عادل نعمان الحاج سليم الجنيدي
جيد	باكستاني	شفيق احمد مفتي رشيد احمد
جيد	سعودي	علي بن حسن علي العبدلي
جيد	باكستاني	عبدالقفور الهني بخش
جيد	ليبيرى	عباس صالح كانه
جيد	يمني	عبدالرحمن بن عبدالرحمن شميلة الاهل
جيد	مغربي	السنسي محمد بن محمد بن احمد
جيد	سعودي	مبارك حسان حمد الحبيشي الجهني
جيد	سعودي	محمد بن صالح بن عبيد النامي
جيد	اردني	عاصم عبدالله زراهم خليل الحيلي
جيد	عراقي	محمد شريف ظاهر مصطفى
جيد	تونسي	محمد البشير النيفر
جيد	ارتيري	صالح حامد عثمان
جيد	اندونيسي	سومنتري زكريا شافعي
جيد	يمني	عبدالعزيز بن محمد اسماعيل المصباحي
جيد	اردني	ناصر ناصر احمدحسن عبدالله
جيد	فولتاوى	سليمان كونفي
جيد	مغربي	عبدالمغني العياشي حجاج
جيد	افغاني	محمد يوسف بن عبدالسلام
جيد	عراقي	هيثم علوان مصطفى
جيد	سوري	نزار محمد عرعور
جيد	اردني	عبدالحميد محمد عبدالفتاح نصر
جيد	مغربي	الزاوي الحسن
جيد	عراقي	عبدالستار عبود ريس السامرائي
جيد	سعودي	منصور بن ناصر بن ناهض الدعجاني

التقدير	الجنسية	اسم الخريج
جيد	سعودى	عبدالرحمن بن على بن راجح الفهادى
جيد	يمنى	عثمان عوض حبيش
جيد	نيجيرى	رضوان اديمو يوسف
جيد	باكستاني	مصطفى حسن السيد محمود الحسن
جيد	سورى	محمد صالح بن عبدالرحمن العلاف
جيد	موريتاني	محمد بن محمد سدين بن محمود
جيد	اندونيسي	محمد رئيسى رмбаوا
جيد	فلسطينى	عمر حسين عبدالعزيز خريس
جيد	سعودى	مصطفى عبدالجليل عبدالرحمن جارى
جيد	يمنى	عبدالله محمد احمد المعصار
جيد	مغربي	وقار على بن محمد
جيد	عراقى	محمد عمر محمد
جيد	سودانى	محمد حسن حمد
جيد	باكستاني	رفيق احمد مفتي رشيد احمد
جيد	باكستاني	محمد عثمان الانجوى بن محمد خليل
جيد	اوغندى	حسين رجب ككوزا
جيد	اردنى	احمد اسماعيل محمد بسيط
جيد	صومالى	حسن معلم على عبده
جيد	مغربي	عبدالسلام محمد السفينانى
جيد	سعودى	على ماطر مهدى مدخلى
جيد	ماليزى	جبير بن دين
جيد	يمنى	على صالح حسن
جيد	سعودى	ابراهيم بن عبدالعزيز بن سالم الدعجان
جيد	اردنى	عبدالله فياض العلي عبدالرحمن
مقبول	ارتيرى	عرفه احمد محمد
مقبول	اندونيسي	عثمان شراوى اندريس
مقبول	سعودى	حسن محمد نور حسن تركستاني
مقبول	اندونيسي	حاريوس رسلى
مقبول	سنغافورى	ابراهيم بن عبدالرحمن
مقبول	سعودى	حسين عبدالله الفيصل
مقبول	عراقى	فاروق محمد حسين جاسم
مقبول	يمنى	حسان مجاهد الشامى
مقبول	اوغندى	عمرو حماد كيوانوكا
مقبول	سودانى	داود محمد اندريس

كلية الدعوة واصل الدين

التقدير	الجنسية	اسم الخريج
ممتاز	ايراني	عبدالغفور عبدالحق حسين بر
ممتاز	مصرى	فاروق حسين محمد امين
ممتاز	سنغالي	عبدالاحد امبيكي
ممتاز	باكستاني	خادم حسين الهى بخش
ممتاز	هندى	خليل الرحمن سجاد
ممتاز	بورماوى	عبدالحميد مظاهرى ندوى
ممتاز	باكستاني	سهيل حسين
ممتاز	هندى	عبدالوهاب خليل الرحمن
ممتاز	هندى	عبدالحكيم عبدالسلام
ممتاز	اردني	يوسف محى الدين على ابو هلاله
ممتاز	مصرى	محى الدين حسن السيد متولى
ممتاز	صومالي	محمد يوسف عبد
ممتاز	سورى	زياد محمد منصور
ممتاز	اندونيسي	مسعدى سلطاني
ممتاز	كينى	محمد شريف فماوكومبو
جيد جدا	صومالي	على الشيخ احمد ابوبكر
جيد جدا	نيجيرى	عبدالحيظ فلورنشو احمد
جيد جدا	يمنى	حسن محسن بن على جابر
جيد جدا	سودانى	محمد زين الهادى الحاج على كرار
جيد جدا	اردني	سلامة كامل سلامة داود
جيد جدا	باكستاني	محمد ادريس السلفى حافظ عبدالقادر
جيد جدا	هندى	جاويد اعظم عبدالعظيم
جيد جدا	يمنى	نعمان هزاع عبده
جيد جدا	هندى	اختر جمال محمد لقمان
جيد جدا	يوغندى	ابطحى كينويى ابراهيم
جيد جدا	سعودى	عبدالعزيز قبلان معوض الحجيلي
جيد جدا	عاجي	تراورى سالف
جيد جدا	اندونيسي	عبدالهادى باسلطانة
جيد جدا	سعودى	محمود احمد عبدالله ثروت
جيد جدا	يمنى	على عبده يحي شرف

التقدير	الجنسية	اسم الخريج
جيد جدا	باكستاني	محمد اسلم صديقي فضل كريم صديقي
جيد جدا	غاني	محمد وهيب ادم سهم الدين
جيد جدا	يوغندي	مهدى عبدالله ككوزا
جيد جدا	فلتاوى	احمد سانو
جيد جدا	سيرا اليوني	سليمان منصارى سعيد
جيد	اندونيسي	محمد شمس الهادى نور
جيد	ايراني	عبدالمالك عبدالغور سابازى
جيد	سعودى	خالد على ابراهيم صندوقى
جيد	تايلندى	مايوسوه بن ميتالونج
جيد	تايلندى	عبدالله بن ماما ابراهيم
جيد	اندونيسي	ايكيب ماكيب صالح ادريس
جيد	باكستاني	على محمد محمد اكرم على
جيد	باكستاني	غلام مصطفى حسن خوش محمد
جيد	اردنى	محمد بسام عبدالله الشريف
جيد	مصرى	جمال الدين محمد الخطيب
جيد	باكستاني	محمد بن احمد السندي
جيد	يمنى	محمد عبدالغنى سالم
جيد	نيجيرى	مدثر محلي
جيد	كشميرى	محمد انور ركن الدين
جيد	هندى	مركاركتي المعروف باسم كنهى موين ابن بابتي
مقبول	سوداني	محمد احمد المبارك محمد
مقبول	يمنى	فرحان عبدالدائم سيف القاضي
مقبول	ماليزى	محمد بدرالدين حاج طالب
مقبول	تايلندى	عبيدالله حاج ابو عبدالله محمود
مقبول	اندونيسي	ماودرى زين الدين ناسوتيون
مقبول	سعودى	منيع بن محمد بن منيع العسيري

بيان باقطار خريجي كلية الشريعة وكلية الدعوة واصول الدين في الجامعة الاسلامية
بالمدينة المنورة في السدور الاول عام ١٣٩٧/٩٦ هـ وعدد الخريجين من كل قطر

المجموع	كلية الدعوة	كلية الشريعة	القطر
٢٠	٤	٢٦	المملكة العربية السعودية
٢٤	٢	٢١	الاردن
٢	٠	٢	اريتريا
١	٠	١	أفغانستان
٩	٥	٤	أندونيسيا
٤	٢	٢	ايران
١٦	٧	٩	باكستان
٢	١	١	بورما
٤	٢	١	تايلند
١	٠	١	تونس
١	١	٠	ساحل العاج
٦	١	٥	سوريا
٩	٢	٧	السودان
١	١	٠	السنغال
١	٠	١	سنغافورة
١	١	٠	سيراليون
٤	٢	٢	الصومال

المجموع	كلية الدعوة	كلية الشريعة	القطر
٦	٠	٦	العراق
١	١	٠	غانا
٢	١	١	فولتا العليا
١	٠	١	فلسطين
٢	٠	٢	قطر
١	١	٠	كشمير
١	١	-	كينيا
٢	٠	٢	لبنان
١	٠	١	ليبيريا
١	٠	١	مالي
٢	١	١	ماليزيا
٥	٣	٢	مصر
٨	٠	٨	المغرب
٢	٠	٢	موريتانيا
٣	٢	١	نيجيريا
٨	٦	٢	الهند
٢	١	١	اليمن الجنوبية
١٤	٥	٩	اليمن الشمالية
٥	٢	٣	يوغندا
١٨٣	٥٧	١٢٦	

فهرست

الصفحة	الموضوع	الكاتب
	افتتاحية العدد	
٣	كلمة صاحب السمو الملكي الامير فهد عبدالعزيز ولي العهد ونائب رئيس رئيس مجلس الوزراء والرئيس الاعلى للجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة في للحفل السنوي لخريجي الجامعة عام ١٣٩٧/٩٦ هـ والمقام مساء يوم السبت ١٣٩٧/٧/١٦ هـ بمقر الجامعة	
	دراسات في القرآن وعلومه	
٧	دراسات حول اعجاز القرآن الكريم في القرن الثالث	لفضيلة الدكتور صادق ابراهيم خطاب ...
١٥	القاضي عياض ومفهومه للاعجاز القرآني	لفضيلة الدكتور أحمد جمال العمري ...
٢٩	أخي دراسات في السيرة والتاريخ	لفضيلة الشيخ عبدالرؤف اللبدي ...
٣٥	ثمار من غرس النبوة - رجال ومواقف	لفضيلة الشيخ محمد المشال
٤٣	فتح العرب للاندلس تعقيب لاثريب	لفضيلة الشيخ محمد ابوزيد طنطاوى ...
٧١	إبراء للذمة وتذكيرا بالحق الفكر والفلسفات المعاصرة	لفضيلة الشيخ محمد المجذوب
٧٩	الاستشراق وجهوده واهدافه في محاربة الاسلام والتشويش على دعوته	للدكتور عبدالمنعم محمد حسنين
١٠٧	الشيوعية في الميزان	لفضيلة الشيخ محمد على عبدالسميع ...
١١٩	ولم يزل أعداء الأمة يمكرون دراسات في التربية والتعليم	لفضيلة الدكتور محيي الدين رمضان ...
١٢٥	لمحة عن التربية الاسلامية حديقة الشعر	لفضيلة الدكتور محمد نغمش
١٣٧	قال لي صاحبي المكتبة الاسلامية	لفضيلة الشيخ معوض عوض ابراهيم ...
١٤١	حول كتاب « الحمد لله هذه حياتي بقلم الدكتور عبدالحليم محمود	لفضيلة الدكتور عبدالمنعم حسنين ...
	الفتاوى	
١٥١	حكم من يسخر من القرآن وآمله أخبار الجامعة	لسماحة الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز ...
١٥٧	مجلس الجامعة	١٦٣ نتائج الامتحانات

